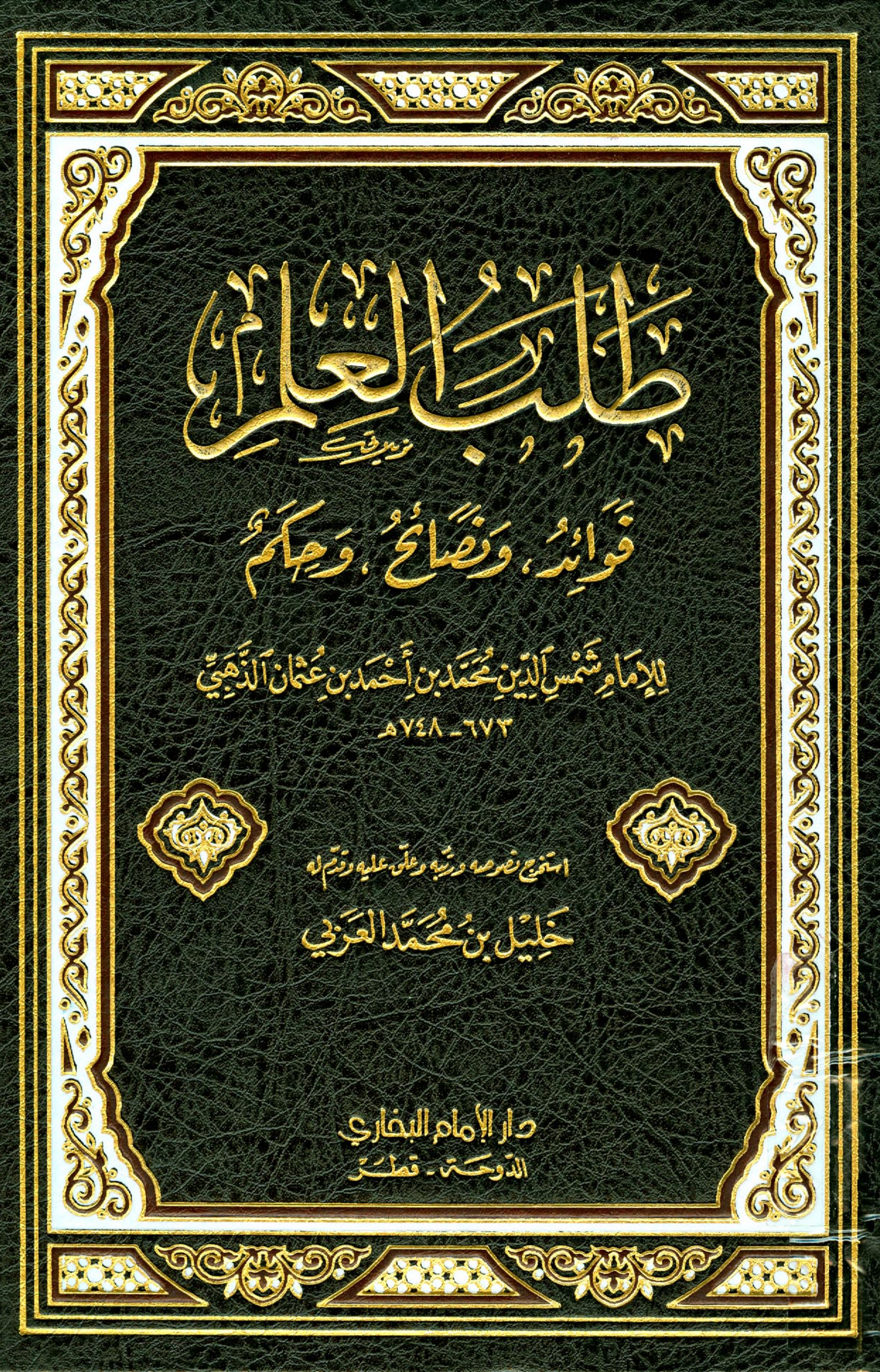
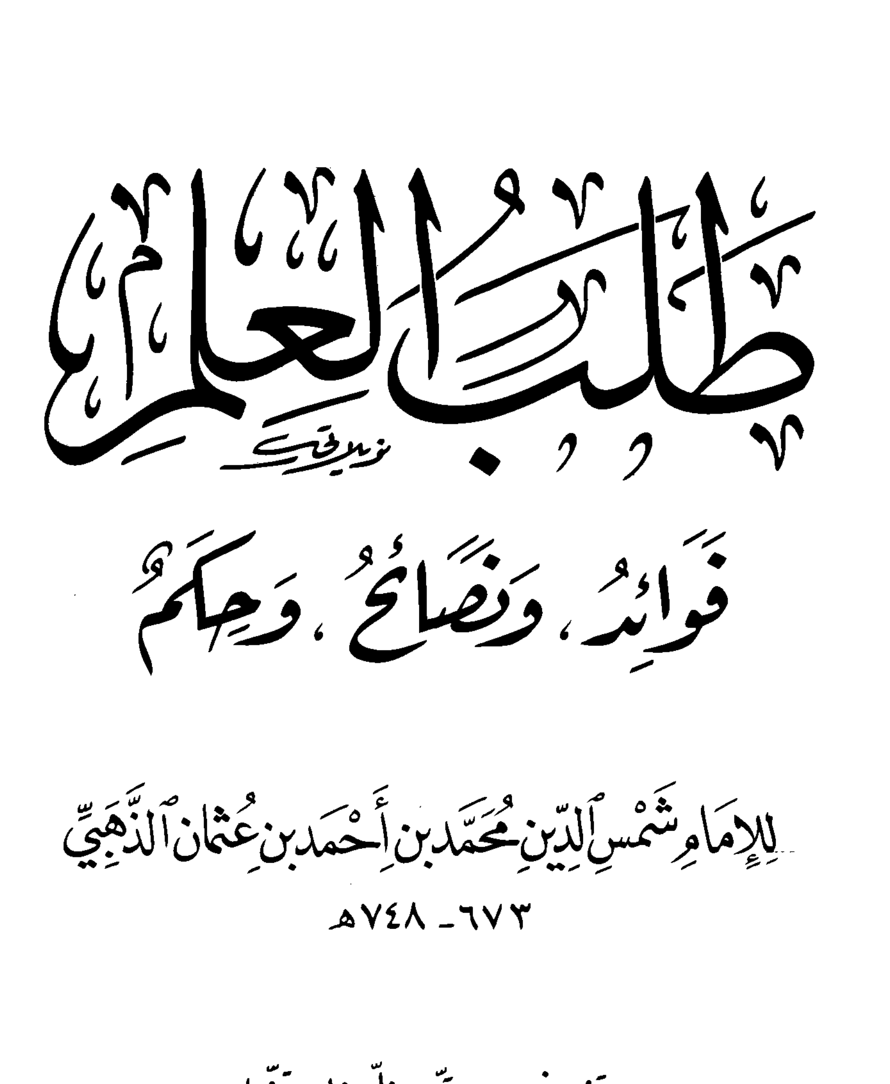
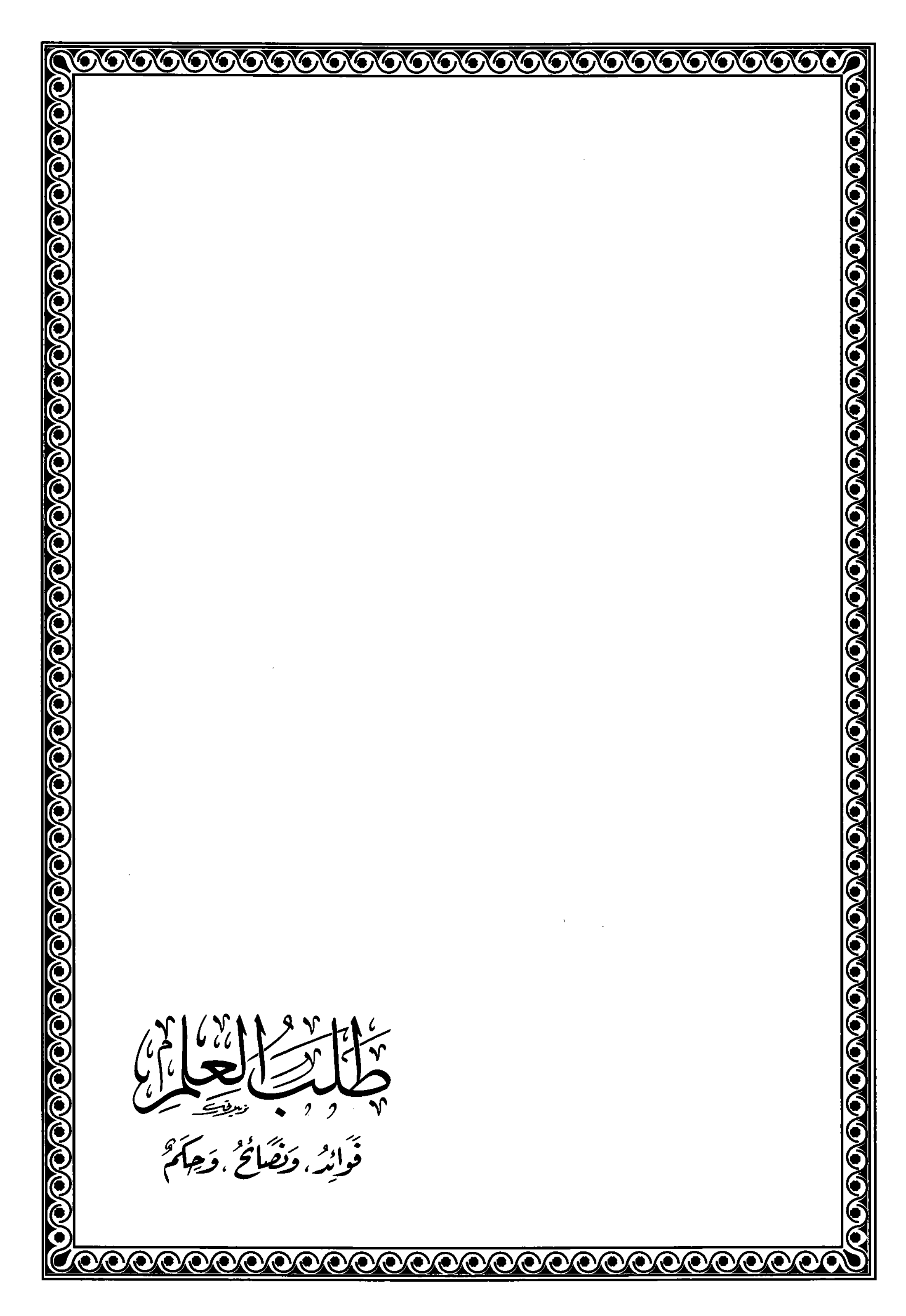

طلب العلم
فوائد، ونصائح، وحكم
للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٦٧٣ - ٧٤٨هـ
استخرج نصوصه ورتبه وعلق عليه وقدم له
خليل بن محمد العربي
دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر



استخرج نصوصه ورتّبه وعلّق عليه وقدّم له

خليل بن محمد العربي

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

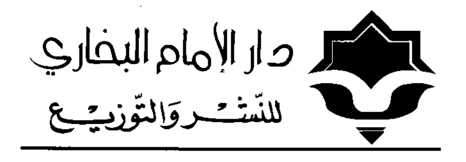

طلب العلم
فوائد، ونصائح، وحكم

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٨/٧٨٢
الرقم الدولي (ردمك): ٤ ـ ١ ـ ٧٦٨ ـ ٩٩٩٢١

حقوق الطبع محفوظة
لدار الإمام البخاري

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣١هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر



الدوحة – قطر – طريق سلوى – بجوار دوار الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٠٠٠ ـ الهاتف: ٠٠٩٧٤٤٦٨٤٨٤٨ ـ الفاكس: ٠٠٩٧٤٤٦٨٥٥٨٨
www.albukhari.org

وبه وحده أستعين

إنَّ الحمْد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛ فهذا كتاب «طلب العلم، فوائد، ونصائح، وحكم»، وهو الإصدار الخامس من موسوعة الإمام شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته ـ أقدمه للقراء الكرام، بعد أن انتهيت من عمل الإصدارات الأربع من نفس الموسوعة، وهذه الإصدارات المنتهية هي:

١ ـ الجرح والتعديل.

٢ ـ المسند المعلل.

٣ ـ الأفراد والغرائب.

٤ ـ السلسبيل في شرح ألفاظ الجرح والتعديل.

والله تعالى أسأل ـ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ـ أن ييسر لي إنهاء

ما تبقى من هذه الموسوعة، وأن يتقبلها مني، إنه هو الغفور الرحيم.

ومما ذكرناه في مقدمة الكتب المذكورة آنفًا: المصادر التي استخرجت منها فوائد هذه الموسوعة، والتي بلغت خمسة وعشرين مصنفًا، ولا بأس أن أعيد ذكرها ها هنا لما فيها من الفائدة، وهي:

الرقم	اسم الكتاب	عدد أجزائه	اختصاره
١	تاريخ الإسلام	٥٢	التاريخ
٢	تذكرة الحفاظ	٤	التذكرة
٣	ترتيب الموضوعات	١	الموضوعات
٤	تلخيص مستدرك الحاكم	٤	تلخيص المستدرك
٥	تنقيح تحقيق ابن الجوزي	١١	التنقيح
٦	حق الجار	١	حق الجار
٧	ديوان الضعفاء	١	الديوان
٨	الدينار من حديث المشايخ الكبار	١	الدينار
٩	ذات النقاب في الألقاب	١	الألقاب
١٠	ذيل تاريخ الإسلام	١	ذيل التاريخ
١١	ذيل ديوان الضعفاء	١	ذيل الديوان
١٢	الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد	١	الرواة الثقات
١٣	سير أعلام النبلاء	٢٣	السير
١٤	الشفاعة	١	الشفاعة
١٥	العلو للعلي العظيم	٢	العلو
١٦	الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة	٣	الكاشف
١٧	الكبائر وتبيين المحارم	١	الكبائر

الرقم	اسم الكتاب	عدد أجزائه	اختصاره
١٨	معجم الشيوخ	٢	معجم الشيوخ
١٩	المعجم المختص	١	المعجم المختص
٢٠	معرفة القراء	٢	قراء
٢١	المعين في طبقات المحدثين	١	طبقات
٢٢	المغني في الضعفاء	٢	المغني
٢٣	من تكلم فيه وهو موثق	١	من تكلم فيه
٢٤	الموقظة في علم الحديث الشريف	١	الموقظة
٢٥	ميزان الاعتدال	٤	الميزان

وبعد أن أتممت ـ بفضل الله تعالى ـ قراءة ما ذكرته من هذه المصنفات مع استخراج الفوائد الحديثية منها، صنفت هذه الفوائد على العناوين الآتي ذكرها:

١ ـ **كتاب الجرح والتعديل**: وهو الإصدار الأول، والذي تم نشره بفضل الله تعالى.

٢ ـ **المسند المعلل**: ويشتمل على كل المرويات التي عللها الإمام الذهبي.

٣ ـ **مناهج الأئمة في مصنفاتهم الحديثية**: وهو كتاب مهم جدًّا، إذ جمعت فيه كل ما بينه الإمام الذهبي من مناهج الأئمة في مصنفاتهم الحديثية، وما وجه إليهم من انتقادات.

٤ ـ **الأفراد والغرائب**: وجعلته محاكيًا لكتاب الأفراد للدارقطني، في ذكر المرويات التي حكم عليها الإمام الذهبي بتفرد أحد رواتها، مصنفًا إياه على مسانيد الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

٥ ـ **السلسبيل في شرح ألفاظ الجرح والتعديل**: أذكر فيه كل ما فسره الإمام الذهبي من أقوال أئمة الجرح والتعديل، وما أورده في ذلك المضمار عن غيره.

٦ ـ **كتاب طلب العلم**: وهو الكتاب الذي بين يديك، وسيأتي الكلام عنه مفصلًا بإذن الله تعالى.

٧ ـ **كتاب مصطلح الحديث**: وفيه كثير من القواعد الحديثية المهمة، والتي قلما توجد في مصنف مستقل بذاته، مع تأصيل لكثير من المسائل الشائكة في علم المصطلح.

٨ ـ **فتح المنان بذكر الأحاديث الصحاح والحسان**: وفيه كل ما صححه أو حسنه الإمام الذهبي.

٩ ـ **المسند**: وهو يشتمل على المرويات التي أوردها الإمام الذهبي بأسانيده الخاصة به.

١٠ ـ **المراسيل**: أذكر فيه ما نص عليه الإمام الذهبي من مراسيل الرواة عمن رووا عنهم.

١١ ـ **الوحدان**: وهو كتاب هام للغاية، وهو عبارة عن ذكر الرواة الذين تفرد عنهم بالرواية راوٍ واحدٍ فقط.

١٢ ـ **كتاب مجموع الفوائد الحديثية**: وهو عبارة عن مجموعة من الفوائد القيّمة كمقادير الكتب، والأجزاء، والأوزان عند السلف الصالح، وكالأوائل والأواخر، وغير ذلك من الفوائد النفيسة.

١٣ ـ **كتاب العقيدة الذهبية**: أذكر فيه كل ما سطره الإمام الذهبي وأصله من عقيدة أهل السنَّة، والرد على أهل الزيغ والبدعة.

١٤ ـ **كتاب الزهد والرقائق والحكمة**: وهو يشتمل على كلام الإمام في الزهد، وتهذيب النفوس على منهج أهل السنَّة.

١٥ ـ **الحكم والأمثال والفكاهة**: أذكر فيه من تعليقات الإمام الذهبي الكثيرة من الفكاهات الطريفة، والأمثلة والحكم اللطيفة.

١٦ ـ **الحكايات المستنكرة**: وهو يشتمل على كثير مما لم يصح من الحكايات المشتهرة على ألسنة العوام، والتي انتقدها الإمام الذهبي بأسلوبه النقدي المشهور به.

وأسأل الله السميع القريب الإعانة والتوفيق على إكمال ما تبقّى من هذه الموسوعة مخلصًا له، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

حول كتاب طلب العلم

مما لا يخفى على أهل العلم عامة، وأهل الحديث خاصة ما كان يتمتع به الإمام شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ من أسلوب ممتع رائق، سلس بليغ أديب، مما يجعل المرء لا يشعر بملالة ولا كلالة من كثرة مطالعة مصنفاته، لينهل من معين لا ينضب.

وقد كان إمامنا حريصًا كل الحرص في كتاباته على إبداء النصح لطلاب العلم، من رسم طريق السلف الصالح، وكيفية كان طلبهم للعلم الشرعي، مع ما كانوا يتمتعون به من آداب وأخلاق لا بد منها لطالب العلم، ثم التحذير من أهل البدع والأهواء، وعدم سلوك مسلكهم البدعي، والتحذير من مصنفاتهم، وذكر ما يجب على طالب العلم تحصيله من علوم، وما يجب عليهم أن يطالعوه من المصنفات العلمية القائمة على كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، وكيفية معاملة طالب العلم لشيوخه، وأدبه معهم، مع ذكر كثير من فضائل سلفنا الصالح، ومع ما كانوا عليه من صحة عقيدة، وبذل للأنفس والمال في تحصيل العلم الشرعي، ولم يألوا في ذلك جهدًا، وكان ذلك من أعظم جهادهم في سبيل الله تعالى، فكان من نتيجته أن ورثوا للأمة ميراثًا لا يُعد ولا يُحصى، فكان ميراثهم مفخرة ـ ولا أيَّ مفخرة ـ للأمة الإسلامية أمام الأمم جميعًا.

فقمت بحول الله وقوته بجمع هذه الدُّرر، وجعلها في كتاب مستقل، في ضمن هذه السلسلة، كي يستفيد منها طالب العلم، وتكون له نورًا ـ بإذن الله تعالى ـ على طريق الطلب والتحصيل.

ورتبته على أربعة أبواب، وكل باب تندرج تحته فصول عدة.

والله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يتقبل مني عملي، وأن يغفر لي زللي، إنه هو البر الرحيم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتب:

أبو عبد الله خليل بن محمد بن عوض الله المطيري العربي

١٧ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ

الموافق: ٧/ ١/ ٢٠٠٧م

الدوحة ـ قطر



في تعريف العلم، وفضله



الفصل الأول

في تعريف العلم

□ «نسأل الله علمًا نافعًا، تدري ما العلمُ النافعُ؟ هو ما نزل به القرآنُ وفسَّره الرسولُ ﷺ قولًا وفعلًا، ولم يأتِ نهي عنه، قال ﷺ: **«مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فليْسَ مِنِّي»**، فعليك يا أخي بتدبُّر كتاب الله، وبإدمان النظر في «الصحيحين»، و«سنن النسائي»، ورياض النواوي وأذكاره، تُفْلِحْ وتَنْجَحْ، وإياك وآراءَ عُبَّاد الفلاسفة، ووظائِفَ أهل الرياضات، وجُوعَ الرهبان، وخطابَ طَيْشِ رؤوس أصحاب الخلوات، فَكُلُّ الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللَّهُمَّ اهدِنَا إلى صراطك المستقيم»[1].

□ «قال عليٌّ رضي الله عنه: حَدِّثوا الناسَ بما يَعرفون، ودعوا ما يُنكرون. وقد صَحَّ أنَّ أبا هُريرة كَتَمَ حديثًا كثيرًا مما لا يحتاجُه المُسلمُ في دينه، وكان يقول: لو بَثَثْتُه فيكم لقُطِعَ هذا البُلعوم. وليس هذا مِن باب كتمان العِلم في شَيءٍ، فإنَّ العلم الواجب يَجب بثُّه ونَشرُه ويجب على الأُمَّة حِفْظُه، والعِلمُ الذي في فَضائل الأعمال مما يَصحُّ إسنادُه يَتعيَّن نقلُه ويتأكَّد نشرُه، وينبغي للأُمَّة نقلُه، والعلمُ المباحُ لا يَجِبُ بثُّه ولا يَنبغي أن يَدخُل فيه إلا خواصُّ العُلماء. والعلمُ الذي يحرم تعلُّمه ونَشره علمُ الأوائِل وإلهيَّات الفَلاسِفة وبعضُ رياضتهم بل أكثرُه، وعلمُ السِّحر، والسِّيمياء، والكيمياء، والشَّعْبَذة، والحِيل، ونشرُ الأحاديث الموضوعةِ، وكثيرٌ من القِصص الباطِلةِ أو المُنكرة، وسيرةُ البَطَّال المختلقة، وأمثالُ ذلك، ورسائلُ إخوان الصَّفا، وشِعرٌ يُعرَضُ فيه إلى الجَناب النبوي، فالعلومُ الباطِلةُ كثيرةٌ جدًّا فَلْتُحْذَر، ومن ابتُلي بالنظرِ فِيها للفُرجةِ والمَعرفة من الأذكياء، فليُقلِّلْ مِن ذلك، وليُطالِعْه وحدَه، وليَستغفرِ الله

---

(١) السير (١٩/ ٣٤٠).

تعالى، وليَلتَجئ إلى التَّوحيد، والدُّعاءِ بالعافِية في الدِّينِ، وكَذلكَ أحاديثُ كثيرةٌ مكذوبةٌ وردَت في الصِّفاتِ لا يَحِلُّ بثُّها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامُها فحسن. اللَّهُم فاحفظ علينا إيمانَنَا، ولا قُوَّة إلا بالله»[١].

□ «قال عثمان بن سعيد من لم يجمع حديث شعبة وسفيان ومالك وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة فهو مفلس في الحديث»، يريد أنه ما بلغ درجة الحفاظ.

وبلا ريب أن من جمع علم هؤلاء الخمسة وأحاط بسائر حديثهم وكتبه عاليًا ونازلًا وفهم علله فقد أحاط بشطر السنَّة النبوية بل بأكثر من ذلك.

وقد عدم في زماننا من ينهض بهذا وببعضه فنسأل الله المغفرة وأيضًا فلو أراد أحد أن يتتبع حديث الثوري وحده ويكتبه بأسانيد نفسه على طولها ويبين صحيحه من سقيمه لكان يجيء مسنده في عشر مجلدات، وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين الستة ومسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقي وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه ويدين بالحديث. فعلى علم الحديث وعلمائه ليبك من كان باكيًا فقد عاد الإسلام المحض غريبًا كما بدأ، فليسع امرؤ في فكاك رقبته من النار فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية ولكنه نور يقذفه الله في القلب وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع. وفقنا الله وإياكم لطاعته»[٢].

□ «قال أبو أسامة: سمعت سفيان يقول: ليس طلب الحديث من عدة الموت، لكنه علة يتشاغل به.

قلت: صدق والله، إن طلب الحديث شيء غير الحديث، فطلب الحديث اسم عرفي لأمور زائدة على تحصيل ماهية الحديث، وكثير منها مراق إلى العلم، وأكثرها أمور يشغف بها المحدث من تحصيل النسخ المليحة وتطلب العالي وتكثير الشيوخ والفرح بالألقاب والثناء وتمني العمر الطويل

---

(١) السير (١٠/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤).

(٢) السير (١٣/ ٣٢٣).

ليروي وحب التفرد إلى أمور عديدة لازمة للأغراض النفسانية لا الأعمال الربانية، فإذا كان طلبك الحديث النبوي محفوفًا بهذه الآفات فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص، وإذا كان علم الآثار مدخولًا فما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الأوائل التي تسلب الإيمان وتورث الشكوك والحيرة التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين، ولا من علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وشعبة، ولا والله عرفها ابن المبارك ولا أبو يوسف القائل: من طلب الدين بالكلام تزندق، ولا وكيع ولا ابن مهدي ولا ابن وهب ولا الشافعي ولا عفان ولا أبو عبيد ولا ابن المديني وأحمد وأبو ثور والمزني والبخاري والأثرم ومسلم والنسائي وابن خزيمة وابن سريج وابن المنذر وأمثالهم، بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك، نعم؛ وقال سفيان أيضًا فيما سمعه منه الفريابي: ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه»[(١)].

«طلب الحديث قدر زائد على طلب العلم، وهو لقب لأمور عرفية قليلة المدخل في العلم، فإذا كان فنون عديدة من علم الآثار النبوية بهذه المثابة، فما ظنك بطلب علم الجدل والعقليات والمنطق اليوناني؟ آهٍ، واحسرتاه على قلة من يعرف دين الإسلام كما ينبغي، وما أحل في القليل المتعين، إذا كان مثل سفيان يود أن ينجو من علمه كفافًا، فما نقول نحن؟ واغوثاه بالله»[(٢)].

□ «عبد الله بن عمر العمري عن الزهري قال: حدثت علي بن الحسين بحديث فلما فرغت قال: أحسنت هكذا حدثناه قلت: ما أراني إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به مني قال: لا تقل ذاك فليس ما لا يعرف من العلم إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن»[(٣)].

□ «كان عاصم ثبتًا في القراءة صدوقًا في الحديث وقد وثقه أبو زرعة وجماعة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقال الدارقطني: في حفظه شيء

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).
(٢) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٣).
(٣) السير (٤/ ٣٩١).

يعني للحديث لا للحروف، وما زال في كل وقت يكون العالم إمامًا في فن مقصرًا في فنون، وكذلك كان صاحبه حفص بن سليمان ثبتًا في القراءة واهيًا في الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتًا في الحديث لينًا في الحروف، فإن للأعمش قراءة منقولة في كتاب المنهج وغيره لا ترتقي إلى رتبة القراءات السبع ولا إلى قراءة يعقوب وأبي جعفر. والله أعلم»[1].

□ «فكم من إمام في فن مقصر عن غيره كسيبويه مثلًا إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عري من غيره، وعبد الرحمٰن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث»[2].

□ «وقال أبو إسماعيل: سمعت يحيى بن عمار يقول: العلوم خمسة: علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه، وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف، وعلم هو هلاك الدين وهو الكلام.

قلت: وعلم الأوائل»[3].

□ «ما أحد إلا وما جهل من علم القرآن أكثر مما علم»[4].

□ «جرير عن مغيرة قال الشعبي: قتادة حاطب ليل، قال: يحيى بن يوسف الزمي: حدثنا ابن عيينة قال لي عبد الكريم الجوزي: يا أبا محمد تدري ما حاطب ليل؟ قلت: لا، قال: هو الرجل يخرج في الليل فيحتطب فيضع يده على أفعى فتقتله، هذا مثل ضربته لك لطالب العلم أنه إذا حمل من العلم ما لا يطيقه، قتله علمه كما قتلت الأفعى حاطب الليل»[5].

□ «حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(١) السير (٥/ ٢٦٠). (٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١).
(٣) السير (١٧/ ٤٨٢)، تاريخ الإسلام (٢٩/ ٩٩).
(٤) السير (٥/ ٢٦٥). (٥) السير (٥/ ٢٧٢).

﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] قال: كفى بالرهبة علمًا اجتنبوا نقض الميثاق فإن الله قدم فيه وأوعد وذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجة، إياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس تواضعوا لله لعل الله يرفعكم»[١].

□ «قال يزيد بن سمرة سمعت عطاء الخراساني يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام»[٢].

□ «قال بقية بن الوليد قال لي الأوزاعي: يا بقية لا تذكر أحدًا من أصحاب نبيك إلا بخير، يا بقية العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم»[٣].

□ «قرأت على إسحاق بن طارق، أخبرنا ابن خليل، أخبرنا أبو المكارم التيمي، ونبأني ابن سلامة، عن أبي المكارم، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا السراج، حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا الحارث بن مسكين، عن ابن وهب قال: قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، لكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي، فالزمه»[٤].

□ «أبو حاتم: حدثنا محمد بن يحيى بن حسان، سمعت الشافعي يقول: العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث»[٥].

□ «وعن الشافعي: العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ»[٦].

□ «أخبرنا أبو الحسين اليونيني أخبرنا جعفر أخبرنا السلفي أخبرنا المبارك الطيوري أخبرنا الفالي أخبرنا أحمد بن خربان حدثنا أبو محمد الرامهرمزي حدثنا زنجويه بن محمد النيسابوري بمكة حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري سمعت علي بن المديني يقول: التفقه في معاني الحديث نصف العلم

---

(١) السير (٥/ ٢٧٦).
(٢) السير (٦/ ١٤٢)، الميزان (٣/ ٧٥).
(٣) السير (٧/ ١٢٠).
(٤) السير (٦/ ٩٧).
(٥) السير (١٠/ ٤١).
(٦) السير (١٠/ ٨٩).

ومعرفة الرجال نصف العلم»[1].

◻ «قال بقية: قال لي الأوزاعي: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن الصحابة فليس بعلم»[2].

◻ «حرملة: نا ابن وهب: سمعت مالكًا، وقال له رجل: طلب العلم فريضة؟

قال: طلب العلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى»[3].

◻ «وقد ذُكر معروف عند أحمد بن حنبل، فقالوا: قصير العلم. فقال للقائل: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟»[4].

◻ «قال إسحاق بن الطباع: قال لي ابن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالم بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالم بالله»[5].

◻ «قال أبو إسماعيل الأنصاري سمعت عبد الصمد بن محمد بن محمد يقول: سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله: النبوة العلم والعمل وحكموا عليه بالزندقة وهجروه وكتب فيه إلى الخليفة فأمر بقتله.

وسمعت غيره يقول لذلك أخرج إلى سمرقند.

قلت: ولقوله هذا محمل سائغ إن كان عناه أي عماد النبوة العلم والعمل لأن الله لم يؤت النبوة والوحي إلا من اتصف بهذين النعتين وذلك لأن النبي ﷺ يصير بالوحي عالمًا، ويلزم من وجود العلم الإلهي العمل الصالح فصدق بهذا الاعتبار قوله: النبوة العلم اللدني والعمل المقرب إلى الله فالنبوة إذًا تفسر بوجود هذين الوصفين الكاملين ولا سبيل إلى تحصيل هذين الوصفين بكمالهما إلا بالوحي الإلهي، وهو علم يقيني ما فيه ظن، وعلم غير الأنبياء منه يقيني وأكثره ظني ثم النبوة ملازمة للعصمة ولا عصمة لغيرهم ولو

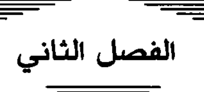
---

(١) السير (١١/ ٤٧ ـ ٤٨).
(٢) التاريخ (٩/ ٤٩٠).
(٣) التاريخ (١١/ ٣٣١).
(٤) التاريخ (١٣/ ٤٠١).
(٥) ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٢).

بلغ في العلم والعمل ما بلغ والخبر عن الشيء يصدق ببعض أركانه وأهم مقاصده، غير أنا لا نسوغ لأحد إطلاق هذا إلا بقرينة كقوله عليه الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**» وإن كان عنى الحصر أي ليس شيء إلا العلم والعمل فهذه زندقة وفلسفة»[١].



(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).



الفصل الثاني

فضائل العلم

١ ـ أنه إرث الأنبياء:

▫ «روى الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: كان عبد الله بن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله. وكان علقمة يشبه بعبد الله في ذلك.

قال جرير بن عبد الحميد: وكان إبراهيم النخعي يشبه بعلقمة في ذلك، وكان منصور يشبه بإبراهيم.

وقيل: كان سفيان الثوري يشبه بمنصور، وكان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد»[(١)].

▫ «قال محمد بن غيلان سمعت أبا أسامة يقول: كان عمر في زمانه رأس الناس وهو جامع، وكان بعده ابن عباس في زمانه، وبعده الشعبي في زمانه، وكان بعده سفيان الثوري، وكان بعد الثوري يحيى بن آدم.

قلت: قد كان يحيى بن آدم من كبار أئمة الاجتهاد وقد كان عمر كما قال في زمانه، ثم كان علي وابن مسعود ومعاذ وأبو الدرداء، ثم كان بعدهم في زمانه زيد بن ثابت وعائشة وأبو موسى وأبو هريرة، ثم كان ابن عباس وابن عمر، ثم علقمة ومسروق وأبو إدريس وابن المسيب، ثم عروة والشعبي والحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاووس وعدة، ثم الزهري وعمر بن عبد العزيز وقتادة وأيوب، ثم الأعمش وابن عون وابن جريج وعبيد الله بن عمر، ثم الأوزاعي وسفيان الثوري ومعمر وأبو حنيفة وشعبة، ثم مالك والليث وحماد بن زيد وابن عيينة، ثم ابن المبارك ويحيى القطان ووكيع

---

(١) السير (١٣/٢١٦).

وعبد الرحمٰن وابن وهب، ثم يحيى بن آدم وعفان والشافعي وطائفة، ثم أحمد وإسحاق وأبو عبيد وعلي بن المديني وابن معين، ثم أبو محمد الدارمي ومحمد بن إسماعيل البخاري وآخرون من أئمة العلم والاجتهاد»[1].

٢ ـ أنه يبقى:

▫ «قال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: كان في الناس رؤساء، كان سفيان الثوري رأسًا في الحديث، وأبو حنيفة رأسًا في القياس، والكسائي رأسًا في القراء، فلم يبق اليوم رأس في فن من الفنون.

قلت: كان بعد طبقة هؤلاء رؤوس، فكان عبد الرحمٰن بن مهدي رأسًا في الحديث، وأبو عبيدة معمر رأسًا في اللغة، والشافعي رأسًا في الفقه، ويحيى اليزيدي رأسًا في القراءات، ومعروف الكرخي رأسًا في الزهد.

ثم كان بعدهم ابن المديني رأسًا في الحديث وعلله، وأحمد بن حنبل رأسًا في الفقه والسنَّة، وأبو عمر الدوري رأسًا في القراءات، وابن الأعرابي رأسًا في اللغة، والسري السقطي في الزهد.

ويمكن أن نذكر في كل طبقة بعد ذلك أئمة على هذا النمط، إلى زماننا، فرأس المحدثين اليوم أبو الحجاج القضاعي المزي، ورأس الفقهاء القاضي شرف الدين البارزي، ورأس المقرئين جماعة، ورأس العربية أبو حيان الأندلسي، ورأس العباد الشيخ علي الواسطي، ففي الناس بقايا خير، ولله الحمد»[2].

▫ «قال الخطيب: أنشدني أبو يعلى بن الفراء، أنشدنا عيسى بن علي لنفسه:

رب ميت قد صار بالعلم حيًا ... ومبقى قد حاز جهلًا وغيًا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا ... لا تعدُّو الحياة في الجهل شيًا»[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).
(٢) السير (٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).
(٣) السير (١٦/ ٥٥٠).

٣ ـ أن العلم نور يستضيئ به العبد:

□ «أخبرنا إبراهيم بن أبي الحسن وأحمد بن هبة الله قالا: أنا أبو نصر عبد الرحيم بن محمد، نا أبو القاسم الحافظ، أنا علي بن إبراهيم الحسيني، أنا وشا بن نظيف، أنا الحسن بن إسماعيل، ثنا أحمد بن مروان، نا يحيى بن المختار، ثنا بشر بن الحارث، سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أحد من أهل العلم إلا في وجهه نضرة لقول النبي ﷺ: **«نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا»**[(١)].

□ «وعن حاتم الأصم: من أصبح مستقيمًا في أربع فهو بخير: التفقه، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة»[(٢)].

□ «وصح عن ربيعة الرأي قال: العلم وسيلة إلى كل فضيلة»[(٣)].

□ «ومن كلام عمرو بن عثمان بن كرب المكي الزاهد: العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرُّون بين ذلك جموح، خداعة، رواغة، فاحذرها وراعها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف»[(٤)].

٤ ـ أن السلف الصالح رغَّبوا فيه:

□ «منصور، عن سالم بن أبي الجعد، قال أبو الدرداء: ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، تعلموا، فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر»[(٥)].

□ «مبارك بن سعيد الثوري، عن سفيان، عن جعفر بن برقان، قال وهب: طوبى لمن شغله عيبه عن عيب أخيه، طوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة، طوبى لمن تصدق من مال جمعه من غير معصية، طوبى لأهل الضر وأهل المسكنة، طوبى لمن جالس أهل العلم والحلم، طوبى لمن اقتدى بأهل

---

(١) معجم الشيوخ (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣).
(٢) السير (١١/ ٤٨٥).
(٣) التاريخ (٨/ ٤٢٢).
(٤) التاريخ (٢٣/ ٧١).
(٥) السير (٢/ ٣٤٧).

العلم والحلم والخشية، طوبى لمن وسعته السنَّة فلم يعدُها»[1].

◻ «قال الخطيب: سمعت ابن رزقويه يقول: والله ما أحب الحياة إلا للذكر وللتحديث»[2].

٥ ـ أن صاحبه يأنس به:

◻ «نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟»[3].

◻ «قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس»[4].

◻ «وعن الفضيل قال: كفى بالله محبًّا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا، وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلًا»[5].

◻ «ويروى أن العمري كان يلزم المقبرة كثيرًا، ومعه كتاب ينظر فيه، وقال: ليس شيء أوعظ من قبر، ولا آنس من كتاب»[6].

◻ «حدثني مسعود بن أحمد الحافظ، أنا عثمان بن هبة الله بن أبي المجد بالثغر، أنا عبد الرحمٰن بن مكي، أنا محمد بن أحمد الرازي، أنا أحمد بن القاسم بن حمزة، أنا أبو نزار أحمد بن عبد القوي بن جبريل، نا أبو النجا وهو محمد بن المطهر الفارض، سمعت أحمد بن يحيى بن أبي المهاجر، سمعت يحيى بن عثمان بن صالح، سمعت يحيى بن أكثم يقول:

جالست الخلفاء وناظرت العلماء، فلم أر شيئًا أحلى من قول المستملي: من ذكرت يرحمك الله»[7].

---

(١) السير (٤/ ٥٥٢).
(٢) السير (١٧/ ٢٥٩).
(٣) السير (٨/ ٣٨٢)، التاريخ (١٢/ ٢٣٥).
(٤) السير (٨/ ٣٩٨)، التاريخ (١٢/ ٢٣٥).
(٥) السير (٨/ ٤٤٠).
(٦) التاريخ (١٢/ ٢١٥).
(٧) معجم الشيوخ (٢/ ٣٣٩).

□ «أنشدني شيخنا موفق الدين لنفسه:

قـــرأت الـــقـــرآن وأقـــرأتـــه	ومـا زلـت مـغـرى بـه مـغـرمـا
وطـفـت الـبـلاد عـلـى جـمـعـه	فـصـرت بـه فـي الـورى مكـرمـا
وألـفـيـت إلـفـي بـطـلابـه	فـيـا نـعـم مـا زادنـي أنـعـمـا
ويـا فـوز مـن لـم يـزل دأبـه	ومـا أجـزل الأجـر مـا أعـظـمـا
فـلـلـه أحـمـد مـهـمـا أعـش	وفـي الـموت أسـأل أن يـرحـمـا
وأصـفـي الـصـلاة نـبـي الـهـدى	ومـن فـوق كـل سـمـاء سـمـا
وأفـشـي الـسـلام عـلـى آلـه	وأصـحـابـه والـرضـى عنـهـمـا»[1].

٦ ـ أن صاحبه يصدع بالحق:

□ «الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملًا، فهو صديق، ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله»[2].

٧ ـ أن أهل العلم أحد صنفي ولاة الأمر:

□ «الإمام إذا كان له عقل جيد ودين متين صلح به أمر الممالك، فإن ضعف عقله وحسنت ديانته حمله الدين على مشاورة أهل الحزم فتسددت أموره ومشت الأحوال، وإن قل دينه ونبل رأيه تعبت به البلاد والعباد وقد يحمله نبل رأيه على إصلاح ملكه ورعيته للدنيا لا للتقوى، فإن نقص رأيه وقل دينه وعقله كثر الفساد وضاعت الرعية وتعبوا به إلا أن يكون فيه شجاعة وله سطوة وهيبة في النفوس فينجبر الحال، فإن كان جبانًا قليل الدين عديم الرأي كثير العسف فقد تعرض لبلاء عاجل وربما عزل وسجن إن لم يقتل وذهبت عنه الدنيا وأحاطت به خطاياه وندم والله حيث لا يغني الندم، ونحن آيسون

---

(١) التاريخ (٥٢/ ٢٧٥)، معرفة القراء (٢/ ٧١١).

(٢) السير (١١/ ٢٣٤).

اليوم من وجود إمام راشد من سائر الوجوه فإن يسر الله للأمة إمامًا فيه كثرة محاسن وفيه مساوئ قليلة فمن لنا به، اللَّهُم فأصلح الراعي والرعية وارحم عبادك ووفقهم وأيد سلطانهم وأعنه بتوفيقك»[١].

٨ ـ أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله:

□ «الفقيه من جاهد في سبيل الله، وأقام حدود الله مع الرحمة بخلق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

٩ ـ أن الخير في العلم:

□ «أخبرنا عمر بن محمد الفارسي وجماعة، قالوا: أنا عبد الله بن عمر، أنا عبد الأول بن عيسى، أنا عبد الرحمٰن بن محمد، أنا عبد الله بن حمويه، أنا عيسى بن عمر، أنا عبد الله بن عبد الرحمٰن، أنا معلى بن أسد، نا سلام ـ هو ابن أبي مطيع ـ، سمعت أبا الهزهاز يحدث عن الضحاك قال: قال عبد الله بن مسعود: اغد عالمًا، أو متعلمًا، ولا خير فيما سواهما»[٣].

١٠ ـ أن العالم نور يُهتدى به:

□ «أخبرنا أحمد بن سلامة في كتابه عن خليل بن أبي الرجاء، وأنبأنا محمد بن سليمان، وعبد المحسن بن محمد، وإسماعيل بن صالح، وجماعة قالوا: أنبأنا يوسف بن خليل، أنبأنا خليل بن بدر، أنبأنا أبو علي الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن عبد الله بن كناسة، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم بأن ينتزعه انتزاعًا، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[٤].

---

(١) السير (٢٠/٤١٨).
(٢) معجم الشيوخ (١/ ٢٤).
(٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٦٣).
(٤) السير (٦/ ٣٦).

□ «قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم»[1].

□ «هشام، عن الحسن، قال: كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وزهده، ولسانه، وبصره»[2].

□ «محمد بن كثير المصيصي، عن ابن عيينة قال: بكى ربيعة يومًا، فقال: ما يبكيك؟ قال: رياء حاضر، وشهوة خفية. والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمروا ائتمروا، وإن نهوهم، انتهوا»[3].

□ «ويروى بطريقين عن الشافعي قال: إذا رأيت رجلًا من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيرًا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل»[4].

□ «ويروى عن الشافعي: لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر»[5].

□ «وقال أبو بكر بن إسحاق الصبغي، وقيل له: ألا تنظر إلى تمكن أبي علي الثقفي في عقله؟ فقال: ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة. قيل: وكيف ذاك؟ قال إن مالكًا كان من أعقل أهل زمانه وكان يقال صار إليه عقل الذين جالسهم من التابعين فجالسه يحيى بن يحيى النيسابوري فأخذ من عقله وسمته ثم جالس يحيى بن يحيى محمد بن نصر سنين حتى أخذ من سمته وعقله فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل من ابن نصر ثم إن أبا علي الثقفي جالسه أربع سنين فلم يكن بعده أعقل من أبي علي»[6].

□ «**قلت**: الكتابة مسلَّمة لابن البواب كما أن أقرأ الأمة أُبي بن كعب وأقضاهم علي وأفرضهم زيد وأعلمهم بالتأويل ابن عباس وأمينهم أبو عبيدة وعابرهم محمد بن سيرين وأصدقهم لهجة أبو ذر وفقيه الأمة مالك ومحدثهم أحمد بن حنبل ولغويهم أبو عبيد وشاعرهم أبو تمام وعابدهم الفضيل

---

(١) السير (٤/ ٣٢٦).
(٢) السير (٤/ ٥٨٣).
(٣) السير (٦/ ٩٠).
(٤) السير (١٠/ ٥٩ ـ ٦٠، ٦٩).
(٥) السير (١٠/ ٧٠).
(٦) السير (١٤/ ٣٤ ـ ٣٥).

وحافظهم سفيان الثوري وأخباريهم الواقدي وزاهدهم معروف الكرخي ونحويهم سيبويه وعروضيهم الخليل وخطيبهم ابن نباتة ومنشئهم القاضي الفاضل وفارسهم خالد بن الوليد رحمهم الله»(١).

□ «أخبرنا الفضل أحمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا أبو المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد، أخبرنا هبة الرحمٰن بن عبد الواحد الصوفي، أخبرنا المرتضى أبو المعالي محمد بن محمد العلوي، أخبرنا أبو الحسن علي بن طلحة البصري، حدثنا صالح بن أحمد الهمذاني الحافظ، حدثنا إبراهيم بن عمروس، حدثنا أبو عبد الله الجرجاني، حدثنا الفريابي، حدثنا سفيان الثوري، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]. قال: الربانيون: العلماء الفقهاء، وهم فوق الأحبار»(٢).

١١ ـ أن الله يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة:

□ «عن أبي خلدة، عن أبي العلية، قال: كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك على الأسرة.

قلت: هذا كان سرير دار الإمرة لما كان ابن عباس متوليها لعلي رضي الله عنهما»(٣).

□ «قال الأصمعي دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال يا أبا محمد حاجتك قال: يا أمير المؤمنين؛ اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست

(١) السير (١٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٢) السير (١٨/ ٥٢٤).
(٣) السير (٤/ ٢٠٨)، التذكرة (١/ ٦٢).

هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك. فقال له: أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها فما حاجتك قال: ما لي إلى مخلوق حاجة ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد»[1].

◻ «قال أحمد بن حنبل: كان شعبة لا يقدم على عمرو بن دينار أحدًا، لا الحكم، ولا غيره في الثبت، قال: وكان عمرو مولى هؤلاء، ولكن الله شرَّفه بالعلم»[2].

◻ «قال داود بن مخراق: من أراد شرف الدنيا والآخرة، فليتعلم العلم»[3].

◻ «عمر بن شبة: قال لي محمد بن منصور، قال عمرو بن الحارث: الشرف شرفان: شرف العلم، وشرف السلطان، وشرف العلم أشرفهما»[4].

◻ «قال أبو قطن، عن شعبة: ساد سفيان الناس بالورع والعلم»[5].

◻ «عمر بن مدرك: حدثنا القاسم بن عبد الرحمٰن، حدثنا أشعث بن شعبة المصيصي، قال: قدم الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قدم. قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان»[6].

◻ «وجاء أن ابن المبارك سُئل: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه، يعني: من أمراء الظلمة. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم»[7].

---

(١) السير (٥/ ٨٤ ـ ٨٥).
(٢) السير (٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).
(٣) التاريخ (١٤/ ٤١٣).
(٤) السير (٦/ ٣٥٢).
(٥) السير (٧/ ٢٣٨).
(٦) السير (٨/ ٣٨٤).
(٧) السير (٨/ ٣٩٩).

□ «المُزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه»[1].

□ «إسحاق المنجنيقي: حدثنا القاسم بن محمد المؤدب، عن محمد بن أبي بشر، قال: أتيت أحمد بن حنبل في مسألة، فقال: ائت أبا عبيد، فإن له بيانًا لا تسمعه من غيره. فأتيته فشفاني جوابه. فأخبرته بقول أحمد، فقال: ذاك رجل من عمال الله، نشر الله رداء عمله، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محببًا مألوفًا. ما رأت عيني بالعراق رجلًا اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، فإنه لكما قيل:

يزينك إما غاب عنك فإن دنا	رأيت له وجهًا يسرك مقبلًا
يعلم هذا الخلق ما شذ عنهم	من الأدب المجهول كهفًا ومعقلًا
ويحسن في ذات الإله إذا رأى	مضيمًا لأهل الحق لا يسأم البلا
وإخوانه الأدنون كل موفق	بصير بأمر الله يسمو على العلا»[2].

□ «قال أبو محمد الدارمي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه»[3].

□ «وامتلأت البلاد بمختصر المُزني في الفقه، وشرحه عدة من الكبار، بحيث يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة بمختصر المُزني»[4].

□ «ترك الإمام أحمد التحديث لله لما في النفس فيه من [الحظ]، فملأ الله البلاد بحديثه، وعاش ولده، وروى عنه شيئًا كثيرًا إلى الغاية، ونفع الله به العلماء والفقهاء والمحدثين. فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع»[5].

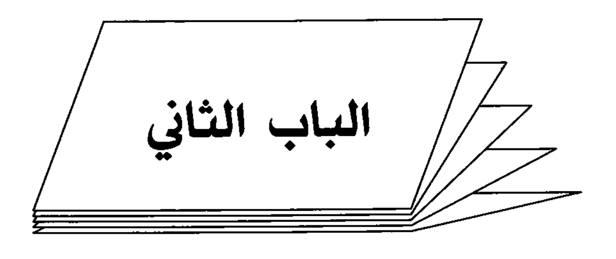
---

(١) السير (١٠/ ٢٤).
(٢) السير (١١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٣) السير (١١/ ٣٧١).
(٤) السير (١٢/ ٤٩٣).
(٥) التاريخ (٢٢/ ٩٦ ـ ٩٧).

□ «وروى محمد بن علي الباهلي، عن شيخ من قريش: أهوى هشام بن عروة إلى يد المنصور يقبلها فمنعه، وقال: يابن عروة إنا نكرمك عنها، ونكرمها عن غيرك»[1].



(١) الميزان (٤/ ٣٠٢).



في آداب طالب العلم، والأسباب المعينة على تحصيله





الفصل الأول

في آداب طالب العلم

١ ـ الإخلاص:

□ «قال عون بن عمارة: سمعت هشامًا الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله ﷻ.

قلت: والله ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يُقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولًا لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. فهذا أيضًا حسن. ثم نشروه بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثنى عليهم، فلهم ما نووا.

قال ﷺ: **«من غزا ينوي عقالًا فله ما نوى»**. وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى»[١].

□ «قال أبو محمد بن حُميْد المعْمري: قال معمر: لقد طلبنا هذا الشَّأن وما لنا فيه نية، ثم رزقنا الله النية من بعدُ.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر قال: كان يُقال: إن الرَّجل يطلبُ العلمَ لغير الله، فيأبى عليه العلمُ حتى يكونَ لله.

قلت: نعم، يطلبه أولًا، والحامل له حُبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهلِ

---

(١) السير (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

عنه، وحُبُّ الوظائف، ونحو ذلك. ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صِدقَ النيَّة، فإذا علم، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئُه النية الصَّالحة كلُّها أو بعضها، وقد يتوبُ من نيته الفاسدة ويندمُ. وعلامة ذلك أنه يُقْصِر من الدَّعاوي وحبِّ المناظرة، ومِن قصْد التكثر بعلمه، ويُزري على نفسه، فإن تكثَّر بعلمه، أو قال: أنا أعلمُ مِن فلان فَبُعْدًا له»[١].

▫ «عبد الرحمٰن بن مهدي، عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد أحب الشهرة.

قلت: علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرَدُ ولا يُبرِّئ نفسه، بل يعرف بذلك، ويقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبًا بنفسه، لا يشعر بعيوبها؛ بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن»[٢].

▫ «وكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر والرياء، وطلب العلم ليُقال، وحُبَّ الرياسة والمشيخة»[٣].

▫ «وما زال العلماء قديمًا وحديثًا يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يُعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور والتكثر، فيقوم عليه قضاة وأضداد، نسأل الله حسن الخاتمة، وإخلاص العمل»[٤].

▫ «عاصم الأحول، عن بكر المُزني، قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: اتَّقُوها بالتقوى. فقيل له: صف لنا التقوى. فقال: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وتركُ معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله.

قلتُ: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم

---

(١) السير (٧/ ١٧).
(٢) السير (٧/ ٣٩٣).
(٣) السير (١١/ ٣٦٣).
(٤) السير (١٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

والاتباع. ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليُمْدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»[1].

□ «قال ابن فارس في بعض أماليه: سمعت أبا الحسن القطان يقول: أصبت ببصري، وأظن أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة.

قلت: صدق والله، فقد كانوا مع حسن القصد، وصحة النية غالبًا، يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة، واليوم يكثرون الكلام مع نقص العلم، وسوء القصد. ثم إنَّ الله يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم فيما علموه. فنسأل الله التوفيق والإخلاص»[2].

□ «وكان البغوي يلقب بمحيي السنَّة وبركن الدين، وكان سيدًا إمامًا، عالمًا علامة، زاهدًا قانعًا باليسير، كان يأكل الخبز وحده، فعُذل في ذلك، فصار يأتدم بزيت، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها»[3].

□ «مالك بن مغول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئًا.

قلت: لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعمل به، وينبه الجاهل، فيأمره وينهاه، ولأنه مظنة أن لا يُخْلِصَ فيه، وأن يفتخر به ويُماري به، لينال رئاسة ودُنيا فانية»[4].

□ «لم يتلمذ الشيخ حسن الراشدي لغير الجمال الضرير، ولا تلمذ شيخنا مجد الدين لغير الشيخ حسن. وكل منهما قد اشتهر ذكره وبعد صيته، ولا سيما شيخنا وما ذاك إلا بصدق النية وحسن القصد»[5].

---

(١) السير (٤/ ٦٠١).
(٢) السير (١٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).
(٣) السير (١٩/ ٤٤١)، التذكرة (٤/ ١٢٥٨).
(٤) السير (٤/ ٣٠٣).
(٥) التاريخ (٥١/ ٢١٤).

□ «وعن شعبة قال: وددتُ أني وقَّاد حمَّام، وأني لم أعرف الحديث.

قلت: كل من حاقق نفسه في حصة نيته في طلب العلم يخافُ مِن مثل هذا، ويودُّ أن ينجو كفافًا»[1].

□ «قال أبو أسامة: سمعت سفيان يقول: ليس طلب الحديث من عدة الموت، لكنه علة يتشاغل بها الرجل.

قلت: صدق والله إن طلب الحديث شيء غير الحديث، فطلب الحديث اسم عرفي لأمور زائدة على تحصيل ماهية الحديث وكثير منها مراق إلى العلم، وأكثرها أمور يشغف بها المحدث من تحصيل النسخ المليحة، وتطلب العالي، وتكثير الشيوخ، والفرح بالألقاب، والثناء، وتمني العمر الطويل ليروي، وحب التفرد، إلى أمور عديدة لازمة للأغراض النفسانية لا الأعمال الربانية.

فإذا كان طلبك الحديث النبوي محفوفًا بهذه الآفات فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص؟!

وإذا كان علم الآثار مدخولًا فمَا ظنُّك بعلمِ المنطقِ والجَدَلِ وحكمةِ الأوائل التِّي تسلب الإيمانَ، وتُورث الشكوكَ والحيرةَ التِّي لم تكنْ ـ واللهِ ـ من علم الصَّحابةِ، ولا التَّابعينَ، ولا من علم الأوزَاعيِّ، والثوريِّ، ومالكٍ، وأبي حنيفةَ، وابن أبي ذئبٍ، وشعبةَ، ولا ـ واللهِ ـ عرفَها ابنُ المبارك، ولا أبُو يوسُف القائلُ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكَلام تَزَنْدَقَ، ولا وكيعٌ، ولا ابنُ مهديٍّ، ولا ابنُ وهبٍ، ولا الشافعيُّ، ولا عفَّانُ، ولا أبُو عبيدٍ، ولا ابنُ المدينيِّ، وأحمدُ، وأبُو ثورٍ، والمُزَنيُّ، والبخاريُّ، والأثرمُ، ومسلمٌ، والنسائيُّ، وابنُ خزيمةَ، وابنُ سريجٍ، وابنُ المنذرِ وأمثالُهم؛ بلْ كانت علومُهُم القُرآنَ والحدِيثَ والفقْهَ والنحْوَ وشبَه ذلك.

نعم، وقَالَ سُفيان أيضًا فيمَا سمعَه منه الفِرْيابيُّ: مَا مِنْ عَمَلٍ أفْضلُ مِنْ

---

(١) السير (٧/ ٢١٣).

طَلَبِ الحَديثِ إذَا صَحَّتِ النيةُ فيهِ»[1].

□ «وترك عبد الله بن داود الخريبي التحديث تدينًا إذ رأى طلبهم له بنية مدخولة»[2].

□ «أحمد بن يونس اليربوعي: حدثنا معاوية بن حفص، عن داود بن مهاجر، عن ابن محيريز، سمع فضالة بن عبيد، وقلت له: أوصني: قال خصال ينفعك الله بهنَّ: إن استطعت أن تَعرف ولا تُعرف، فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تكلَّم، فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلس إليك، فافعل»[3].

□ «قال رشدين بن سعد: حدثنا الحجاج بن شداد، سمع عبيد الله بن أبي جعفر، وكان أحد الحكماء، قال: إذا كان المرءُ يحدِّثُ في مجلس، فأعجبه الحديث، فليمسك. وإذا كان ساكتًا، فأعجبه السكوتُ، فليتحدَّث»[4].

□ «زيد بن الحباب: حدثنا خالد بن دينار، عن أبي العالية، قال: تعلمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا رُئي في ثوبي مداد قط»[5].

□ «وعن الربيع بن خثيم قال: كل ما لا يُراد به وجه الله يضمحل»[6].

□ «روى الأجلح، عن مجاهد، قال: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد»[7].

□ «ابن المبارك: قال لي سُفيان: إياك والشُّهرة، فما أتيتُ أحدًا إلا وقد نهى عن الشُّهرة»[8].

□ «قال علي بن ثابت الجزري: سمعت سفيان يقول: طلبت العلم، فلم يكن لي نية، ثم رزقني الله النية»[9].

---

(١) التذكرة (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).
(٢) السير (٩/ ٣٥١).
(٣) السير (٣/ ١١٦).
(٤) السير (٦/ ١٠).
(٥) السير (٤/ ٢١٠).
(٦) السير (٤/ ٢٥٩).
(٧) السير (٤/ ٤٥٢)، التاريخ (٧/ ٢٣٧).
(٨) السير (٧/ ٢٦٠).
(٩) السير (٧/ ٢٧٢)، التاريخ (١٠/ ٢٢٥).

□ «أبو الوليد وحبان: أن همامًا قال: إني لأستحيي من الله أن أنظر في الكتاب، وأحفظ الحديث لكي أحدث الناس»[1].

□ «أخبرنا أحمد بن إبراهيم الجُلودي وغيره: أن عبد الله بن اللَّتِّي أخبرهم، قال: أنبأنا جعفر بن المتوكل، أنبأنا أبو الحسن بن العلاف، حدثنا الحمَّامي، حدثنا جعفر الخلدي، حدثني إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيُّ دين لو كان له رجال! من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول، والله ما الحياة بثقة، فيُرجى نومها، ولا المنية بعذب، فيؤمن عُذْرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء؟ قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني»[2].

□ «قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل إذا أفاد إنسانًا شيئًا، لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنه استفاد منه.

قلت: صار طوائف في زماننا بالعكس»[3].

□ «قال إسحاق بن الطباع: سمعت حماد بن سلمة يقول: من طلب الحديث لغير الله تعالى مُكر به»[4].

□ «قال أبو العباس بن مسروق: حدثنا أيوب العطار: سمعت بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ يقول: حدثنا حماد بن زيد، ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد في القلب خُيلاء»[5].

□ «ابن وهب سمعت مالكًا يقول: ما تعلمت العلم إلا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناس إليَّ، وكذلك كان الناس»[6].

□ «محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا

---

(١) السير (٧/ ٢٩٩).
(٢) السير (٧/ ٣٩٤).
(٣) السير (٧/ ٤٣١).
(٤) السير (٧/ ٤٤٨)، التاريخ (١٠/ ١٥٠)، التذكرة (١/ ٢٠٣)، الميزان (١/ ٥٩٤).
(٥) السير (٧/ ٤٦١).
(٦) السير (٨/ ٦٦).

نعيم بن حماد، سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

قلت: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله»[١].

□ «قال عبد الصمد مردويه الصائغ: قال لي ابن المبارك: إن الفضيل بن عياض صدق الله، فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمُه»[٢].

□ «وعن أبي بكر بن عياش قال: الدخول في العلم سهل، لكن الخروج منه إلى الله شديد»[٣].

□ «وعن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس، فرحت، وإذا قلَّوا، حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء، فلا تعد إليه، فما عدتُ إليه»[٤].

□ «وبلغنا عن ابن مهدي قال: ما هو ـ يعني الغرام بطلب الحديث ـ إلا مثل لعب الحمام ونطاح الكباش.

قلت: صدق والله إلا لمن أراد به الله، وقليل ما هم»[٥].

□ «قال زيد بن أخزم: سمعت الخريبي يقول في الحديث: من أراد به دنيا، فدنيا، ومن أراد به آخرة، فآخرة»[٦].

□ «قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني»[٧].

□ «قال يعقوب بن بختان: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحسنت فيه نيته، وأما أنا،

---

(١) السير (٨/ ٩٧).
(٢) السير (٨/ ٤٢٥).
(٣) السير (٨/ ٥٠٣).
(٤) السير (٩/ ١٩٦).
(٥) السير (٩/ ٢٠٧).
(٦) السير (٩/ ٣٤٩).
(٧) السير (١٠/ ٥٥).

فأستغفر الله من طلبه، ومن كل خطوة خطوت فيه»[1].

▫ «وعن بشر بن الحارث قال: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

وعنه قال: لا تعمل لتُذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة»[2].

▫ «قال أحمد بن حنبل: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أُعرف، قد بُليتُ بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحًا مساءً»[3].

▫ «وعن حاتم الأصم قال: من أصبح مستقيمًا في أربع فهو بخير: التفقه، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة.

وعنه قال: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملتَ، فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمتَ، فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ، فاذكر علمَ الله فيك»[4].

▫ «وعن سحنون قال: كان بعض مَن مضى يريد أن يتكلم بالكلمة، ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير، فيحبسها، ولا يتكلم بها مخافة المباهاة»[5].

▫ «وعن سحنون قال: سُرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنة من فتنة المال»[6].

▫ «ومات أبو إسحاق الشيرازي، ولم يخلِّف درهمًا، ولا عليه درهم. وكذا فليكن الزهد، وما تزوج فيما أعلم، وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا كالمهذب، والتنبيه، واللمع في أصول الفقه، وشرح اللمع، والمعونة في الجدل، والملخص في أصول الفقه، وغير ذلك»[7].

▫ «وقال حماد بن مسلم الرحبي: العلم محجة، فإذا طلبته لغير الله صار حجة»[8].

---

(١) السير (١٠/ ٤٧٢).
(٢) السير (١٠/ ٤٧٦).
(٣) السير (١١/ ٢١٦).
(٤) السير (١١/ ٤٨٥).
(٥) السير (١٢/ ٦٦).
(٦) السير (١٢/ ٦٩).
(٧) السير (١٨/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).
(٨) السير (١٩/ ٥٩٥)، التاريخ (٣٦/ ١٢٩).

□ «مالك، عن ابن هرمز قال: ينبغي للعالم أن يورِّث جلساءه من بعده: «لا أدري»»[1].

□ «قال أيوب: وددت أني أفلت من هذا الأمر كفافًا لا عليَّ ولا ليَّ»[2].

□ «قال وكيع: سمعت سفيان يقول: لا يعدل طلب العلم شيء لمن أراد به الله»[3].

□ «وسمع الفريابي سفيان الثوري يقول: ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت فيه النية»[4].

□ «وعن سفيان الثوري، وقيل له: السلامة أن لا تُعرف، فقال: ما إلى هذا سبيل، لكن السلامة في أن لا تحب أن تُعرف»[5].

□ «وسمع ابن وهب مالكًا يقول: إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه»[6].

□ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شُغلوا، وإذا شُغلوا فُقِدوا، وإذا فُقِدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا»[7].

□ «وقال أبو بكر بن عياش: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بها عافية، وأدنى ضرر المنطق الشُّهرة، وكفى بها بَلية»[8].

٢ ـ أن ينوي طالب العلم رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره:

□ «مالك بن مغول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن علمتُ من ذا العلم شيئًا.

---

(١) التاريخ (٨/ ١٥٩).
(٢) التاريخ (٨/ ٣٨١).
(٣) التاريخ (١٠/ ٢٢٩).
(٤) التاريخ (١٠/ ٢٣٤).
(٥) التاريخ (١٠/ ٢٣٧).
(٦) التاريخ (١١/ ٣٢٨).
(٧) التاريخ (١٢/ ٣٣٩)، السير (٨/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).
(٨) معرفة القراء (١/ ١٣٧).

قلت: لأنه حُجَّةٌ على العالم، فينبغي أن يعملَ به، وينبه الجاهلَ، فيأمرهُ وينهاه، ولأنَّه مظنة أن لا يُخْلِصَ فيه، وأن يَفْتَخِر به ويُماري به، لينالَ رئاسةً ودُنيا فانية»[١].

□ «صفوان بن عمرو، حدثني سُليم بن عامر قال: كنا نجلس إلى أبي أُمامة، فيحدثنا كثيرًا عن رسول الله ﷺ، ثم يقول: اعقلُوا، وبلِّغوا عنا ما تسمعون»[٢].

□ «ليث بن أبي سليم قال: كان طاووس يعُدُّ التحديثَ حرفًا حرفًا، وقال: تعلَّم لنفسك، فإنَّ الناس قد ذهبت منهم الأمانة»[٣].

□ «أخبرنا أحمد بن إسحاق، أخبرنا ظفر بن سالم، أخبرنا هبة الله بن أحمد، أخبرنا محمد بن علي بن أبي عثمان، سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة، أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، حدثنا أبو عمر الزاهد، حدثنا أحمد بن عبيد الله النرسي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حريز بن عثمان، سمعت حبيب بن عبيد الرحبي يقول: تعلموا العلم واعقلوه، وتَفَقَّهُوا به، ولا تعلَّموه لتجمَّلُوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عُمْرٌ أن يتجمل بالعلم، كما يتجمَّل ذو البَزِّ ببزه»[٤].

□ «وروى عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: أوثق عملي في نفسي نشر العلم. وكان أبي يجلس مع المساكين فيعلمهم ويحدثهم»[٥].

□ «قال أحمد بن حنبل: ثنا عبد القدوس بن بكر، عن محمد بن النضر قال: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثُّه»[٦].

□ «أخبرنا سليمان بن قدامة الفقيه، أنا جدي أبو حمزة سنة إحدى

---

(١) السير (٤/ ٣٠٣).
(٢) السير (٣/ ٣٦١).
(٣) السير (٥/ ٤٦).
(٤) السير (١٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).
(٥) الميزان (٣/ ٧٥)، التاريخ (٨/ ٤٩١).
(٦) التاريخ (١١/ ٣٥٤)، السير (٨/ ١٧٥).

وثلاثين وستمائة ـ حضورًا ـ أنا أبو السعادات القزَّاز، أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو عمرو بن السماك، ثنا محمد بن سليمان بن الحارث، ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: تعلموا الفرائض، فإن أحدكم لا يدري متى يُحْتَاج إليه»[1].

٣ ـ الدفاع عن الشريعة:

◻ «الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملًا، فهو صديق، ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله»[2].

◻ «وقال ابن ديزيل: لما دُعي عفان للمحنة كنت معه، فعُرض عليه أن يقول ـ يعني: بخلق القرآن ـ فامتنع، فقيل: يُحبس عطاؤك ـ وكان يُعطى في الشهر ألفًا ـ فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢]. قال: فدقَّ عليه رجل شبَّهته بزيَّات، فأحضر له ألف درهم، وقال له: ثبتك الله كما ثبَّت الدين، وهذه لك في كل شهر»[3].

٤ ـ رحابة الصدر في مسائل الخلاف:

◻ «وما زال العلماء قديمًا وحديثًا يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يُعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور والتكثر، فيقوم عليه قضاة وأضداد، نسأل الله حسن الخاتمة، وإخلاص العمل»[4].

◻ «قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكونَ إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟

---

(١) معجم الشيوخ (١/ ٢٦٩).

(٢) السير (١١/ ٢٣٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٨٢).

(٤) السير (١٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفِقه نفسه، فما زال النُظَراءُ يختلفون»[١].

□ «وقال أبو عبد الله بن منده في مسألة الإيمان: صرَّح محمد بن نصر في كتاب الإيمان بأن الإيمان مخلوق، فإن الإقرار والشهادة، وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. وهجره على ذلك علماء وقته، وخالفه أئمة أهل خُراسان، والعراق.

قلت: لو أننا كلما أخطأ إمام مجتهد في مسألة خطأً مغفورًا له هجرناه وبدَّعناه، لما سلم أحد من الأئمة، والله الهادي للحق، والراحم للخلق»[٢].

□ «وما زال الفضلاء يختلفون قديمًا وحديثًا في الأصول والفروع؛ لكنهم متفقون على الأصل الكبير، وهو توحيد الحق وتمجيده، والإيمان به وبصفاته وأسمائه المقدسة من حيث الجملة، وقد يختلفون في تفاصيل بعد ذلك، والله الموفق»[٣].

□ «وعن الشافعي قال: ما كابرني أحد على الحق ودافع، إلا سقط من عيني، ولا قبله إلا هبتُه، واعتقدت مودَّته»[٤].

□ «قال عبد الغني الأزدي: لما رددتُ على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في المدخل، بعث إليَّ يشكُرني، ويدعو لي، فعلمت أنه رجلٌ عاقل»[٥].

□ «ابن بُكير: حدثنا الليث، عن يحيى بن سعيد قال: أهلُ العلم أهلٌ وسعةٌ، وما برح المفتون يختلفون، فيُحلل هذا، ويُحرم هذا، وإن المسألة لترِد على أحدهم كالجبل، فإذا فتح لها بابها، قال: ما أهونَ هذه»[٦].

□ «وقال أحمد بن حفص السعدي: قال أحمد وأنا حاضر: لم يعبر

---

(١) السير (١٠/١٦ ـ ١٧).
(٢) التاريخ (٢٢/٢٩٩).
(٣) ذيل تاريخ الإسلام ص(٨٦ ـ ٨٧).
(٤) السير (١٠/٣٣).
(٥) السير (١٧/٢٧٠)، التاريخ (٢٨/ ١٩٠)، التذكرة (٣/١٠٤٨).
(٦) السير (٥/٤٧٣ ـ ٤٧٤)، التذكرة (١/ ١٣٩).

الجسر إلى خُراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم تزل يخالف بعضهم بعضًا»[1].

٥ ـ العمل بالعلم:

□ «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا حرملة: سمعت ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتابُ وأصوم، فنويتُ أني كلما اغتبتُ إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حُبِّ الدراهم تركتُ الغيبة.

قلت: هكذا والله كان العلماء وهذا هو ثمرة العلم النافع»[2].

□ «قال أبو نعيم الحافظ: سمعت محمد بن عبد الله الرازي بنسا أنه سمع محمد بن الفضل البلخي يقول: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم.

قلت: هذه نعوت رؤوس العرب، والترك، وخلق من جهلة العامة، فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوفقوا، ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر ـ لا أهل الحيل والمكر ـ لسعدوا، بل يُعرضون عن التعلم تيْهًا وكسلًا، وواحدة من هذه الخلال مُردية، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنُّك إذا انضمَّ إليها كبر، وفجور، وإجرام، وتجهرم على الله؟! نسألُ الله العافيةَ»[3].

□ «قال أبو عمران الجوني، عن هرم بن حيَّان أنه قال: إياكم والعالم الفاسق، فبلغ عمر، فكتب إليه وأشفق منها: ما العالم الفاسق؟ فكتب: يا أمير المؤمنين! ما أردت إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، ويُشَبّه على الناس فيَضِلوا.

---

(١) التاريخ (١٧/ ٨٤).
(٢) السير (٩/ ٢٢٨).
(٣) السير (١٤/ ٥٢٥).

قلت: إنما أنكر عليه عمرٌ لأنهم لم يكونوا يَعُدُّون العالم إلا من عمِل بعلمه»[١].

□ «قال الحافظ موسى بن هارون: حدثنا محمد بن نعيم، قال: رأيتهم جاؤوا إلى بشر، فقال: يا أهل الحديث، علمتم أنه يجب عليكم فيه زكاة، كما يجب على من ملك مئتي درهم خمسة.

قلت: هذا على المبالغة، وإلا فإن كانت الأحاديث في الواجبات، فهي موجبة، إن كانت في فضائل الأعمال، فهي فاضلة، لكن يتأكد العمل بها على المحدِّث»[٢].

□ «عن أبي الدرداء، من وجه مرسل: لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون متعلمًا حتى تكون بما علمتَ عاملًا؛ إنَّ أخوفَ ما أخافُ إذا وُقفتُ للحساب أن يُقال لي: ما عملتَ فيما علمتَ؟»[٣].

□ «وعن أبي إسحاق الشيرازي قال: العلم الذي لا ينتفع به صاحبُه أن يكون الرجل عالِمًا ولا يكون عاملًا.

ثم أنشد لنفسه:

علمْتَ ما حلّلَ المولى وحرَّمه فاعملْ بعلْمك، إنَّ العلمَ للعمل

وقال: الجاهلُ بالعالم يقتدي، فإذا كان العالِمُ لا يعملُ، فالجاهلُ ما يرجو من نفسه؟ فالله الله يا أولادي! نعوذ بالله من علمٍ يصير حُجَةً علينا»[٤].

□ «صفوان بن عمرو، حدثني سُليم بن عامر قال: كنا نجلس إلى أبي أُمامة، فيحدثنا كثيرًا عن رسول الله ﷺ، ثم يقول: اعقلُوا، وبلِّغوا عنا ما تسمعون»[٥].

---

(١) التاريخ (٥/ ٥٣٤).
(٢) السير (١٠/ ٤٧١).
(٣) السير (٢/ ٣٤٧).
(٤) التاريخ (٣٢/ ١٥٤)، السير (١٨/ ٤٥٧).
(٥) السير (٣/ ٣٦١).

□ «وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال كنتُ أرحل إلى الرجل مسيرةَ أيامٍ لأسمع منه، فأتفقد صلاتَه، فإن وجدتُه يحسنها، أقمت عليه، وإن أجده يُضيعها، رحلتُ ولم أسمع منه، وقلتُ: هو لما سواها أضيع»[١].

□ «وقال ابن وهب: حدثنا ابن زيد بن أسلم، قال: قال رجل لأبي جعفر ـ وكان في دينه فقيهًا وفي دنياه أبله ـ: هنيئًا لك ما آتاك من القرآن، قال: ذاك إذا أحللتُ حلالَه، وحرمتُ حرامه، وعملتُ بما فيه»[٢].

□ «سيد الوعاظ ابن السماك هو القائل: كم من شيء إذا لم ينفع لم يضرّ؛ لكن العلمَ إذا لم ينفع، ضرَّ»[٣].

□ «وعن ابن المبارك قال: أوَّل منفعة العلم أن يُفيد بعضُهُم بعضًا»[٤].

□ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شُغلوا، وإذا شُغلوا فُقِدوا، وإذا فُقِدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا»[٥].

□ «ومن كلام سفيان ابن عيينة: العلمُ إذا لم ينفعك، ضَرَّك»[٦].

□ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت ابنَ عيينة يقول: مَنْ عَمِلَ بما يعلم، كُفي ما لم يَعْلَمْ»[٧].

□ «قال محمد بن عامر المصيصي: سألتُ أحمد: وكيع أحبُّ إليك أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع. قلت: كيف فضَّلْتَه على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمتَ؟ قال: وكيع كان صديقًا لحفص بن غياث، فلما وليَ القضاءَ، هجره، وإنَّ يحيى كان صديقًا لمعاذ بن معاذ، فلما

---

(١) السير (٤/ ٢٠٩).
(٢) السير (٥/ ٢٨٨)، معرفة القراء (١/ ٧٤).
(٣) السير (٨/ ٣٢٩). (٤) السير (٨/ ٣٩٨).
(٥) التاريخ (١٢/ ٣٣٩)، السير (٨/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).
(٦) السير (٨/ ٤٦٢)، التذكرة (١/ ٢٦٤). (٧) السير (٨/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

وليَ القضاء، لم يهجره يحيى»[1].

◘ «ويُروى عن ابن مهدي قال: من طلب العربية، فآخرُه مؤدِّب، ومن طلب الشِّعر، فآخرُه شاعر، يهجو أو يمدح بالباطل، ومن طلب الكلامَ، فآخرُ أمره الزَّنْدَقَةُ، ومن طلب الحديثَ، فإن قام به، كان إمامًا، وإن فرّط، ثم أناب يومًا، يُرجَعُ إليه، وقد عَتُقَتْ وجَادَتْ»[2].

◘ «وعن معروف قال: إذا أراد الله بعبدٍ شرًا، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل»[3].

◘ «قال الربيع: قال لي الشافعيُّ: إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فما لله وليٌّ»[4].

◘ «**قلت**: حدُّ الوليِّ: الرسوخ في العلم والعمل مثل القعنبي»[5].

◘ «قال محمد بن عبد الوهاب الفرَّاء: ما رأيت في العُسرة مثلَ علي بن عَثَّام، وكان يقول: الناس لا يُؤتون من حِلم، يجيء الرجلُ، فيسأل، فإذا أخذ، غَلِطَ، ويجيءُ الرجل فيصحف، ويجيء الرجل يأخذ ليُماري، ويجيء الرجل يأخُذُ ليُباهي، وليس عليَّ أن أُعلم هؤلاء إلا من يهتمُّ لأمر دينه»[6].

◘ «وقال المرُّوذي: قال لي أحمد بن حنبل: ما كتبتُ حديثًا إلا وقد عملتُ به، حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمتُ»[7].

◘ «ورُوِي عن سُحنون قال: من لم يعمل بعلمه، لم ينفعه علمه؛ بل يضُرُّه»[8].

◘ «وروى الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني

---

(١) السير (٩/ ١٤٤).
(٢) السير (٩/ ١٩٩).
(٣) السير (٩/ ٣٤٠).
(٤) السير (١٠/ ٥٣)، التاريخ (١٤/ ٣٢٧).
(٥) السير (١٠/ ٢٦٠).
(٦) السير (١٠/ ٥٧٠).
(٧) السير (١١/ ٢١٣).
(٨) السير (١٢/ ٦٥).

على هشام بن عبد الملك، فنزل على مكحول فقال له: هاهنا أحد يحرّكنا؟ قال: نعم، يزيد بن ميسرة، فأتوه فقال عطاء: حركنا رحمك الله. قال: كان العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا، ثم استعاده فأعاد عليه، فرجع عطاء ولم يلق هشامًا وتركه»[1].

□ «قال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: إذا تعلم العبد العلم ليعمل به كسره علمه، وإذا تعلم العلم لغير العمل زاده فخرًا»[2].

□ «قال الوليد بن مسلم: حدثني القاسم بن هزان أنه سمع الزهري يقول: لا يرضى الناسَ قول عالم إلا بعمل، ولا عمل إلا بعلم»[3].

□ «روى مسعر عن عبد الأعلى التيمي قال: من أُوتي علمًا لا يبكيه خليق أن يكون أُوتي علمًا لا ينفعه، ويحتج بآية ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [الإسراء: ١٠٩]»[4].

□ «وروى سليمان الشاذكوني: ثنا جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب»[5].

□ «ومن شعر الأديب أبي الفتح محمد بن علي:

يا طالبًا للعلم كيْ تَحْظى بهِ ... دينًا ودنيا حظوةً تُعليهِ
اسمَعْه ثمَّ احفَظْهُ ثمَّ اعْمَل بِهِ ... للهِ ثمَّ انشُرْهُ في أهْلِيهِ»[6].

□ «أخبرنا أبو الذكر أقوش القطي ومحمود بن عبد المنعم وعلي بن محمد الأزدي والحسن بن علي القرشي وصالح الفرضي وعبد الرحمن بن أبي محمد وعلي بن يوسف وقرا سنقر الجندي ومحمد بن محمد وعلي بن معالي وعبد الرحيم بن إبراهيم التنوخيون قالوا: إنا إسماعيل بن إبراهيم، أنا بركات

---

(١) التاريخ (٧/ ٥٠٥).
(٢) التاريخ (٨/ ٢١٨)، السير (٥/ ٣٦٢).
(٣) التاريخ (٨/ ٢٢٩).
(٤) التاريخ (٨/ ٤٥٨).
(٥) التاريخ (١١/ ٧١).
(٦) التاريخ (٣٩/ ١٠٧).

الخشوعي، أنا هبة الله بن الأكفاني، أنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرني أحمد بن علي التوزي، أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن العلاف، نا محمد بن مخلد، نا محمد بن أبي عمر، سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: سمعني عبد الله بن إدريس أتلهف على بعض الشيوخ فقال: يا أبا عبيد! مهما فاتك من العلم فلا يفوتنك من العمل»[١].

◻ «أخبرنا محمد بن عبد الله، أنا يوسف بن عمر ـ حضورًا ـ، نا الخشوعي، نا ابن الأكفاني، أنا أبو بكر الخطيب قال: إنِّي موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإنَّ العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يُعَدُّ عالمًا من لم يكن بعلمه عاملًا»[٢].

◻ «وقال عطاء بن السائب فيما حدث به حماد بن زيد وغيره: إن أبا عبد الرحمٰن السلمي قال: إنا أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر، حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يُجاوز تراقيهم، بل لا يُجاوز هاهنا، ووضع يده على حلقه»[٣].

◻ «وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشدُّ من طلبه، والعمل به أشدُّ من حفظه، والسلامة منه أشدُّ من العمل به»[٤].

٦ ـ التزهد في الدنيا:

◻ «ما أقبح بالعالم الداعي إلى الله: الحرص، وجمع المال»[٥].

◻ «يحيى بن يمان: سمعت سُفيان يقول: المال داءُ هذه الأمة، والعالم طبيبُ هذه الأمة، فإذا جَرَّ العالمُ الدَّاءَ إلى نفسه، فمتى يُبرئ الناسَ؟»[٦].

---

(١) معجم الشيوخ (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥).
(٢) معجم الشيوخ (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).
(٣) معرفة القراء (١/ ٥٤).
(٤) الكبائر ص(١٣٨).
(٥) السير (١٧/ ٤٨٢).
(٦) السير (٧/ ٢٤٣)، التذكرة (١/ ٢٠٤).

□ «ابن المبارك: عن سُفيان، قال: ليس بفقيهٍ من لم يَعُدَّ البلاء نعمة، والرَّخاء مُصيْبة»[1].

□ «أبو سعيد الأشج: حدثنا عمر بن أبي الرُّطيل، عن أبي بلال الأشعري، عن جعفر البَرمكي قال: ما رأينا في القُرَّاء مثلَ عيسى بن يونس، أرسلْنا إليه، فأتانا بالرُّقة، فاعتل قبل أن يرجع. فقلتُ له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف. فقال: هيهِ. قلت: خمسون ألفًا. قال: لا حاجةَ لي فيها. فقلت: ولم؟ والله، لأُهَنِّيَنَّكها، هي والله مئة ألف. قال: لا والله، لا يتحدَّث أهل العلم أني أكلتُ للسنَّة ثمنًا، ألا كان هذا قبلَ أن تُرسلوا إليَّ. فأما على الحديث، فلا، ولا شربة ماء، ولا إهْلِيلجة»[2].

□ «أبو عوانة الإسفراييني: حدثنا الربيع، سمعت الشافعيَّ يقول: ما شبعتُ منذ ستة عشرة سنةً إلَّا مرةً، فأدخلتُ يدي فتقيَّأتُها.

رواها ابنُ أبي حاتم عن الربيع، وزاد: لأنَّ الشبعَ يُقِلُ البدنَ، ويُقسِّي القلبَ، ويُزيل الفطنة، ويجلبُ النومَ، ويُضعِفُ عن العبادة»[3].

□ «قال السمعاني: قرأت بخط هبة الله السقطي أن ابن الدَّجاجي كان ذا وجاهة وتقدُّم وحال واسعة، وعهدي به وقد أخنى عليه الزمان، وقصدتهُ في جماعة مثرين لنسمع منه وهو مريض، فذخلنا وهو على باريَّة، وعليه جُبَّة قد حرقت النار فيها، وليس عنده ما يُساوي درهمًا، فحملَ على نفسه حتى قرأنا عليه بحسب شَرَهِ أهل الحديث، فلما خرجنا قلتُ: هل معكم ما نصرفهُ إلى الشيخ؟ فاجتمع له خمسة مثاقيل، فدعوتُ بنته، وأعطيتُها، ووقفتُ لأرى تسليمها له، فلما أعطته؛ لطم حُرَّ وجهه، ونادى: وافضيحتاه: آخذ على حديثِ رسول الله ﷺ عوضًا؟ لا والله. ونهض حافيًا إليَّ، وبكى، فأعدت الذهب إليهم، فتصدَّقوا به»[4].

---

(١) السير (٧/ ٢٦٦).
(٢) السير (٨/ ٤٩٣).
(٣) السير (١٠/ ٣٦).
(٤) السير (١٨/ ٢٦٤).

□ «وقال سفيان الثوري، عن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيءٍ فقلت: إنَّ الفقهاء يقولون كذا وكذا، فقال: هل رأيت فقيهًا بعينك، إنما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا البصيرُ بدينه، المداومُ على عبادة ربِّه»[1].

□ «قال أبو المواهب: لم أر مثل أبي القاسم ابن عساكر، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وآباها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.

قال لي: لما عزمت على التحديث ـ والله المطلع ـ أني ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم؛ بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة في كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي، ورؤساء البلد، وطفت عليهم فكلهم قالوا: من أحق بهذا منك؟ فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمس مائة»[2].

□ «وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثنا أبي قال: حمزة سَنَةً يكون بالكوفة، وسَنَةً بحُلوان، فختم عليه رجل من أهل حُلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلًا، أنا آخذ على القرآن أجرًا؟ أرجو على هذا الفردوس»[3].

□ «وعن يوسف بن الحسين الرازي قال: بالأدب تتفهَّم العلم، وبالعلم يصحُّ لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهمُ الزُّهد، وبالزُّهد تتركُ الدُّينا، وترغبُ في الآخرة، وبذلك تنالُ رِضَى اللهِ تعالى»[4].

---

(١) التاريخ (٧/ ٥٨).
(٢) التذكرة (٤/ ١٣٢٢).
(٣) معرفة القراء (١/ ١١٣).
(٤) السير (١٤/ ٢٥٠).

□ «قال نُعَيم: سمعتُ ابنُ المُبارك يقول: عجبتُ لمن لم يطلُب العلمَ، كيف تدعوه نفسُهُ إلى مكرُمة»[1].

٧ ـ الصبر على المحن:

□ «ابن سعد: حدثنا الواقدي قال: لما دُعيَ مالكٌ، وشُوِرَ، وسُمع منه، وقُبل قَوله، حُسِد، وبَغَوه بكل شيء، فلما وَلِي جعفر بن سليمان المدينة، سَعَوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالُوا: لا يَرى أيْمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المُكْره: أنه لا يجوز عنده، قال: فَغَضِب جعفرٌ، فدعا بمالك، فاحتجَّ عليه بما رُفِعَ إليه عنه، فأمر بتجريده، وضَرْبه بالسياط، وجُبِذَتْ يَدُه حتى انخلعتْ من كتفه، وارتُكب منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعْدُ في رِفعة وعُلوٍّ.

قلت: هذا ثمرةُ المِحنة المحمودَة، أنها ترفعُ العبدَ عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير، «ومن يُرِد اللهُ بِهِ خَيرًا يُصِبْ منهُ»، وقال النبي ﷺ: **«كل قضاء المؤمن خيرٌ له»** وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

وأنزل تعالى في وقعة أُحد قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

فالمؤمن إذا امتُحِنَ صَبَر واتَّعَظَ، واستغفر ولم يتشاغلْ بذمِّ من انتقم منه، فاللهُ حَكَمٌ مُقْسِطٌ، ثم يحمَدُ الله على سلامةِ دينه، ويعلم أن عقوبةَ الدنيا أهونُ وخيرٌ له»[2].

□ «فعن مالك قال: ضُربتُ فيما ضُرب فيه سعيد بن المسيَّب، ومحمد بن المُنكدر، وربيعة، ولا خير فيمن لا يُؤذى في هذا الأمر»[3].

---

(١) السير (٨/ ٣٩٨).
(٢) السير (٨/ ٨٠ ـ ٨١).
(٣) التاريخ (١١/ ٣٣١).

□ «عبد الله بن محمد الوراق: كنتُ في مجلس أحمدَ بن حنبل، فقال: من أين أقبلتُم؟ قلنا: من مجلسِ أبي كريب، فقال: اكتُبوا عنه، فإنَّه شيخٌ صالح، فقلنا: إنه يطعُنُ عليك. قال: فأيُّ شيءٍ حيلتي، شيخٌ صالح قد بُليَ بي»[1].

□ «قال ابن طاهر: وسمعتُ أصحابَنا بهراة يقولون: لما قَدِمَ السلطانُ ألب أرسلان هَراةَ في بعض قدماته، اجتمع مشايخُ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على ابن إسماعيلَ، وسلَّموا عليه، وقالوا: وَرَدَ السُّلطانُ ونحن على عزم أن نخرج، ونسلِّمَ عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنمًا من نُحاسٍ صغيرًا، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجُوا، وقام الشيخ إلى خلوته، ودخلوا على السلطان، واستغاثوا من الأنصاري، وأنه مُجَسِّمٌ، وأنه يتركُ في محرابه صنمًا يزعمُ أن الله تعالى على صُورته، وإن بعثَ السلطانُ الآن يَجِدْه. فَعَظُمَ ذلك على السلطان، وبعثَ غلامًا وجماعة، فدخلوا، وقَصَدوا المحراب، فأخذوا الصنم، فألقى الغلامُ الصنمَ، فبعثَ السلطانُ من أحضر الأنصاريَّ، فأتى فرأى الصنمَ والعلماءَ، وقد اشتَد غضبُ السلطان، فقال له السلطانُ: ما هذا؟ قال: صنمٌ يُعمَل من الصُّفْر شبه اللُّعبة. قال: لستُ عن ذاك أَسْأَلُكَ. قال: فعمَّ يسألُني السلطان؟ قال: إنَّ هؤلاء يزعمُون أنك تعْبُدُ هذا، وأنك تقولُ: إنَّ الله على صورته. فقال شيخ الإسلام بصولَةٍ وصوت جهوريٍّ: سُبحانك! هذا بُهتان عظيم.

فوقع في قلبِ السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به، فأُخرج إلى داره مُكَرَّمًا، وقال لهم: أصدِقُوني. وهدَّدهم، فقالوا: نحنُ في يد هذا في بليَّةٍ من استيلائه علينا بالعَامة، فأردنا أن نقطع شَرَّه عنا. فأمر بهم، ووكَّلَ بهم، وصَادَرهم، وأخذ منْهم وأَهانَهُم»[2].

□ «وقال معمر بن أحمد بن زياد الصُّوفي: إنّما حياة السُّنَّة بعلماء أهلها والقائمين بنُصْرة الدِّين، لا يخافون غير الله، ولو لم يكن من غُرْبة السُّنَّة إلَّا ما

---

(١) السير (١١/ ٣١٧).

(٢) السير (١٨/ ٥١٢).

كان من أمر أبي بكر النَّابلسي لمَّا ظهر المغربي بالشام واستولى عليها، فأظهر الدَّعوة إلى نفسه، قال: لو كان في يدي عشرة أسهم كنت أرمي واحدًا إلى الروم وإلى هذا الطاغي تسعة، فبلغ المغربيَّ مقالتُهُ، فدعاه وسأله، فقال: قد قلت ذلك لأنّك فعلتَ وفعلتَ، فأخبرني الثقة أنَّه سُلخَ من مَفْرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حتى بلغ العَضُدَ، فرحِمَه السَّلاخ، وكز السِّكينَ في موضع القلب، فقضى عليه.

وأخبرني الثقة أنَّه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائم الدّهر، كبير الصَّولة عند الخاصَّة والعامَّة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءة القرآن، فغلب المغربيُّ بالشام، ظهر المذهب الرَّديء، ودعا إليه، وأبطل التراويح وصلاة الضُّحَى، وأمر بالقنوت في الظُّهْر بالمساجد»[١].

▫ «قال ابن طاهر: لما عزم سعد الزنجاني على المجاورة عزم على نيف وعشرين خصلة أن يفعلها من العبادات فبقي أربعين سنة ولم يخل منها بواحدة، وكان يملي الحديث بمكة ولم يكن غيره يملي حين حكم المصريون على مكة وإنما كان يملي سرًّا في بيته.

قلت: لأنهم كانوا من خبثاء الرافضة وأعداء الحديث»[٢].

٨ ـ الحكمة:

▫ «محمد بن راشد، عن مكحول، قال: كان أبو هريرة يقول: رُبَّ كِيسٍ عند أبي هريرة لم يفتحه.

يعني: من العلم.

قلت: هذا دالٌّ على جواز كتمان بعضِ الأحاديث التي تُحرك فتنةً في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديثُ يتعلق بحلٍّ أو حرامٍ فلا يحل كتمانُه بوجه، فإنه من البينات والهدى.

---

(١) التاريخ (٢٦/ ٣١١).

(٢) التذكرة (٣/ ١١٧٦).

وفي صحيح البخاري: قول الإمام علي ﷺ: حَدِّثُوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون؛ أتُحِبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسوله!

وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء؛ لأوذي، بل لقُتِل. ولكن العالم قد يُؤديه اجتهادُه إلى أن يَنشُرَ الحديث الفلاني إحياءً للسنَّة، فله ما نوى أجر - وإن غلط - في اجتهاده»[1].

□ «واعلم أنَّ كثيرًا من هذه الكبائر، بل عامتها إلا الأقل، يجهل خلق كثيرٌ من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد، فهذا الضرب فيهم تفصيل؛ فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل، بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله، ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهلية، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة، وأسِر وجُلب إلى أرض الإسلام، وهو تركي كافرٌ أو كرجي مشرك لا يعرف بالعربي، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم، فبالجهد إن تلفظ بالشهادتين، فإن فهم بالعربي حتى يفقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالٍ، فبها ونعمت، ثم قد يصلي، وقد يلقن الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دينٌ ما، فإن كان أستاذه شبيهًا به، فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام والكبائر واجتنابها، والواجبات وإتيانها؟! فإن عُرِّف هذا موبقات الكبائر وحُذِّر منها، وأركان الفرائض واعتقادها، فهو سعيد، وذلك نادر. فينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية، فإن قيل: هو فرَّط لكونه ما سأل عمَّا يجب عليه. قيل: هذا ما دار في رأسه، ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، فلا يأثم أحدٌ إلا بعد العلم، وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف بعباده رؤوف بهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

□ «قال أبو الحسن عبدُ الملك الميموني: قال رجل لأبي عبد الله: ذهبتُ إلى خلفٍ البزاز أعظه، بَلغني أنَّه حدَّث بحديثٍ عن الأحوص عن عبد الله قال: «ما خلق الله شيئًا أعظم...» وذكر الحديث، فقال أبو عبد الله:

---

(١) السير (٢/ ٥٩٧ - ٥٩٨).

ما ينبغي له أن يُحدث بهذا في هذه الأيام ـ يريد زمنَ المحنة ـ والمتنُ: «ما خلق الله من سماءٍ ولا أرضٍ أعظم من آية الكُرسي» وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يومَ المحنة: إنَّ الخلق واقِعٌ هاهُنا على السماء والأرضِ وهذه الأشياء، لا على القرآن.

قلت: كذا يَنبغي للمُحدِّث أن لا يُشهِرَ الأحاديثَ التي يَتشبَّثُ بظاهرِها أعداءُ السُّنَن من الجَهْميَّة، . . . . ، وأهل الأهْواء، والأحاديثَ التي فيها صِفاتٌ لم تثبت، فإنَّك لن تُحدِّثَ قومًا بحديثٍ لا تبلغُهُ عقولُهم، إلا كان فِتنةً لِبعضهم، فلا تكتُم العِلم الذي هو عِلمٌ، ولا تَبْذُلْهُ للجهَلَةِ الذين يَشْغَبُونَ عَليك، أو الذين يَفْهَمُون منه ما يَضُرُّهُم»[1].

□ «كان الذهليُّ شديدَ التمسُّك بالسُّنَّة، قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في «مسألة خلق العباد» إلى أنَّ تلفُّظ القارئ بالقرآن مخلوقٌ، فلوَّح وما صرَّح، والحقُّ أوضح. ولكن أَبَى البحثَ في ذلك أحمدُ بن حنبل، وأبو زُرْعة، والذُّهلِيُّ. والتوسع في عبارات المتكلمين سَدًّا للذَريعَة فأحسَنُوا، أحسن الله جزاءهم. وسافر ابنُ إسماعيل مختفيًا من نيسابور، وتألَّم من فعل محمد بن يحيى وما زال كلامُ الكبار المُتَعاصرين بعضِهم في بعضٍ لا يُلْوَى عليه بمفرده»[2].

□ «قرأتُ على إسماعيل بن عبد الرحمٰن، أخبركم عبد الله بن أحمد الفقيه سنة سبع عشرة وست مئة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا عليُّ بن محمد بن محمد الأنباري، أخبرنا أبو الحسين بنُ بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد، أخبرنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن علي بن بديمة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، قال: قدم على عمر رجلٌ، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقلتُ: والله ما أُحِبُّ أن يُسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المُسارعة. قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه.

---

(١) السير (١٠/٥٧٨).

(٢) السير (١٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

فانطلقت إلى منزلي مُكتئبًا حزينًا، فقلتُ: قد كنتُ نزلتُ من هذا بمنزلة، ولا أُراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضجعتُ على فراشي، حتَّى عادني نسوةُ أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك، قيلَ لي: أجب أمير المؤمنين. فخرجتُ، فإذا هو قائمٌ على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجلُ آنفًا؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنْ كنتُ أسأتُ، فإني أستغفر الله، وأتوبُ إليه، وأنزل حيثُ أحببتَ. قال: لتُخبِرني. قلتُ: متى ما يُسارعوا هذه المسارعة، يَحْتَقُّوا، ومتى ما يَحْتَقُّوا، يَخْتَصِموا، ومتى ما اختصموا، يختلفوا، ومتى ما يختلفوا، يَقْتتلوا. قال: للهِ أبوكَ. لقد كنتُ أكتُمها الناسَ حتى جِئْتَ بها»[1].

▫ «قال أبو عبيد: ما رأيت أحدًا أعقل من الشافعي، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جُمعت أُمةٌ لوسعهم عقلُه.

قلت: هذا على سبيل المبالغة، فإنَّ الكامل العقل لو نقص من عقله نحو الربع، لبانَ عليه نقص ما، ولبقي له نظراء، فلو ذهب نصف ذلك العقل منه، لظهر عليه النقص، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أنَّك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلًا، وصيرتها عقل واحد، لجاء منه كامل العقل وزيادة»[2].

▫ «حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أنس وقيل له: ألا تحدثنا؟ قال: يا بُني إنَّه مَن يُكْثِرْ يَهْجُرْ»[3].

▫ «أبو بكر بن عياش: عن عبد الملك، عن عطاء، قال: دخلتُ أنا وعُبيد بن عُمير على عائشة فقالت له: خَفِّفْ فإنَّ الذِكْر ثقيل ـ تعني: إذا وعَظْتَ»[4].

▫ «وروى يزيدُ النحوي، عن عكرمة أن ابن عباس قال: انطلِقْ فَأَفْتِ الناسَ، وأنا لك عَوْنٌ، قلتُ: لو أنَّ هذا الناسَ مثلُهم مرتين، لأفتيتُهم.

---

(١) السير (٣/٣٤٨ ـ ٣٤٩).
(٢) السير (١٠/١٥).
(٣) السير (٣/٤٠٣).
(٤) السير (٤/١٥٧).

قال: انطلق فافتهم، فمن جاءكَ يسألُك عمَّا يعنيه فَأَفْتِهِ. ومن سألك عمَّ لا يعنيه، فلا تُفْتِهِ، فإنَّك تطرحُ عنك ثُلثي مؤنة الناس»[1].

□ «جرير، عن مغيرة، قال الشعبي: قتادة حاطب ليل. قال يحيى بن يوسف الزمي: حدثنا ابن عيينة، قال لي عبد الكريم الجوزي: يا أبا محمد، تدري ما حاطب ليل؟ قلت: لا، قال: هو الرجل يخرج في الليل فيحتطب، فيضع يده على أفعى فتقتله، هذا مثلٌ ضربْته لك لطالب العلم، أنه إذا حمل من العلم ما لا يطيقه، قتله علمه، كما قتلت الأفعى حاطب ليل»[2].

□ «حجاج الصواف، عن أرطاة بن أبي أرطاة، أنه سمع عكرمة يحدث القوم وفيهم سعيد بن جبير وغيره، فقال: إن للعلم ثمنًا، فأعطوه ثمنه، قالوا: وما ثمنه يا أبا عبد الله؟ قال: أن تضعه عند من يحسن حفظه ولا يضيعه»[3].

□ «روي عن علي بن المبارك، عن معاوية بن قرة قال: لا تجالس بعلمك السفهاء، ولا تجالس بسفهك العلماء»[4].

□ «قال هشام بن منصور: سمعت أحمد بن حنبل يقول: قال لي يحيى بن آدم: يجيئني الرجل ممن أبغضه، وأكره مجيئه، فأقرأُ عليه كل شيء معه، لأستريح منه، ولا أراه، ويجيء الرجل أوده، فأردده حتى يرجع إليَّ»[5].

□ «وروى أبو الشيخ الحافظ وغيره من غير وجه: أن الشافعي لما دخل مصر أتاه جِلَّةٌ من أصحاب مالك، وأقبلوا عليه، فلما أن رأوه يُخالفُ مالكًا، وينقُصُ عليه، جَفَوه وتنكَّروا له، فأنشأ يقول:

أَأَنـثُـرُ دُرًّا بـيـن سـارِحَـة الـنَّـعَـم ... وأَنْـظِـمُ مَـنْـثُـورًا لِـراعـيَـة الـغَـنَـمْ

لَعَمْري لَئِنْ ضُيِّعَتُ في شَرِّ بلدة ... فَلَسْتُ مُضيعًا بينَهم غُرَرَ الحِكَمْ

فـإنْ فَـرَّجَ اللهُ الـلَّـطـيـفُ بِـلُـطْـفِـهِ ... وصادَفْتُ أهلًا للعُلُوم ولِلحكَمْ

بَثَثْتُ مُفيدًا واستَفَدْتُ وِدادَهُم ... وإلَّا فَـمَـخْـزونٌ لَـدَيَّ ومُـكْـتَـتَـمْ

---

(1) السير (٥/ ١٥)، التاريخ (٧/ ١٧٥).

(2) السير (٥/ ٢٧٢).

(3) السير (٥/ ١٩).

(4) السير (٥/ ١٥٤).

(5) السير (٩/ ٥٢٩).

وَمَنْ مَنَح الجُهَّال عِلْمًا أضاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ المُسْتَوجِبينَ فَقَد ظَلَمْ
وكاتِمُ عِلْمِ الدِّينِ عَمَّنْ يُريدُهُ ... يَبوءُ بِإِثْمٍ زادَ وإِثْمٍ إذا كتَمَ»(١)

□ «وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعتُ الشافعيَّ يقول: يا يونس، الانقباضُ عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوةِ، والانبساطُ إليهم مَجْلَبَةٌ لقُرناءِ السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط»(٢).

□ «حدثنا وهيب قال: قال إياس بن معاوية: من المسائل ما لا ينبغي للسائل أن يسأل عنها، ولا للمجيب أن يُجيب فيها. فإن كانت مسألتُه من غير هذا، فيسأل، وإن كانت من هذا فيُمسِك. قال: فهابوه، فما نطق أحد منهم حتى قام»(٣).

□ «قال أبو الطيب المكفوف: سمعت إسحاق يقول: لم أكتُب عن أحد أوثق في نفسي من يحيى بن يحيى، والفضل بن موسى، ويحيى أحسنُ حديثًا من ابن المُبارك. قلتُ: ولم؟ قال: لأنَّ يحيى أخرج من علمه ما كان ينبغي أن يُخرجه، وأمسكَ ما كان ينبغي أن يُمسكَ عنه»(٤).

□ «وقال علي بن جعفر: أخبرنا إسماعيل بن بنت السدي، قال: كنتُ في مجلس مالك، فسئل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلتُ: ما قال فيها علي وابن مسعود رضي الله عنهما؟، فأومأ إلى الحجبة، فلما همُّوا بي عدوتُ وأعجزتُهم، فقالوا: ما نصنع بكتبه ومحبرته؟ فقال: اطلبوه برفق، فجاؤوا إليَّ فجئتُ معهم؟ فقال مالكٌ: من أين أنت؟ قلتُ: من الكوفة. قال: فأينَ خلَّفت الأدب؟ فقلتُ: إنما ذاكرتُك لأستفيد. فقال: إنَّ عليًّا وعبد الله لا يُنكر فَضلهما، وأهلُ بلدنا على قولِ زيدِ بن ثابت، وإذا كنتَ بين قوم، فلا تَبدأهم بما لا يعرفون، فيبدأك منهم ما تكره»(٥).

□ «وقال المؤتَمن: كان الخطيبُ يقول: من صَنَّف فقد جعل عقلَه على

---

(١) السير (١٠/ ٧١).
(٢) السير (١٠/ ٨٩).
(٣) السير (١٠/ ٣٣٣).
(٤) السير (١٠/ ٥١٤).
(٥) السير (١١/ ١٧٧)، التاريخ (١٨/ ١٧٩).

طبق يَعرِضه على الناس»[1].

□ «حماد بن زيد قال: أيوب: لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضرُّوهم»[2].

□ «وذكر أبو بكر الخطيب: أنَّ إبراهيم بن طهمان كان له على بيت المال رِزق، وكان يسخو به، قال: فسُئل يومًا عن مسألة في مجلس أمير المؤمنين، فقال: لا أدري، فقالوا له: يأخذ في الشهر كذا وكذا ولا يُحسن هذه! قال: إنَّما آخذ على ما أُحسِن، ولو أخذت على ما لا أُحْسِن لَفَنَى بيتُ المال، فأعجبَ أميرَ المؤمنين ذلك»[3].

□ «قال ابن المديني: نا أيوب بن المتوكل، عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: لا يكون إمامًا من أخذ بالشاذِّ من العلم، ولا من روى عن كل أحد، ولا من روى كل ما سمِع»[4].

□ «زياد بن خيثمة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن عليٍّ قال: ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقه؟ من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم من مكر الله»[5].

□ «وقال معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل عن علي قال: حدِّثوا النَّاسَ بِما يعرفُونَ، ودَعُوا ما يُنْكِرونَ، أَتُحِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسُولُه؟

فقد زجر الإمام عليٌّ رضي الله عنه عن رواية المنكر وحثَّ على التَّحْدِيثِ بالمشْهُورِ. وَهَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ في الكَفِّ عَنْ بَثِّ الأشْيَاءِ الوَاهِيَةِ والمُنْكَرَةِ مِنَ الأَحَاديثَ في الفضائلَ والعَقَائدَ والرَّقَائقَ، ولا سَبِيلَ إلى مَعْرِفَةِ هذا مِنْ هَذَا إِلَّا بالإِمْعَانِ في مَعْرِفَةِ الرِّجالِ، والله أعلم»[6].

---

(١) السير (١٨/ ٢٨١)، التذكرة (٤/ ١٢٤٨).
(٢) التاريخ (٨/ ٣٨١).
(٣) التاريخ (١٠/ ٦٢).
(٤) التاريخ (١٣/ ١١٦).
(٥) التذكرة (١/ ١٣).
(٦) التذكرة (١/ ١٣).

٩ ـ التمسك بالكتاب والسُّنَّةِ:

▫ «وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم بتقليده كالنَّبي مع أمته لا تحل مخالفته.

قلت: قوله: «لا تحل مخالفته» مجرد دعوى واجتهاد، بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر، حجته في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه عمل به من أي مذهب كان. ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين؛ فقد رق دينه، كما قال الأوزاعي أو غيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة، والكوفيين في النبيذ، والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر. وكذا من أخذ في البيوع الربوية بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه، وشبه ذلك فقد تعرض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق. ولكن شأن الطالب أن يدرس أولًا مصنفًا في الفقه، فإذا حفظه بحثه، وطالع الشروح، فإن كان ذكيًّا، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة، فليراقب الله، وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله.

فالمقلدون صحابة رسول الله ﷺ، بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين، كعلقمة، ومسروق، وعبيدة السلماني، وسعيد بن المسيب، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة، والقاسم، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي، ثم كالزهري، وأبي الزناد، وأيوب السختياني، وربيعة، وطبقتهم.

ثم كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وابن جريج، ومعمر، وابن أبي عروبة، وسفيان الثوري، والحمادين، وشعبة، والليث، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب.

ثم كابن المبارك، ومسلم الزنجي، والقاضي أبي يوسف، والهقل بن زياد، ووكيع، والوليد بن مسلم، وطبقتهم.

ثم كالشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، والبويطي، وأبي بكر بن أبي شيبة. ثم كالمزني، وأبي بكر الأثرم، والبخاري، وداود بن علي، ومحمد بن نصر المروزي، وإبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي.

ثم كمحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي عباس بن سريج، وأبي بكر بن المنذر، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الخلال.

ثم من بعد هذا النمط تناقص الاجتهاد، ووضعت المختصرات، وأخلد الفقهاء إلى التقليد، من غير نظر في الأعلم؛ بل بحسب الاتفاق، والتشهي، والتعظيم، والعادة، والبلد. فلو أراد الطالب اليوم أن يتمذهب في المغرب لأبي حنيفة لعسر عليه، كما لو أراد أن يتمذهب لابن حنبل ببخارى، وسمرقند، لصعب عليه، فلا يجيء منه حنبلي، ولا من المغربي حنفي، ولا من الهندي مالكي.

وبكل حال فإلى فقه مالك المنتهى. فعامة آرائه مسددة، ولو لم يكن له إلا حسم مادة الحيل، ومراعاة المقاصد، لكفاه.

مذهبه قد ملأ المغرب، والأندلس، وكثيرًا من بلاد مصر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبصرة، وبغداد، والكوفة، وبعض خراسان.

كذلك اشتهر المذهب الأوزاعي مدة، وتلاشى أصحابه، وتفانوا.

وكذلك مذهب سفيان، وغيره ممن سمينا.

ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهب الأربعة. وقل من ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلًا عن أن يكون مجتهدًا.

وانقطع أتباع أبي ثور بعد الثلاث مئة، وأصحاب داود إلا القليل. وبقي مذهب ابن جرير إلى ما بعد الأربع مئة.

وللزيدية مذهب في الفروع بالحجاز، وباليمن؛ لكنه معدود في أقوال أهل البدع، كالإمامية.

ولا بأس بمذهب داود، وفيه أقوال حسنة، ومتابعة للنصوص، مع أن جماعة من العلماء لا يعتدون بخلافه، وله شذوذ في مسائل شانت مذهبه.

وأما القاضي فذكر ما يدل على جواز تقليدهم إجماعًا، فإنه سمى المذاهب الأربعة والسفيانية، والأوزاعية. ثم إنه قال: فهؤلاء الذين وقع إجماع الناس على تقليدهم، مع الاختلاف في أعيانهم، واتفاق العلماء على اتباعهم، والاقتداء بمذاهبهم، ودرس كتبهم، والتفقه على مآخذهم، والتفريع على أصولهم، دون غيرهم ممن تقدمهم، أو عاصرهم، للعلل التي ذكرناها. وصار الناس اليوم في الدنيا إلى خمسة مذاهب، فالخامس: هو مذهب الداوودية.

فحق على طالب العلم أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليحصل على مذهبه، وها نحن نبين أن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ هو ذلك لجمعه أدوات الإمامة، وكونه أعلمَ القوم.

ثم وجه القاضي دعواه، وحسنها، ونمقها، ولكن ما يعجز كل واحد من حنفي، وشافعي، وحنبلي، وداوودي، عن ادعاء مثل ذلك لمتبوعه؛ بل ذلك لسان حاله، وإن لم يفه به.

ثم قال القاضي عياض: وعندنا ولله الحمد لكل إمام من المذكورين مناقب، تقضي له بالإمامة.

قلت: ولكن هذا الإمام الذي هو النجم الهادي قد أنصف، وقال قولًا فصلًا، حيث يقول: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهًا، وسعة علم، وحسن قصد، فلا يسعه الالتزام بمذهب واحد في كل أقواله؛ لأنه قد تبرهن له مذهب الغير في مسائل، ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها إمامه؛ بل يعمل بما تبرهن، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهي، والغرض.

لكنه لا يفتي العامة إلا بمذهب إمامه، أو ليصمت فيما خفي عليه دليله»[1].

---

(١) السير (٨/ ٩٠ ـ ٩٤).

□ «يَنْبَغِي للمُسلِمِ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنَ الفِتَنِ، وَلا يَشْغَبَ بِذِكْرِ غَرِيبِ المَذَاهِبِ لا في الأُصُولِ ولا في الفُرُوعِ، فَمَا رَأَيْتُ الحَرَكَةَ في ذَلِكَ تُحَصِّل خيرًا، بلْ تُثِيرُ شَرًّا وَعداوةً وَمَقْتًا للصُّلِحاءِ والعُبَّادِ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، فَتَمَسَّكْ بِالسُّنَّةِ، والزَمْ الصَّمْتَ، ولا تَخُضْ فِيمَا لا يُعْنِيكَ، وَمَا أَشْكَلَ عَليكَ فَرُدَّهُ إِلى اللهِ ورسولِهِ، وقِفْ، وقلْ: اللهُ ورسولُهُ أعْلم»[1].

□ «وكلُّ أحدٍ فيُؤخَذُ من قوله ويُتركُ إلا صاحبَ ذاكَ القبر صلى الله عليه وسلم تسليمًا.

فالعلم بحرٌ لا ساحلَ له، وهو مُفَرَّقٌ في الأمة، موجودٌ لمن التمسَهُ»[2].

□ «وما زال العلماء يختلفون في المسائل الصغار والكبار، والمعصوم من عصمه الله بالتجاء إلى الكتاب والسُّنَّة، وسكوت عن الخوض في ما لا يعنيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[3].

□ «الفضل بن محمد الشَّعْراني: سمعتُ يحيى بن أكْثَم يقول: صَحِبْتُ وكيعًا في الحَضَرِ والسفَرِ، وكان يصومُ الدَّهْرَ، ويخْتِمُ القرآن كُلَّ ليْلَةٍ.

قلتُ: هذه عبادةٌ يُخْضَعُ لها، ولكَّنها من مثلِ إمامٍ من الأئمة الأثَرية مفضولةٌ، فقد صحَّ نهيُه ﷺ عن صَوم الدَّهرِ، وصحَّ أنَّه نهى أن يُقرأ القرآنَ في أقلِّ من ثلاث، والدِّينُ يُسْرٌ، ومتابعةُ السُّنَّنِ أولى، فرضِيَ الله عنْ وكيعٍ، وأنَّى مِثلُ وكيع؟!.... فإنَّ من توقَّى الشبهات، فقد استبرأَ لدَينِهِ وعِرْضِهِ،... وكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ من قولِهِ ويُتَرَكُ، فلا قُدْوَةَ في خطأِ العالِمِ، نَعَم، ولا يُوبَّخُ بما فعله باجتهادٍ، نسألُ الله المُسَامحةَ»[4].

□ «محمد بن أحمد بن علي، حدثنا الفريابي؛ حدثنا الحلواني، سمعت مطرف بن عبد الله، سمعت مالكًا يقول: سنَّ رسول الله ﷺ، وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباعٌ لكتاب الله، واستكمالٌ بطاعة الله، وقوةٌ على

---

(١) السير (٢٠/ ١٤٢).
(٢) السير (١٢/ ٦٨).
(٣) التذكرة (٢/ ٧٣٠).
(٤) السير (٩/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

دين الله، ليس لأحد تغييرُها، ولا تبديلُها، ولا النَّظر في شيء خالفها، من اهتدى بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، اتَّبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاهُ جهنَّمَ وساءت مصيرًا»[١].

□ «الحُلواني: سمعتُ إسحاق بن عيسى يقول: قال مالك: أكُلَّما جاءنا رجلٌ أَجْدَلَ من رجلٍ، تركنا ما نزلَ به جبريلُ على محمد ﷺ لجدلِه»[٢].

□ «وقال معن بن عيسى: سمعتُ مالكًا يقول: إنَّما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلُّ ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخذوا به، وما خالف فاتركوه»[٣].

□ «وقال حَرْمَلةُ: قالَ الشَّافِعيُّ: كلَّ ما قلتُه فكانَ من رسولِ الله ﷺ خلافُ قولي ممَّا صحَّ، فهو أَوْلَى، ولا تُقَلِّدُونِّي»[٤].

□ «الربيع: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: إذا وجدتُم في كتابي خلاف سنةِ رسول الله ﷺ فقولُوا بها، ودعُوا ما قلتُه.

وسمعته يقولُ: وقد قال له رجلٌ: تأْخُذُ بهذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رَوَيتُ عن رسولِ الله حديثًا صحيحًا ولم آخُذْ به، فأشهِدكُم أنَّ عقلي قد ذَهَبَ.

وقال الحُميديُّ: روى الشافعيُّ يومًا حديثًا، فقلتُ: أتأخُذُ به؟ فقال: رأيَتني خرجتُ من كنيسة، أو عليَّ زُنَّارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا لا أقولُ به؟.

قال الربيعُ: وسمعتُه يقول: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني، إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أَقُلْ به.

وقال أبو ثَور: سمعتُه يقُول: كلُّ حديثٍ عن النبيِّ ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه منِّي.

---

(١) السير (٨/ ٩٨).
(٢) السير (٨/ ٩٩).
(٣) التاريخ (١١/ ٣٢٧).
(٤) السير (١٠/ ٣٣).

ويُروى أنَّه قال: إذا صَحَّ الحديثُ فهو مذهبي، وإذا صحَّ الحديثُ، فاضرِبُوا بقولي الحائط»[1].

▫ «محمد بن صالح بن هانئ: حدثنا أحمدُ بن شهاب الإسفراييني: سمعتُ أحمد بن حنبل، وسُئل عمن نكتب في طريقنا؟ فقال: عليكم بِهنَّاد، وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإياكم أن تكتُبوا، يعني: عن أحد من أصحاب الأهواء، قليلًا ولا كثيرًا. عليكُم بأصحاب الآثار والسُّنن»[2].

▫ «قال عبدُ الله بن أحمد: ترحَّمَ أبي على أبي بكر بن الأَعْيَن، وقال: إني لأغْبِطُه، مات وما يَعْرِفُ إلا الحديث، لم يكُن صاحبَ كلام.

قلت: هكذا كان أئمةُ السلف، لا يرون الدخولَ في الكلام، ولا الجدال. بل يستفرغونَ وُسْعَهم في الكتابِ والسُّنَّة، والتَّفقه فيهما، ويتَّبِعون، ولا يَتَنَطَّعُون»[3].

▫ «قال عبد الرحمٰن بن مهدي: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال لقيتُ زفر رَحِمَهُ اللهُ، فقلت له: صِرْتُمْ حديثًا في الناس وضُحْكَةٍ. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: «ادْرَؤوا الحدود بالشُّبهات». ثم جئْتُم إلى أعظم الحدود، فقلتم: تُقام بالشبهات. قال: وما هو؟ قُلْتُ: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»** فقلتم: يُقْتَل به ـ يعني: بالذِّمِّي ـ قال: فإني أُشْهِدُكَ الساعةَ أنِّي قد رجعتُ عنه.

قلت: هكذا يكون العالمُ وقَّافًا مع النص»[4].

▫ «أحمد بن عبد العزيز الرملي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، سمعت الزهري لما حدَّث عن النبي ﷺ قال: **«لا يَزْنِي الزَانِي حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٍ»** قلتُ له: فما هو؟ قال: مِن الله القَوْلُ، وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا التسليمُ، أمِرُّوا حديثَ رسولِ الله كما جاءَ بلا كيف»[5].

---

(١) السير (١٠/ ٣٤ ـ ٣٥).
(٢) السير (١١/ ٢٣١).
(٣) السير (١٢/ ١٢٠).
(٤) السير (٨/ ٤٠ ـ ٤١).
(٥) السير (٥/ ٣٤٦).

□ «قرأتُ على أبي الفضْل أحمدَ بنِ هبة الله: أخبَرنا زَينُ الأُمناء حسنُ بنُ محمد، أخبرنا المباركُ بنُ عليٍّ، أخبرنا أبو الحسن بن العلَّاف، أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا أبو بكر الآجُرِّي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن ناجية: حدثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد الواسطي، عن مطرِّف بن طَريف، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ ﷺ: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ بالقُرْآنِ قَبْلَ العِشَاءِ وبَعْدَهَا، يُغَلِّطُ أَصْحَابَهُ في الصَّلاةِ، والقَوْمُ يُصَلُّونَ».

هذا حديثٌ صالحُ الإسناد، فيه النَّهْيُ عن قراءة الأسْبَاعِ التي في المساجدِ وقتَ صلواتِ النَّاس فيها، ففي ذلك تشويشٌ بيِّنٌ على المُصَلِّينَ، هذا إذا قرؤوا قِراءةً جائِزةً مُرَتَلَةً، فإن كانت قِراءتُهم دَمْجًا وهَذْرَمَةٌ وبَلْعًا للكَلِمَاتِ، فهذَا حرامٌ مُكرَّرٌ، فقد ـ والله ـ عمَّ الفسادُ، وظهرتِ البدعُ، وخَفِيَتِ السُّنَنُ، وقلَّ القوَّالُ بالحقِّ، بل لو نطقَ العالِمُ بصِدقٍ وإخلاصٍ لعارضَهُ عِدَّةٌ من عُلماءِ الوقت، ولَمقَتُوه وجهَّلُوه، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ»[(١)].

□ «قال ابنُ خلِّكان: كان عبدُ العزيز بن عبد الله الدَّاركي يُتَهَمُ بالاعتزال، وكان ربَّما يختار في الفتوى، فيُقال له في ذلك، فيقول: ويْحَكُم! حدَّث فلانٌ عن فلانٍ، عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا، والأخذُ بالحديثِ أولى من الأخذ بقولِ الشافعي وأبي حنيفة.

قلت: هذا جيِّدٌ، لكنْ بشرطِ أنْ يكونَ قد قال بذلك الحديث إمامٌ من نُظراء هذين الإمامين مثل مالك، أو سُفيان، أو الأوزاعي، وبأن يكونَ الحديثُ ثابتًا سالمًا من علّة، وبأن لا يكون حجةُ أبي حنيفة والشافعي حديثًا صحيحًا معارضًا للآخر. أمَّا مَنْ أخذَ بحديثٍ صحيح وقد تنكَّبَه سائرُ أئمةُ الاجتهادِ، فلا، كخبر: «فَإنْ شَرِبَ في الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوه»، وكحديث: «لَعَنَ اللهُ السارِقُ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدَهُ»»[(٢)].

---

(١) السير (١٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) السير (١٦/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

◻ «قال خالد بن الحارث: قال سليمان التيمي: لو أخَذْتَ برُخْصَةِ كل عالم اجتمع فيك الشرُّ كلُّهُ»(١).

◻ «محمد بن حِمْيَر، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال: من حمل شاذَّ العِلم حمل شرًّا كثيرًا»(٢).

◻ «وفي مسند الشافعي سماعَنا، أخبرني أبو حَنيفة بن سماك، حدَّثني ابن أبي ذئب، عن المَقْبُري، عن أبي شُرَيح أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُو بِخَير النَّظَرَيْن: إنْ أَحَبَّ أَخَذَ العَقْلَ، وإنْ أَحَبْ فَلَهُ القَوْدُ»**.

قلت: لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟ فضربَ صدرِي، وصاح كثيرًا، ونال مني، وقال: أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟ نعم آخذُ به، وذلك الفرض عليَّ، وعلى كل من سمعه. إن الله اختار محمدًا ﷺ من النَّاس فهَداهُم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتَّبِعُوه طائعين أو داخِرين، لا مَخْرَجَ لمُسْلِمٍ مِنْ ذَلِك»(٣).

◻ «قال زيدُ بن أَخْزم: سمعتُ الخُريبيَّ يقولُ: ليس الدينُ بالكلامِ، إنَّمَا الدِّينُ بالآثَارِ»(٤).

◻ «ومن كلام سهْل التُّسْتُري: لا مُعِين إلا الله، ولا دَليلَ إلا رسُول الله، ولا زَادَ إلّا التَّقْوى، ولا عَمَل إلا الصَّبْرُ عليه»(٥).

◻ «أخبرنا أحمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا القاسم بن عبد الله بن الصفار، أخبرنا هبة الرحمٰن بن عبد الواحد، أخبرنا عبد الحميد بن عبد الرحمٰن البحيري، أخبرنا عبد الملك بن الحسن، أخبرنا يعقوب بن إسحاق الحافظ سنة ست عشرة وثلاث مئة، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: بَلَغَنا عن رجالٍ مِنْ

---

(١) السير (٦/ ١٩٨).
(٢) السير (٦/ ٣٢٤).
(٣) السير (٧/ ١٤٢).
(٤) السير (٩/ ٣٤٩).
(٥) السير (١٣/ ٣٣١).

أَهْلِ العلم أَنَّهم كَانُوا يَقُولُونَ: الاعتصامُ بالسُّنةِ نَجاةٌ، والعلمُ يُقبَضُ قبضًا سريعًا، فنَعْشُ العلم ثباتُ الدين والدنيا، وذهابُ ذلك في ذِهابِ العلمِ»[1].

□ «أخبرنا ابن القواس، أنا ابن الحرستاني، أنا السلمي، أنا ابن طلاب، أنا ابن جميع، نا دعلج بمكة، نا محمد بن عمرو بن النضر، نا حفص، نا إبراهيم بن طهمان، عن مالك، عن الزهري، عن سالم أنه سمع رجلًا من أهل الشام يسأل ابن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال: هي الحلال. قال: إن أباك قد نهى عنها، قال: أرأيت إن كان أبي قد نهى عنها وقد صنعها رسول الله ﷺ أتتبع أمر أبي أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ، فقال: قد صنعها رسول الله ﷺ.

تابعه سعيد بن داود عن مالك»[2].

□ «مبارك بن سعيد الثوري، عن سفيان، عن جعفر بن برقان، قال وهب: طُوبَى لِمَنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ فَلَمْ يعدُهَا»[3].

□ «قال ابن النجار: أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي المُرْسي لنفسه:

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ في النَّجاةِ فَمَا لَهُ ... غَيْرُ اتِّبَاعِ المُصْطَفَى فِيمَا أَتَى
ذَاكَ السَّبِيلُ المُسْتَقِيمُ وَغيرُهُ ... سُبُلُ الضَّلالَةِ وَالغَوَايَةِ والرَّدَى
فَاتْبَعْ كِتَابَ اللهِ والسُّنَنَ التي ... صَحَّتْ فَذَاكَ إِنِ اتَّبعْتَ هُوَ الهُدَى
وَدَعِ السُّؤَالَ بِلَمْ وَكَيْفَ فَإِنَّهُ ... بَابٌ يَجُرُّ ذَوِي البَصِيرةِ للعَمَى
الدِّينُ مَا قَالَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ ... وَالتَّابِعُونَ ومَنْ مَنَاهِجَهم قَفَا»[4]

□ «ولأبي عبد الله الحميدي:

كَلامُ اللهِ عزَّ وجَلَّ قَوْلِي ... وَمَا صَحَّتْ بِهِ الآثَارُ دِينِي
وَمَا اتَّفَقَ الجَمِيعُ عَلَيْهِ بدْءًا ... وَعَوْدًا فَهْوَ عَنْ حَقٍ مُبِينِ

---

(١) السير (١٨/ ٣٤٣)، التاريخ (٨/ ٢٤٠).
(٢) التذكرة (١/ ٣٦٨).
(٣) السير (٤/ ٥٥٢).
(٤) السير (٢٣/ ٣١٤)، التاريخ (٤٨/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

فَدَعْ مَا صَدَّ عَنْ هَذَا وَخُذْهَا   تَكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ اليَقِينِ»[1]

١٠ ـ التثبت والثبات:

□ «يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، أن أبا هريرة كان يقول: إنِّي لأُحَدِّث أحاديث لو تكلمتُ بها في زمن عُمر لشجَّ رأْسِي.

قلت: هكذا هو كانَ عمرُ رضي الله عنه يَقُولُ: أَقِلُّوا الحديثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَزَجَرَ وَزَجَرَ غَيْرَ واحدٍ من الصَّحَابةِ عن بث الحديث؛ وهذا مذهبٌ لعُمَرَ ولغَيْرِه. فبالله عليك إذا كان الإكثارُ من الحديثِ في دَولةِ عُمَرَ، كَانُوا يُمْنَعُونَ مِنْهُ مَعَ صِدْقِهِم وَعَدَالَتِهِم، وعَدم الأسانيد، بَل هُو غضٌ لم يُشَبْ؛ فما ظَنُّكَ بالإكثَارِ مِنْ رِوَايَةِ الغرائبِ والمَنَاكيرَ فِي زمانِنا مع طُولِ الأَسانيد وكثرة الوَهْمِ والغَلَطِ، فَبَالحَرِيِّ أنْ نزجُر القومَ عنْهُ؛ فيَا ليْتَهُم يقْتَصِرُونَ عَلَى رَوَايةِ الغريبِ والضَعيفِ، بَلْ يَرُوونَ ـ والله ـ المُوضُوعاتِ والأباطيلَ، والمُسْتَحِيلَ فِي الأُصُولِ والفُروعِ والمَلاحِمِ، والزُّهْدِ؛ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

فَمَنْ رَوَى ذَلِكَ مَعَ علْمِه بِبُطْلانِه، وَغرَّ المُؤمنينَ فهذا ظالمٌ لنفسه، جانٍ على السُّنَنِ والآثَارِ، يُسْتَتابُ من ذلك، فإنْ أنَابَ وأَقْصَرَ، وإلَّا فَهُوَ فاسقٌ؛ كَفَى بِهِ إثْمًا أنْ يُحَدِّثَ بكُل مَا سَمعَ، وإنْ هو لم يعلم، فَلْيَتَوَرَّعَ، وليَسْتَعِنْ بِمَن يُعِينُه على تنقية مرْوِّياته نسألُ اللهُ العافيةَ؛ فَلَقَدْ عَمَّ البَلاءُ، وشملت الغفلةُ ودَخَلَ الداخلُ على المحدثين الذين يَركَنُ إليهمُ المسلمونَ؛ فلا عُتبى على الفقهاءِ وأهْلِ الكَلامِ»[2].

□ «وقال معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل عن علي قال: حدِّثوا النَّاسَ بِما يعرفُونَ، ودَعُوا ما يُنكِرونَ، أَتُحِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسُولُه؟

فقد زجر الإمام عليٌّ رضي الله عنه عن رواية المنكر وحثَّ على التَّحْدِيثِ بالمشْهُورِ. وَهَذَا أَصْلٌ كَبيرٌ في الكَفِّ عَنْ بَثِّ الأشْيَاءِ الوَاهِيَةِ والمُنْكَرَةِ مِنَ

---

(١) التذكرة (٤/ ١٢٢٢).

(٢) السير (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

الأَحَادِيثَ في الفضائلَ والعَقَائدَ والرَّقَائقَ، ولا سَبِيلَ إِلى مَعْرِفَةِ هذَا مِنْ هَذَا إِلَّا بالإِمْعَانِ في مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ، والله أعلم»[١].

□ «قال عبدان: سمعتُ عباس بن عبد العظيم، يقول: هِي كُتُب أُمَيَةَ بنِ خَالدٍ، يَعْني: الذِي يُحدِّثُ بها هُدبة.

قلت: رافَقَ أخَاهُ في الطَّلب، وتَشَارَكَا في ضبْط الكُتبِ، فَسَاغَ لَهُ أن يَرْوِيَ منْ كُتُبِ أخِيهِ، فكيف بالماضيين، لو رأونا اليوم نسمع من أي صحيفة مصحفة على أجْهلِ شيخٍ لَهُ إجازةً، ونروي من نسخة أخرى بينهما من الاختلاف والغلط ألوانٌ، فَفاضِلُنَا يصحح ما تيَسَّر من حفظه، وطالبنا يتشاغلُ بكتابةِ أسْماءِ الأطفالِ، وعالمنا ينسخ، وشيخُنا ينام، وطائفةٌ من الشبيبة في وادٍ آخرَ من المُشَاكَلَةِ والمحادثةِ. لقد اشتفى بنا كلُّ مبتدع، ومجَّنَا كلُّ مُؤْمنٍ. أفهؤلاء الغُثَاءِ هم الذين يحفظُونَ على الأمة دينها؟ كلا والله. فرحم الله هُدْبة، وأين مثل هُدْبة؟ نعم ما هو في الحفظ كشعبة»[٢].

□ «فعلي بن موسى القُمِّي، وأبو سعيد كانا عالَمي خُراسان في مذهب أبي حَنيفة، تخرَّج بهما جماعةٌ من الكبار، وكان معَهُما في البلد من أئمَّة الأثَر مثل ابن خُزَيْمَةَ، وأبي العبَّاس السرَّاج، وعدَّة، فكان المحدِّثون إذ ذاك أئمَّة عالمين بالفقه أيضًا، وكان أهلُ الرَّأي بُصَراء بالحديث، قد رحلوا في طلبه، وتقدَّمُوا في معرفته. وأمَّا اليومَ، فالمحدِّثُ قد قَنِعَ بالسِّكةِ والخُطْبة، فلا يفقه ولا يحفَظ، كما أنَّ الفقيهَ قد تشبَّثَ بفقهٍ لا يُجيِد معرفتَه، ولا يَدري ما هُو الحديثُ؛ بل الموضوعُ والثابتُ عندَهُ سواءٌ، بل قد يعارضُ ما في الصَّحيح بأحاديثَ ساقِطَةٍ، ويُكَابِرُ بأنَّهَا أصحُّ وأقوى. نسألُ اللهَ العَافِيَةَ»[٣].

□ «حماد بن زيد، عن أيوب، قال محمد: إنَّ هَذَا العلمَ دِينٌ، فانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُم»[٤].

---

(١) التذكرة (١/ ١٣).
(٢) السير (١١/ ٩٨ ـ ٩٩).
(٣) السير (١٤/ ٢٣٦).
(٤) السير (٤/ ٦١١).

□ «ابن أبي يونس: سمعت مالكًا يقول: إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظُرُوا عمَّنْ تَأْخُذُونَهُ. لَقَدْ أَدْرَكْتُ في المسْجِدِ سبعينَ ممَّن يقولُ: قَالَ فُلانٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ، وإنَّ أَحَدهُم لو ائتُمِنَ على بيْت مالٍ، لكانَ بِهِ أَمِينًا. فما أخذْتُ مِنْهُم شَيئًا؛ لأنَّهم لم يكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ»[١].

□ «وقال مالكٌ: لا يكون إمامًا من حدَّث بكلِّ ما سمع.

وقال: إنَّ حقًا على منْ طَلَبَ العِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وسَكِينَةٌ وَخشْيَةٌ، وأنْ يَكُونَ مُتبعًا لأثرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ»[٢].

□ «وقال مالك: كان ربيعة أعجل شيء فُتيا وأعجل جوابًا وكان يقول: مَثَلُ الذي يعجِّل بالفُتيْا قبل أن يتثَّبت كمثل الذي يأخذ شيئًا من الأرض لا يدري ما هو»[٣].

□ «وعن أحمد الدَّوْرَقِي، عن أبي عبد الله أحمدَ بنِ حنْبَل قَالَ: نحن كتبنا الحديث من ستَّةِ وجُوهٍ وسبْعَةِ وجُوهٍ، لم نضْبطه، فكيف يضْبِطُهُ مَنْ كَتَبَهُ مِنْ وَجْهٍ وَاحِد»[٤].

□ «أبو خيثمة: حدثنا محمد بن مخازم، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: واللهِ؛ الذِي يفْتِي النَّاسَ في كُل مَا يَسْأَلُونَهُ لمجْنُون.

قال الأعمش: قال لي الحكم: لو سمعتُ هذا منك قبل اليوم ما كنتُ أفتي في كثيرٍ مما كنتُ أفتي»[٥].

□ «أُنبئتُ عن أبي المكارم اللَّبَّان وغيره، عن عبد الغفار بن محمد، أخبرنا محمد بن إبراهيم الكَرْماني، سمعتُ محمد بن أحمد غُنْجار، سمعتُ عبد الله بن موسى السَّلامي، سمعتُ الفضلَ بن شاكر ببلد الدَّيْلم، سمعتُ يزيدَ بن مجالدٍ، سمعت يحيى بنَ مَعينٍ، يقُولُ: إذَا كتبتَ فقمِّشْ، وإذَا حدثتَ ففتشْ»[٦].

---

(١) السير (٥/ ٣٤٣)، التاريخ (٨/ ٢٣٦).
(٢) التاريخ (١١/ ٣٣١).
(٣) التاريخ (٨/ ٤٢١).
(٤) التاريخ (١٨/ ٦٧).
(٥) السير (٥/ ٢١١).
(٦) السير (١١/ ٨٥).

□ «وقال أبو شهاب الحنَّاط: سمعتُ أبا حُصَين يقول: إنَّ أحدهم ليُفتي في المسألةِ، ولو وردتْ على عُمر لجمعَ لها أهلَ بَدْرٍ»[1].

□ «وعن سُحنون قال: أنا أحْفظُ مسائلَ فيها ثمانيةُ أقاويل من ثمانيةِ أئمة، فكيف ينبغي أن أُعجِّل بالجواب؟»[2].

□ «وقال المعافى بن عمران، عن يزيد بن إبراهيم، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس قال: إن كنتُ لأسألَ عن الأمرِ الواحدِ ثلاثِينَ من أصْحَابِ النَّبي ﷺ»[3].

□ «قال عليُّ بنُ الحرثِ الكندي فيما راوه عنه الطحاوي، عن أبي شمر، قال: لقيني الخليلُ بنُ أحمدَ فقالَ: قد وضَعْتُ كتابًا أجْمَعُ فيهِ بيْنَ المُخَتَلَفيْنِ، فقلْتُ: إنْ كانَ كذلكَ، فمَا شيءٌ بعْدَ القُرآن أنفعَ منْهُ، قال: فعرَضَهُ عليَّ فإذَا هُوَ أبعَدُ شيءٍ ممَّا سمَّى، فقلتُ لَهُ: إنَّ الله قد آتاك عِلمًا له لهجه، فَلا تَخْلِطْ مَا لا تَعْلم ممَّا تَعلم، فيُذْهب ما لا تَعْلَم بَهْجَةَ مَا تَعْلَمُ»[4].

□ «وسئل سُحنون: أيَسَعُ العالِم أن يقول: لا أدري فيما يدري؟

فقال: أمَّا ما فيه كتاب أو سُنَّة فلا. وأمَّا ما كان من هذا الرأي فإنَّه يَسَعُهُ ذلك؛ لأنَّه لا يدري أمُصِيبٌ هو أمْ لا»[5].

□ «وكان عاصم بن أبي النجود ثبتًا في القراءة، صدوقًا في الحديث، وقد وثقه أبو زرعة وجماعة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقال الدارقطني: في حفظه شيء ـ يعني: للحديث لا للحروف ـ، وما زال في كُلِّ وقتٍ يكون العالم إمامًا في فنٍّ مقصرًا في فنون. وكذلك صاحبه حفص بن سليمان ثبتًا في القراءة، واهيًا في الحديث، وكان الأعمش بخلافه، كان ثبتًا في الحديث، ليّنًا في الحروف، فإن للأعمش قراءة منقولة في كتاب «المنهج» وغيره لا ترتقي إلى رتبة القراءات السَّبع، ولا إلى قراءة يعقوب وأبي جعفر. والله أعلم»[6].

---

(١) السير (٥/ ٤١٦).
(٢) السير (١٢/ ٦٦).
(٣) التاريخ (٥/ ١٥٤).
(٤) التاريخ (١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٤).
(٥) التاريخ (١٧/ ٢٤٨).
(٦) السير (٥/ ٢٦٠).

□ «وقول الدارقطني: أبو عُمر حفص الدوري ضعيف، يريد في ضبط الآثار، أمَّا في القراءات، فثبت إمام. وكذلك جماعة من القُرَّاء أثبات في القراءة دونَ الحديث، كنافع، والكسائي، وحفص، فإنَّهم نهضُوا بأعباء الحروف وحرَّرُوها، ولم يصنَعُوا ذلك في الحديث، كما أنَّ طائفةً من الحفاظ أتقنوا الحديث، ولم يُحكِمُوا القراءة. وكذا شأن كل من برَّز في فنٍّ، ولم يَعْتَنِ بما عداه. والله أعلم»[1].

١١ ـ احترام العلماء وتوقير الأقران بعضهم لبعض:

«قَالَ ابنُ فُضَيْلٍ، عَنْ سَالمِ بنِ أبي حَفْصَةَ: سَأَلْتُ أبَا جَعْفَرٍ وابْنَهُ جَعْفرًا عَنْ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ فَقَالا لي: يَا سَالمُ! تَولَّهُمَا وابْرأْ مِنْ عَدوِّهِمَا، فإنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدًى.

كَانَ سَالمٌ فِيه تَشَيُّعٌ ظَاهِرٌ، وَمَعَ هَذَا فَيَبُثُّ هَذَا القَوْلَ الحَقَّ؛ وإنَّمَا يَعْرِفُ الفَضْلَ لأهْلِ الفَضْلِ ذُو الفَضْلِ، وَكَذَلِكَ نَاقِلُهَا ابنُ فُضَيْلٍ، شِيعيٌّ ثِقَةٌ. فَعَثَّرَ اللهُ شِيعَةَ زَمَانِنَا مَا أَغْرَقَهُم في الجَهْلِ وَالكَذِبِ، فَيَنَالُونَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ وَزِيرَي المُصْطَفَى ﷺ، ويَحْمِلُونَ هَذَا القَوْلَ مِنَ البَاقِرِ وَالصَادِقِ عَلَى التَّقِيَّةِ»[2].

□ «همام، عن ثابت البُناني، أن أبا برزة كان يلبس الصوف، فقيل له: إن أخاك عائذ بن عمرو يلبس الخز، قال: ويحك! ومَنْ مثلُ عائذ؟ فانصرَفَ الرجلُ، فأخبرَ عائذًا، فقال: ومَنْ مِثْلُ أبي بَرْزَةَ؟

قلت: «هكذا كان العلماءُ يُوقِّرون أقرانهم»[3].

□ «قال القاسمُ بنُ محمد: ما رأيتُ في مجلسِ ابنِ عباسٍ باطلًا قطُّ»[4].

□ «قال أبو بكر بن عياش، عن عاصم: كان أبو وائل عثمانيًا، وكان

---

(١) السير (١١/٥٤٣).
(٢) السير (٤/٤٠٢ ـ ٤٠٣).
(٣) السير (٣/٤٢).
(٤) السير (٣/٣٥١).

زِرُ بن حُبيش عَلويًا، وما رأيْتُ واحدًا منهما قطُّ تكلم في صاحبه حتى ماتا. وكان زِرٌّ أكبَرَ من وائل، فكانا إذا جَلَسَا جَمِيعًا، لَمْ يُحدِّث أبُو وَائلٍ مَعَ زِرٍّ ـ يَعني: يَتَأَدَّبُ معه لسِنِّه ـ»[1].

□ «مُحَمَّدُ بنُ طَلَحَةَ: عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: أَدْرَكْتُ أَشْيَاخَنا زرًّا، وأَبَا وَائِلَ، فَمِنْهُم مَنْ عُثْمَانُ أَحَبُّ إِلَيْه مِنْ عَلِيٍّ، وَمِنْهُمْ مَنْ عليٌّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عُثمانَ. وَكَانُوا أَشَدَّ شَيءٍ تحابًّا، وتوادًّا»[2].

□ «أبو سلمة المِنقري: حدثنا أبان العطار، قال: ذُكِرَ يحيى بنُ أبي كَثِيرٍ عِنْدَ قَتَادَةَ، فَقَالَ: مَتى كَانَ العِلمُ في السَّمَّاكينَ، فذُكِرَ قَتَادَةُ عِنْدَ يَحيى، فَقَالَ: لا يَزَالُ أهلُ البَصْرَةِ بِشَرٍّ مَا كَانَ فِيهِم قَتَادَةُ.

قُلتُ: كَلامَ الأَقْرَانِ يُطْوَى ولا يُرْوى، فَإِنْ ذُكِرَ تَأَمَلَهُ المحدِّثُ، فَإِنْ وَجَدَ لَهُ مُتَابِعًا، وَإِلَّا أَعْرَضَ عَنْهُ»[3].

□ «كان لزيد بن أسلم العُمري حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتُنا في مجلس زيد بن أسلم أربعينَ فقيهًا أدنى خصلةٍ فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيتُ في مجلسه مُتماريَيْن ولا مُتَنَازعَيْن في حديثٍ لا يَنْفَعُنَا»[4].

□ «ابن مهدي: سمعت مالكًا يقول: حدث الزهري يومًا بحديث، فلما قام قمتُ فأخذتُ بعنان دابته، فاستفهمته، فقال: تستفهمُني؟! ما استفهمتُ عالمًا قط، ولا رددتُ شيئًا على عالمٍ قطُّ»[5].

□ «أبو صالح، عن الليث، عن ابن شهاب قال: والله ما نشر أحدٌ العلم نشري، ولا صبر عليه صبري، ولقد كنا نجلِسُ إلى ابن المسيِّب، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئ الحديث، أو يأتي رجل يسأله عن

---

(١) السير (٤/ ١٦٨).
(٢) السير (٤/ ١٦٩).
(٣) السير (٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦).
(٤) السير (٥/ ٣١٦).
(٥) السير (٥/ ٣٣٣).

شيء قد نزل به»[1].

◻ «جماعة سمعوا سليمان بن حرب: سمعتُ حمَّاد بن زيد يقول في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. قال: أرى رفع الصَّوت عليه بعد موته، كرفع الصَّوت عليه في حياته، إذا قرئ حديثه، وجب عليك أن تنصِتَ له كما تنصِتُ للقرآن»[2].

◻ «ياسين بن عبد الأحد، حدثني عمر بن المحبر الرعيني، قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى مالك، فأتاه، فقال لهارون وموسى: اسمعا منه، فبعثا إليه، فلم يُجبهما، فأعلما المهدي، فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلمُ يؤتى أهلُه. فقال: صَدَق مالك، صِيروا إليه، فلما صارا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا، فقال إنَّ أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلِّم، فإذا أخطؤوا، أفتاهم. فرجعَوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فكلمه، فقال: سمعتُ ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيِّب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبد الرحمٰن بن سعيد، وابن شهاب، كلٌّ هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرؤون، فقال في هؤلاء قدوة، صيروا إليه، فاقرؤوا عليه، ففعلوا»[3].

◻ «قال أحمد بن حنبل: لزمتُ هُشيمًا أربعَ سنين، أو خمسًا، ما سألتُهُ عن شيء، إلا مرتين هيبةً له، وكان كثيرَ التسبيح بينَ الحديث، يقولُ بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوتَه»[4].

◻ «عن ابن المبارك: قال: من استخفَّ بالعلماء، ذهبت آخرتُه، ومن استخفَّ بالأمراء، ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان، ذهبت مُروءتُه»[5].

◻ «من تاريخ أبي عمر أحمد بن سعيد الصَّدفي: محمد بن وَضَّاح، عن

---

(١) السير (٥/ ٣٣٥).
(٢) السير (٧/ ٤٦٠).
(٣) السير (٨/ ٦٣).
(٤) السير (٨/ ٢٩٠)، التذكرة (١/ ٢٤٩).
(٥) السير (٨/ ٤٠٨).

يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستُؤذن لعبد الله بن المبارك بالدُّخول: فأذن له، فرأينا مالكًا تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلصقه، وما رأيت مالكًا تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مرَّ بشيء فيسأله مالك: ما مذهبُكُم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيتُ ابن المبارك يُجَاوبه، ثم قام، فخرج، فأُعجبَ مالكٌ بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابنُ المبارك فقيهُ خراسان.

وسُئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنَّا نُهينا أن نتكلم عند أكابرنا»[١].

❑ «وعن الشافعي: ضياع العالم أن يكونَ بلا إخوان، وضياعُ الجاهلِ عقله، وأضيعُ منهما مَنْ واخى مَنْ لا عقلَ له»[٢].

❑ «قال الحسن بن عُلَيْل: حدثنا يحيى بن معين، قال: أخطأ عفان في نَيِّفٍ وعشرين حديثًا، ما أعلمتُ بها أحدًا، وأعلمتُه سرًّا، ولقد طلب إليَّ خلف بن سالم أن أخبره بها فما عرّفتُه، وكان يُحِبُّ أن يجد عليه.

قال يحيى: ما رأيتُ على رجُلٍ خطأً إلا سَتَرْتُه، وأحَبَبْتُ أن أُزَيِّنَ أمرَهُ، وما اسْتقبلتُ رجُلًا في وجهِهِ ما يَكْرهَهُ، ولكنْ أُبَيْنَ لَهُ خطأهُ فيمَا بَيني وبَينَهُ، فإنْ قَبِلَ ذَلِكَ، وإلا تَرَكْتُهُ»[٣].

❑ «الحاكم: سمعتُ بكران بن محمد بن أحمد الحنظلي الزاهد ببغداد، سمعت عبد الله بن أحمد، سمعت أبي يقول: قدمتُ صنعاء، أنا ويحيى بن معين، فمضيتُ إلى عبد الرزاق في قريته، وتخلف يحيى، فلمَّا ذهبتُ أدق الباب، قال لي بقال تجاه داره: مهْ، لا تدق، فإنَّ الشيخَ يُهاب. فجلستُ حتى إذا كان قبل المغرب، خرج فوثبتُ إليه، وفي يدي أحاديثُ انْتَقَيْتُهَا، فسلمتُ، قلت: حدثْني بهذه رحمك الله، فإنِّي رجل غريب. قال: ومن أنت؟

---

(١) السير (٨/ ٤٢٠).
(٢) السير (١٠/ ٤٢).
(٣) السير (١١/ ٨٣).

وزبرني. قلتُ: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر، وضمني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟ ثم أخذ الأحاديث، وجعل يقرؤُها حتى أظلم، فقال للبقال: هلمَّ المصباح حتى خرج وقتُ المغرب، وكان عبد الرزاق يؤخر صلاة المغرب»[1].

▫ «قال الخلال: خرج أبو بكر إلى الغزو فشيعوه إلى سامراء، فجعل يرجعهم فلا يرجعون. قال: فحُزِروا فإذا هم بسامراء، سوى من رجع، نحو خمسين ألفًا، فقيل له: يا أبا بكر: احمدِ الله فهذا علمٌ قد نُشِر لك، فبكى وقال: ليس هذا العلم لي، إنما هو لأبي عبد الله أحمد»[2].

▫ «وكان الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أبو سعد الأصبهاني مطبوعًا، حُلْو الشمائل، استمليت عليه بمكة، والمدينة، كتب عنِّي مذاكرةً. وأبطأ عليَّ يومًا بداره، فخرج واعتذر وقال: أوقفتك. فقلت: يا سيِّدي، الوقوف على باب المحدث عزٌ. فقال: لك بهذه الكلمة أستاذ؟ فقلت: لا. قال: أنت أستاذُها»[3].

١٢ ـ الصبر على التعلم:

▫ «قال محمد بن طاهر: قال الحافظ إسحاق الحبَّال: كنتُ يومًا عند أبي نصر السِّجْزِي، فدُق البابُ، فقمتُ ففتحتُ، فدخلتْ امرأةٌ، وأخرجتْ كيسًا فيه ألف دينار، فوضعته بين يدي الشيخ، وقالت: أنفقها كما ترى! قال: ما المقصودُ؟ قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في الزَّوج؛ لكن لأخدمك. فأمرها بأخذِ الكيس، وأن تنصرف، فلمَّا انصرفتْ، قال: خرجتُ من سِجِسْتَان بنية طلب العلم، ومتى تزوجتُ، سقطَ عني هذا الاسمُ، وما أُوثِر على ثواب طلب العلم شيئًا.

قلت: كأنَّه يُريد متى تزوج للذهب، نَقَص أجرُه، وإلا فلو تزَّوج في

(١) السير (١١/ ١٩٢).
(٢) السير (١٣/ ١٧٤).
(٣) التاريخ (٣٦/ ٥٣١).

الجملة، لكان أفضل، ولَمَا قَدَحَ ذلك في طلبه العلم، بل يكون قد عمل بمقتضى العلم، لكنه كان غريبًا، فخاف العيلة، وأن يتفرق عليه حالُه عن الطلب»[1].

□ «جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هلمَّ نسألْ أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثيرٌ؛ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ مَنْ تَرى؟ فترك ذلك. وأقبلتُ على المسألة، فإن كان ليبلُغني الحديثُ عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد على بابه، فتَسفي الريحُ عليَّ الترابَ، فيخرجُ فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ! ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك، فأسألك. قال: فبقيَ الرجلُ حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقلُ مني»[2].

□ «وقال أبو خلدة: سمعتُ أبا العالية يقول: تعلَّمُوا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنه أحفظ عليكم، كان ينزلُ به خمسَ آيات، خمسَ آيات»[3].

□ «وعن أبي رجاء، قال: كان أبو موسى يُعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات»[4].

□ «قال أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: تعلَّمَ يحيى بن وَثَّاب من عُبيد بن نُضَيْلة آية آية، وكان ـ والله ـ قارئًا»[5].

□ «ابن وهب، عن مالك، قال: كان عُبيد الله بن عبد الله من العلماء، وكان إذا دخلَ في صلاته، فقعد إليه إنسان، لم يُقْبِل عليه حتى يفرغ، وإنَّ

---

(١) السير (١٧/٦٥٦).
(٢) السير (٣/٣٤٢ ـ ٣٤٣)، التاريخ (٥/١٥٣ ـ ١٥٤).
(٣) السير (٤/٢١١).
(٤) معرفة القراء (١/٥٩).
(٥) معرفة القراء (١/٦٣).

عليَّ بن الحسين كان من أهل الفضل، وكان يأتيه، فيجلسَ إليه، فيطوِّل عُبيد الله في صلاته، ولا يلتفت إليه، فقيل له: علي وهو ممن هو منه! فقال: لا بد لمن طلب هذا الأمر أن يُعنَّى به»[1].

❑ «وقال محمد بن الضحاك الحزامي، قال مالك: كان ابن شهاب يأتي عبيد الله بن عبد الله، وكان من العلماء، فكان يحدثه ويستقي هو له الماء من البئر، وكان عبيد الله يطول الصلاة، ولا يعجل عنها لأحد، قال فبلغني أن علي بن الحسين جاءه وهو يصلي، فجلس ينتظره، وطوَّل عليه، فعوتب عبيد الله في ذكل وقيل: يأتيك ابنُ بنت رسول الله ﷺ فتحبسه هذا الحبس! فقال: اللَّهُم غفرًا، لا بدَّ لمن طلب هذا الشأن أن يُعنَّى»[2].

❑ «وعن أبي عبيد أنه كان يقول: كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في الكتاب، فأبيت ساهرًا فرحًا منى بتلك الفائدة. وأحدكم يجيئني، فيقيم عندي أربعة أشهر، خمسة أشهر، فيقول: قد أقمتُ الكثير»[3].

❑ «وعن محمد بن القاسم بن بشر: سمعت محمد بن يزيد الفسوي العطار، سمعت يعقوب بن سفيان يقول: كنت في رحلتي في طلب الحديث فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخًا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلَّت نفقتي، وبعدت عن بلدي، فكنت أدمن الكتابة ليلًا، وأقرأ عليه نهارًا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسًا أنسخ، وقد تصرَّم الليل، فنزل الماء في عيني، فلم أبصر السراج ولا البيت، فبكيت على انقطاعي، وعلى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكأتُ على جنْبي، فنمتُ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم، فناداني، يا يعقوب بن سفيان! لم أنت بكيت؟ فقلت: يا رسول الله! ذهب بصري، فتحسَّرْتُ على ما فاتني من كَتْبِ سُنَّتك، وعلى الانقطاع عن بلدي. فقال: ٱدْنُ منِّي. فدنوتُ منه، فأمرَّ يده على عينيَّ،

---

(١) السير (٤/٣٨٨).

(٢) السير (٤/٤٧٨).

(٣) السير (١٠/٤٩٦).

كأنه يقرأُ عليهما. قال: ثم استيقظتُ فأبصرتُ، وأخذتُ نُسخي وقعدتُ في السِّراج أكتب»[1].

❑ «وقال فضيل بن غزوان: كنا نجلس أنا ومغيرة ـ وعدَّد ناسًا ـ نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بصلاة الفجر»[2].

❑ «وروى ابن فضيل، عن أبيه قال: كان ابن شُبْرُمة ومغيرة والحارث العكلي يسهرون في الفقه، فربما لم يقوموا حتى يُنادى بالفجر»[3].

❑ «قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري، وصرنا إلى الجار، فركبنا البحر، فكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا. وخرجنا إلى البر نمشي أيَّامًا حتَّى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا لم نأكل ولم نشرب، واليوم الثاني كمثل، ويوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا. وكنا ثلاثة، أنا وشيخ نيسابوري، وزهير المَرْوَزِيّ. فسقط الشيخ مغشيًا عليه، فجئنا نحرِّكه وهو لا يعْقِل. فتركناه ومشينا قدر فرسخ، فضعفت وسقطت مغشيًا عليَّ، ومضى صاحبي يمشي، فرأى من بعيد قومًا قرَّبوا سفينتهم من البرِّ ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم فجاءوا معهم ماء، فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: ألحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلَّا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني. فصبَّ من الماء في مشربة قليلًا، فشربت ورجعت إليَّ نفسي. ثم سقاني قليلًا وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ مُلقى. فذهبَ جماعةٌ إليه. وأخذ بيدي وأنا أمشي، وأجرَّ رجلي، حتَّى إذا بلغت عند سفينتهم وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إليه، فبقينا أيَّامًا حتى رجعت إلينا أنفُسنَا. ثم كتبوا لنا كتابًا إلى مدينة يقال لها راية إلى واليهم. وزوَّدونا من الكعك والسَّويق والماء. فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والقُوت، فجعلنا نمشي جياعًا على شاطئ البحر، حتى دُفعنا

---

(١) السير (١٣/ ١٨٢).
(٢) التاريخ (٨/ ٥٤٢).
(٣) التاريخ (٩/ ١٩٤).

إلى سُلْحُفاة مثل الفرس. فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها فانفلق، فإذا فيه مثل صُفْرة البيض، فحسيناه حتى سكت عنَّا الجوع، حتى توصلنا إلى مدينة الرَّاية وأوصلنا الكتاب إلى عاملها.

فأنزلنا في داره. وكان يُقَدِّمُ إلينا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هات لهم اليقطِين المُبارك. فيُقدمَه مع الخُبز أيَّامًا. فقال واحد منَّا: ألا تدعُوا باللَّحم المشؤوم؟ فسمع صاحب الدار، فقال: أنا أحسن الفارسيَّة فإن جدَّتي كانت هَرَوِيَّة. وأتانا بعد ذلك باللحم. ثم زودنا إلى مصر.

سمعت أبي يقول: لا أُحصي كم مرَّة سِرْتُ من الكُوفةِ إلى بَغْدَادَ»(١).

▫ «قال أحمد بن منصور الشيرازي الحافظ: سمعت محمد بن أحمد الصحاف السجستاني: سمعت أبا العباس البكري يقول: جمعتِ الرحلةُ بين محمد بن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يُسْهِموا، فمن خرجت عليه القُرْعة سألَ. فخرجت القرعة على ابن خزيمة فقال: أمهلوني حتى أصلي. فاندفع في الصلاة، وإذا هم بالشموع، وخصِيٍّ، من قِبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا فقال: أيُّكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا. فأخرج صُرَّةً فيها خمسون دينارًا، فدفعها إليه.

ثم قال: أيُّكم ابن جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، ثم فعل كذلك بابن خزيمة وبالروياني. ثم حدَّثهم فقال: إنَّ الأمير كان قائلًا بالأمس، فرأى في المنام أنَ المحامد جياعٌ قد طووا، فأنْفَذَ إليكم هذه الصُّرر، وأقسم عليكم إذا نفذت فعرِّفوني»(٢).

▫ «وقال الفَرَغَاني: رحل ابن جرير لمَّا ترعرع من آمُل، وسَمَحَ له أبوه في السَّفَر. وكان طول حياته يُنْفِذُ إليه بالشيء إلى البُلدان، فسمعته يقول:

---

(١) التاريخ (٢٠/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

(٢) التاريخ (٢٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٣).

أبْطَأتْ عني نفقة والدي، واضطررتُ إلى أن فَتَقْتُ كُمَّيْ القميص فبعتهما»[1].

□ «وعن ابن المديني قال: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب»[2].

□ «قال داود بن مخراق: سمعت ابن شميل يقول: لا يجد لرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه»[3].

١٣ ـ الجمع بين العلم والعبادة، والمفاضلة بينهما:

□ «ابن جُريج: حدثنا ابن أبي مُليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو، قال: جمعت القرآن، فقرأتُه كلَّه في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأْه في شهر»**. قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قُوَّتي وشبابي. قال: «اقرأْه في عشرين». قلتُ: دعني أستمتع، قال: «اقرأْه في سبع ليال». قلتُ: دعني يا رسول الله أستمتع. قال: فأبى. رواه النسائي.

وصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ نازله إلى ثلاث ليالٍ، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث، وهذا كان في الذي نزل من القرآن، ثم بعد هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقل مراتب النهى أن تُكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلى في أقل من ذلك، ولو تلا ورتل في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملًا فاضلًا، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سُبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب، واجتناب

---

(١) التاريخ (٢٣/ ٢٨٥).
(٢) التذكرة (١/ ٨١).
(٣) التذكرة (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدقة وصلة الرحم، والتواضع، والإخلاص في جميع ذلك، لشغل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب. فمتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم، فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه.

هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. وكذلك قال له عليه السلام في الصوم، وما زال يناقصه حتى قال له: «**صم يومًا وأفطر يومًا، صوم أخي داود** عليه السلام». وثبت أنه قال: «**أفضل الصيام صيام داود**». ونهى عليه السلام عن صيام الدهر. وأمر عليه السلام بنوم قسط من الليل، وقال: «**لكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وكلُّ من لم يَزُمَّ نفسَه في تعبُّده وأوراده بالسُّنَّة النبوية، يندمُ ويترهَّبُ ويسوءُ مزاجُه، ويفوته خيرٌ كثيرٌ من متابعة سنّة نبيِّه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ﷺ مُعلِّمًا للأُمَّة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التَّبتُّل والرهبانية التي لم يبعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأواخر، ونهى عن العُزْبَة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنَّواهي. فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ. ألهمنا اللهُ وإياكم حُسْنَ المتابعة، وجنَّبنا الهوى والمخالفة»[1].

□ «سفيان بن عيينة: سمعت عطاء بن السائب يقول: رأيت مُصلَّى مُرَّة الهمداني مثل مَبْرك البعير. ونقل عطاء أو غيرُه أنَّ مُرَّة كان يُصلِّي في اليوم والليلة ستَّ مئة.

---

(١) السير (٣/ ٨٣ ـ ٨٦).

قلت: ما كان هذا الوليُّ يكاد يتفرغ لنشر العلم، ولهذا لم تكثُرْ روايته، وهل يُراد من العلم إلا ثمرته»[1].

▫ «قال أبو أُسامة: سمعت مسعرًا يقولُ: إن هذا الحديثَ يصُدُّكم عن ذكر الله، وعن الصَّلاة، فهل أنتم منتهون؟

قلت: هذه مسألةٌ مُختلف فيها: هل طلبُ العلم أفضلُ، أو صلاةُ النَّافلة والتِّلاوة والذِّكر؟ فأمَّا من كان مخلصًا لله في طلب العلم، وذهنُه جيد، فالعلم أولى، ولكنْ مع حظٍّ من صلاة وتعبُّدٍ، فإن رأيته مُجدًّا في طلب العلم، لا حظَّ له في القُرُبات، فهذا كسلان مَهين، وليس هو بصادق في حسن نيته. وأما من كان طلبه الحديث والفقه غِيَّةً ومحبَةً نفسانية، فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل، وهذا تقسيم في الجملة، فقلَّ ـ والله ـ من رأيته مخلصًا في طلب العلم، دعنا من هذا كُلِّه. فليس طلبُ الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية، وأخذ عن شيخ لا يعي، وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم، أو لرضيع يبكي، أو لفقيه يتحدَّث مع حَدَثٍ، أو آخر ينسخ. وفاضلُهم مشغولٌ عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنُّعاس، والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثرُ من قراءة ما في الجزء، سواء تصحَّف عليه الاسمُ، أو اختبط المتن، أو كان من الموضوعات. فالعلم عن هؤلاء بمعزلٍ. والعمل لا أكادُ أراه، بل أرى أمورًا سيِّئة. نسأل الله العفو»[2].

▫ «محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا نُعيم بن حماد، سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

قلت: ما كان عليه من العلم ونَشْره أفضلُ من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به اللهَ»[3].

---

(١) السير (٤/ ٧٥).

(٢) السير (٧/ ١٦٧).

(٣) السير (٨/ ٩٧).

□ «قال عاصم بن بَهْدلة: كان أبو وائل ـ يعني: شقيق بن سلمة ـ يقول لجاريته: إذا جاء يحيى ـ يعني: ابنه ـ بشيء فلا تقبليه، وإذا جاء أصحابي بشيء، فخذيه. وكان ابنهُ قاضيًا على الكُناسة. قال: وكان لأبي وائل رَحِمَهُ اللَّهُ خُصٌّ من قصب، يكون فيه هو وفرسه، فإذا غزا، نقضه وتصدَّق به. فإذا رجع، أنشأ بناءه.

قلت: قد كان هذا السَّيِّد رأسًا في العلم والعمل»[١].

□ «أبو نعيم: حدثنا أبو الجابية الفرَّاء، قال: قال الشعبي: إنَّا لسنا بالفقهاء، ولكنَّا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفقهاء مَنْ إذا علِمَ عَمِل.

مالك بن مغول: سمعتُ الشعبي يقول: ليتني لم أكن عَلِمتُ مِنْ ذا العلم شيئًا.

قلتُ: لأنَّه حُجَّةٌ على العالم، فينبغي أن يعمل به، وينبِّه الجاهلَ، فيأمره وينهاه، ولأنَّه مَظَنَّةُ أن لا يُخْلِصَ فيه، وأن يفتخر به ويُماري به، لينالَ رئاسةً ودُنيا فانية»[٢].

□ «سعيد بن عامر، عن حميد بن الأسود، عن عيسى الحنَّاط قال: قال الشعبي: إنما كان يطلب هذا العلم مَن اجتمعتْ فيه خصلتان: العقل والنسك، فإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكًا قال: هذا أمرٌ لا ينالُه إلا النساك فلن أطلبه، وإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا قال: هذا أمر لا يناله إلّا العقلاء، فلن أطلبه. يقول الشعبي: فلقد رَهِبْتُ أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما، لا عقل ولا نُسك.

قلت: أظنُّه أراد بالعقل: الفهم والذكاء»[٣].

□ «قال زكريا بن أبي زائدة: كان الشعبي يمرُّ بأبي صالح فيأخذ بأُذُنِهِ ويقول: تُفَسِّرُ القرآنَ وأنت لا تقرأُ القرآن»[٤].

---

(١) السير (٤/١٥٦).
(٢) السير (٤/٣٠٣).
(٣) السير (٤/٣٠٧).
(٤) السير (٤/٣٠٨).

□ «روى بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن قتادة: بابٌ من العِلم يحفظُه الرجل لصلاح نفسه وصلاح مَنْ بعده أفضلُ من عبادة حول»[1].

□ «قال الوليد بن مسلم: رأيتُ الأوزاعي يَثْبُت في مصلَّاه، يذكر الله حتى تطلعَ الشمسُ، ويُخبرنا عن السَّلف: أنَّ ذلك كان هديَهم، فإذا طلعتِ الشمسُ، قام بعضُهم إلى بعضٍ، فأفاضوا في ذكر الله، والتفقه في دينه»[2].

□ «قال سلم بن قتيبة: ربما سمعت شعبة يقول لأصحاب الحديث: يا قوم! إنكم كلما تقدَّمتم في الحديث تأخرتُم في القرآن»[3].

□ «وعن داود الطائي قال: كفى باليقين زهدًا، وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلًا»[4].

□ «قال الحافظ ابن عبد البر في تمهيده: هذا كتبتُه من حفظي، وغاب عنِّي أصلي: إن عبد الله العُمري العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فَرُبَّ رجلٍ فُتِح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد. فنشْرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

قلت: ما أحسن ما جاوب العمريَّ عليه بسابق مشيئة الله في عباده، ولم يفضِّل طريقته في العِلم على طريقة العُمريِّ في التألُّه والزُّهْد»[5].

□ «ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع، سمعت الشافعي يقول: قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة»[6].

□ «محمد بن بشر العَكَري وغيره: حدثنا الربيعُ بن سليمان قال: كان

---

(١) السير (٥/ ٢٧٥).
(٢) السير (٧/ ١١٤).
(٣) السير (٧/ ٢٢٣).
(٤) السير (٧/ ٤٢٤).
(٥) التاريخ (١١/ ٣٢٩)، السير (٨/ ١١٤).
(٦) السير (١٠/ ٢٣)، التاريخ (١٤/ ٣٢٧).

الشافعي قد جزَّأ الليلَ، فثُلُثُه الأول يكتب، والثاني يُصلِّي، والثالث ينام.

قلتُ: أفعالُه الثلاثةُ عبادة بالنيَّة»[1].

□ «قال موسى بن سهل الجوني: حدثنا أحمد بن صالح: قال لي الشافعي: تعبَّد من قبل أن ترأس، فإنك إن ترأستَ، لم تقدر أن تتعبَّد»[2].

□ «قال الربيع: قال لي الشافعي: إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فما لله ولي.

وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة»[3].

□ «قال عبد الرحمٰن بن داود بن منصور الفارسي: سمعت حفص بن عمر قال: ما رأيتُ مثل قبيصة، ما رأيتُه متبسِّمًا قط، من عباد الله الصالحين.

قلتُ: كذا كان والله أهلُ الحديث، العلم والعبادة، واليوم فلا علم ولا عبادة، بل تخبيط ولحن، وتصحيف كثير، وحفظ يسير، وإذا لم يرتكب العظائم، ولا يُخِلُّ بالفرائض، فللَّه دَرُّه»[4].

□ «قال زكريا بن حرب: ابتدأ أخي أحمد بن حرب بالصوم وهو في الكتَّاب، فلمَّا راهق، حج مع أخيه الحسين بن حرب، فأقاما بالكوفة للطلب، وبالبصرة وبغداد. ثم أقبل على العبادة لا يفْتُر. وأخذ في المواعظ والتذكير، وحَثَّ على العبادة، وأقبلوا على مجلسه»[5].

□ «إبراهيم بن محمد بن سفيان: سمعتُ عاصمَ بن عصام البيهقي، يقول: بتُّ ليلةً عند أحمد بن حنبل، فجاء بماءٍ فوضَعُه، فلما أصبح نظر إلى الماء بحاله، فقال: سبحان الله! رجلٌ يطلب العلم لا يكون له وِرد بالليل!»[6].

---

(١) السير (١٠/ ٣٥).
(٢) السير (١٠/ ٤٩).
(٣) السير (١٠/ ٥٣).
(٤) السير (١٠/ ١٣٤).
(٥) السير (١١/ ٣٣).
(٦) السير (١١/ ٢٩٨)، التاريخ (٢٠/ ١١٤).

□ «بلغنا أنَّ المُزني كان إذا فرغ من تبييض مسألةٍ، وأودعها مختصره، صلَّى لله ركعتين»[1].

□ «قال أبو عبد الرحمٰن السُّلمي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن شاذان، سمعتُ محمد بن علي الكَتَّاني، وسمعتُ عمرو بن عثمان المكي، يقول: ما رأيتُ أحدًا من المتعبِّدين في كثرة مَن لَقيتُ منهم أشدَّ اجتهادًا من المُزنيِّ، ولا أدوم على العبادة منه. وما رأيتُ أحدًا أشدَّ تعظيمًا للعلمِ وأهله منه. وكان من أشدِّ الناسِ تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسَعِهِ في ذلك على النَّاس، وكان يقول: أنا خُلُقٌ من أخلاق الشافعي»[2].

□ «وقيل أنَّ ابن الموَّاز انْمَلَسَ، وتزهَّد، وانزوى ببعض الحُصون الشامية، في أواخر عمره، حتى أدركه أَجَلَه ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكذا، فلتَكُن ثمرةُ العلم»[3].

□ «قال عبيد الله بن عبد الرحمٰن الزهري: حدثني أبي، قال: مضى عمِّي أبو إبراهيم إلى أحمد بن حنبل، فلمَّا رآه وَثَبَ، وقام إليه، وأكرمه، فلمَّا أن مضى، قال له ابنه عبد الله: يا أبهْ! شابٌّ تعمل به هذا، وتقوم إليه؟ قال: لا تُعارضْني في مثل هذا، ألا أقومُ إلى ابن عبد الرحمٰن بن عوف؟

قلت: وإنَّما احترمه الإمام أحمد لشرفه ونسبه، ولتقواه وفضله، فمن جمع العمل والعلم، فناهيك به»[4].

□ «والعالمُ إذا عَريَ من التَّصوف والتألُّه، فهو فارغ، كما أنَّ الصُّوفي إذا عَرِيَ مِنْ عِلْمِ السُّنَّة، زلَّ عن سواء السَّبيل»[5].

□ «قال الحاكم: قلَّ ما رأيتُ أكثر اجتهادًا وعبادةً من أبي الحسن السَّراج، وكان يُعلِّمُ القُرآن، وما أشبَّه حاله إلَّا بحال أبي يونس القوي الزَّاهد، صلَّى حتى أقعد، وبكى حتى عَمِي»[6].

---

(١) السير (١٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤).
(٢) السير (١٢/ ٤٩٤).
(٣) السير (١٣/ ٦).
(٤) السير (١٣/ ١١٧ ـ ١١٨).
(٥) السير (١٥/ ٤١٠).
(٦) السير (١٦/ ١٦١ ـ ١٦٢).

□ «قال الحاكم: وقلَّ ما رأيت أصبر على الفقر من أبي عمرو، وكان يتجمل بدست ثياب للجمعات وحضور المجلس، ويلبس في بيته فروةً ضعيفة، ويأكل رغيفًا وبصلةً أو جزرةً، وبلغني أنَّه كان يُحْيي الليل، ويأمر بالمعروف، وينْهى عن المنكر، ويضرب اللَّبن لقبور الفقراء، لم أرَ في مشايخنا له في الاجتهاد نظيرًا رَحِمَهُ اللهُ»(١).

□ «وقال ابن شوذب: سمعت يونس بن خباب يقول: خصلتان إذا صلحتا من العالم صلح ما سواهما: صلاته ولسانه»(٢).

□ «معمر، عن قتادة، عن مطرف سمعت ابن عباس يقول: مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة»(٣).

□ «معمر، عن الزهري قال: ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم»(٤).

□ «لابن عون جلالة عجيبة ووقع في النفوس؛ لأنه كان إمامًا في العلم، رأسًا في التألُّه، والعبادة، حافظًا لأنفاسه كبير الشأن»(٥).

□ «أخبرنا عمر بن محمد العمري، أنا ابن اللتي، أنا أبو الوقت، أنا الداودي، أنا ابن حمويه، أنا عيسى بن عمر، نا أبو محمد الدارمي، أنا مروان بن محمد، أنا سعيد بن عبد العزيز قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة: من تعبَّد بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه فيما لا يعنيه، ومن جعل علمه عرضًا للخصومات كثر تنقله»(٦).

١٤ ـ التَّواضُعُ وَحُسْنُ الخُلُقِ:

□ «فإنَّما التَّصوُّف والتألُّه والسُّلوك والسِّير والمحبة ما جاءَ عن أصحاب محمد ﷺ من الرِّضا عن الله، ولزوم تَقوى الله، والجهاد في سبيل الله،

(١) السير (١٦/ ١٦٣).
(٢) التاريخ (٨/ ٥٧٤).
(٣) التذكرة (١/ ٤١).
(٤) التذكرة (١/ ١١٢).
(٥) التذكرة (١/ ١٥٧).
(٦) التذكرة (١/ ٣٤٩).

والتأدُّب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزُّز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

والعالم إذا عَرِيَ من التصوف والتألُّه، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنَّة، زَلَّ عن سواء السبيل»[1].

▫ «فإن رسول الله ﷺ قال: **«ما أنعم الله على عبدٍ نعمة أفضل من أن يُلهمه ذكره»**.

قلت بهذا: إنَّ إلهام الذكر أفضل من الكرامات، وأفضل الذكر ما يتعدَّى إلى العباد، وهو تعليم العِلم والسنَّة، وأعظم من ذلك وأحسن ما كان جبلَّة وطَبعًا؛ كالحلم والكرم والعقل والحياء»[2].

▫ «قال إبراهيم الحربي: كان أحمد يُجيب في العرس والختان، ويأكل. وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكرًا، خرج. وكان يُحب الخمولَ والانزواء عن الناس، ويعودُ المريض، وكان يكره المشي في الأسواق، ويُؤثر الوحدة.

قال أبو العباس السَّراج: سمعتُ فتح بن نوح، سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانًا لا يكونُ فيه أحدٌ من الناس.

وقال الميموني: قال أحمد: رأيتُ الخلوة أروحَ لقلبي.

قال المرُّوذي: قال لي أحمد: قل لعبد الوهَّاب: أخْمِلْ ذكره، فإني أنا قد بُليتُ بالشُّهرة.

وقال محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق، يكره أن يتبعه أحد.

---

(١) السير (١٥/ ٤١٠).

(٢) السير (٢٢/ ١٧٠)، التاريخ (٤٤/ ٤٨٩).

قلت: إيثارُ الخُمول والتواضع، وكثرة الوَجَلِ من علامات التقوى والفلاح»[1].

◻ «شبر من جهل خير من باع من حظوة؛ فإن الحظوة وبالٌ على العالم، والسلامة في الخمول، فنسأل الله المسامحة»[2].

◻ «قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير»[3].

◻ «وعن المرُّوذي، قال: لم أر الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد. كان مائلًا إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حِلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقارُ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر»[4].

◻ «ابن المنادى، عن جده أبي جعفر، قال: كان أحمدُ من أحيى الناس، وأكرمهم، وأحسنهم عشرة. وأدبًا، كثير الإطراق، لا يُسمعُ منه إلا المذاكرة للحديث، وذكرُ الصالحين في وقارٍ وسكونٍ، ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسانٌ، بشَّ به، وأقبل عليه. وكان يتواضع للشيوخ شديدًا، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعملُ بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل. كان يحيى أكبرَ منه بسبع سنين»[5].

◻ «أحمد بن محمد بن عبد الخالق: حدثنا المرُّوذي، قال أبو عبد الله: خرجتُ إلى الثَّغر على قدميَّ، فالتقطتُ، لو قد رأيتَ قومًا يُفسدون مزارع الناس، قال: وكنا نخرج إلى اللقاط.

قلت: وربما نسخ بأُجْرة، وربيما عمل التِّكَكَ، وأجَّر نفسه لجمال. رحمة الله عليه»[6].

◻ «وقال محمد بن عبد الله بن الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال

---

(١) السير (١١/ ٢٢٦).
(٢) الميزان (٢/ ٤١٩).
(٣) السير (١١/ ٢١٤).
(٤) السير (١١/ ٢١٨).
(٥) السير (١١/ ٣١٧ ـ ٣١٨).
(٦) السير (١١/ ٣٢٠).

حجاج بن أرطاة: لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة.

قلت: لعن اللهُ هذه المروءة، ما هي إلا الحمق والكبر، كيلا يُزاحمه السَّوقة! وكذلك تجدُ رؤساء وعُلماء يُصلونَ في جماعةٍ في غير صف، أو تُبسطُ له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مُسلم. فإنَّا لله»[1].

□ «محمد بن الحسن بن علي بن بحر: حدثنا الفلَّاس قال: رأيتُ يحيى يومًا حدَّث بحديث، فقال له عفان: ليس هو هكذا. فلما كان من الغد، أتيتُ يحيى، فقال: هو كما قال عفان، ولقد سألتُ الله أن لا يكون عندي على خِلاف ما قال عفّان.

قلتُ: هكذا كان العُلماء، فانظر كيف أنت عنهم بمعزل»[2].

□ «وعن عبد الرحمٰن بن أردك ـ يقال هو أخو علي بن الحُسين لأمِّه ـ قال: كان عليُّ بن الحُسين يدخل المسجد، فيشُقُ النَّاسَ حتَّى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جُبير: غفر اللهُ لك، أنت سيِّدُ النَّاس، تأتي تتخطَّى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال عليُّ بن الحسين: العلم يُبْتَغى ويُؤْتى ويُطْلَبُ من حيثُ كان»[3].

□ «ابن المبارك، عن ثور، عن خالد بن معدان، قال: لا يَفْقَهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتى يرى النَّاسَ في جَنْبِ اللهِ أمثالَ الأباعر؛ ثمَّ يرجع إلى نفسه فيكون لها أحْقَرَ حاقر»[4].

□ «أبو عاصم النَّبيل: حدثني أبو سَلَّام، عن وهب بن منبِّه، قال: العلمُ خليلُ المؤمن، والحِلمُ وزيره، والعقلُ دليلُه، والعملُ قيِّمُه، والصَّبْرُ أميرُ جنودِهِ، والرِّفقُ أبوه، واللِّينُ أخوه»[5].

□ «هشام، عن الحسن، قال: كان الرجلُ يطلبُ العِلْمَ فلا يَلْبَثُ أن يُرى ذلك في تَخَشُّعِهِ وزُهْدِه ولسانِهِ وبَصَرِهِ»[6].

---

(١) السير (٧/ ٧٢).
(٢) السير (١٠/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).
(٣) السير (٤/ ٣٨٨).
(٤) السير (٤/ ٥٣٩).
(٥) السير (٤/ ٥٤٩).
(٦) السير (٤/ ٥٨٣).

□ «يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق قال: رأيتُ القاسم بن محمد يُصلي، فجاء أعرابيٌّ فقال: أيُّما أعلمُ أنت أم سالم؟ فقال: سبحان الله! سبحان الله! فأعاد، فقال: ذاك سالم، انطلق فَسَلْهُ، فقام عنه.

قال ابن إسحاق: كَرِه أن يَقُول: أنا أعلم، فيكون تزكية، وكرِه أن يقول: سالم أعلمُ مني فيكذب، وكان القاسم أعلمهما»[1].

□ «قال ابن جريج عن عطاء: إنَّ الرجل ليحدثني بالحديث، فأُنْصِتُ له كأنِّي لم أسمعه، وقد سمعتُه قبل أن يُولَد»[2].

□ «وروى عبيد الله بن عمر، عن أبي حازم قال: لا تكون عالمًا حتى يكون فيك ثلاث خصال: لا تبغ على من فوقك، ولا تَحقِر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا»[3].

□ «قال جعفر بن عونَ: سمعتُ مسعرًا يُوصي ولده كِدامًا:

إنِّي منحْتُكَ يا كِدامُ نَصِيحَتي	فاسمعْ مَقَالَ أَبٍ عليْكَ شَفِيقِ
أَمَّا المُزَاحةُ والمِراءُ، فدعهُما	خُلُقَانِ لا أَرْضاهُما لصديقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُما فَلَمْ أَحْمَدْهُما	لِمُجَاورٍ جارًا ولا لرفِيق
والجَهْل يُزْري بالفتى في قومِه	وعُرُوقُه في النَّاسِ أيُّ عُرُوقِ

وهذان البيتان أظنهما لابن المبارك»[4].

□ «قال زيد بن أبي الزرقاء: كان المُعَافى يعظ الثوري، يقول: يا أبا عبد الله! ما هذا المُزاح؟ ليس هذا من فعل العلماء. وسفيان يقبل منه»[5].

□ «ابن وهب: سمعتُ مالكًا يقول: حقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ، وسكينة، وخشية، والعلم حسنٌ لمن رُزِق خيره، وهو قسم من الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفق للخير، وإن

(١) السير (٥/ ٥٦).
(٢) السير (٥/ ٨٦).
(٣) السير (٦/ ٩٨).
(٤) السير (٧/ ١٧٠).
(٥) السير (٧/ ٢٧٠).

من شقوة المرء أن لا يزال يُخطئ، وذلٌّ وإهانة للعلم أن يتكلم الرجلُ بالعلم عند من لا يُطيعه»[1].

▫ «قال الربيعُ: كتب إليَّ أبو يعقوب البُويطي: أنِ اصبر نفسك للغرباء، وحسِّن خُلُقَك لأهل حَلْقتك، فإني لم أزل أسمعُ الشافعيّ يقولُ كثيرًا ويتمثَّلُ:

أُهِينُ نفسي لكَيْ يُكْرِمُونَها وَلَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتي لا تُهِينُها»[2]

▫ «قال أبو ثور: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: ينبغي للفقيهِ أن يضع الترابَ على رأسه تواضعًا لله، وشكرًا لله»[3].

▫ «وربما جاء الأحداث يطلبون من بكر بن مضر المصري الحديث، فيقول لهم: تعلَّموا الورع»[4].

▫ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة، من عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خلقه شان دينه وحسبه ومروءته»[5].

▫ «علي بن خشرم: سمعت وكيعًا يقول: لا يكمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عمَّن فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونَه»[6].

▫ «قال محمد بن عيسى الزجاج: سمعت أبا عاصم يقول: من طلب الحديث، فقد طلب أعلى الأمور، فيجب أن يكون خير الناس»[7].

▫ «وعن أيوب العطار: أنه سمع بشرًا يقول: حدثنا حماد بن زيد قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد في القلب خُيلاء»[8].

▫ «قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الحقُّ

---

(١) السير (٨/ ١٠٧ ـ ١٠٨).
(٢) السير (١٢/ ٦١).
(٣) السير (١٠/ ٥٣)، التاريخ (١٤/ ٣٢٨).
(٤) السير (٨/ ١٩٦).
(٥) السير (٨/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨).
(٦) السير (٩/ ١٥٩).
(٧) السير (٩/ ٤٨٣).
(٨) السير (١٠/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).

يُحبه اللهُ ﷻ: أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه منِّي وأعلم منِّي»[1].

□ «سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: كنتُ أسمع وكيعًا يبتدئُ قبل أن يُحدِّث، فيقول: ما هنالك إلا عفوه، وإلا نعيش إلا في ستره، ولو كُشِفَ الغطاء لَكَشَفَ عن أمرٍ عظيم»[2].

□ «قال عبد الله بن جعفر بن خاقان المروزي: سمعتُ بُندارًا يقول: أردتُ الخروج ـ يعني: الرحلة ـ فمنعتني أُمِّي، فأطعتُها، فبُورك لي فيه»[3].

□ «قال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ الحسين بن محمد السمرقندي يقولُ: كان محمد بن إسماعيل مخصوصًا بثلاث خَصال مع ما كان فيه من الخِصال المحمودة: كان قليلَ الكلام، وكان لا يطمعُ فيما عند الناس، وكان لا يشتغلُ بأمور الناس، كلُّ شُغْله كان في العلم»[4].

□ «قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن شاذان، سمعتُ محمد بن علي الكَتَّاني، وسمعتُ عَمرو بن عثمان المكي، يقول: ما رأيتُ أحدًا من المُتعَبِّدين في كثرة من لَقيتُ منهم أشدَّ اجتهادًا من المُزنيِّ، ولا أَدْوَمَ على العبادة منه. وما رأيتُ أحدًا أشدَّ تعظيمًا للعلمِ وأهله منه. وكان من أشدِّ الناسِ تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسَعِهِ في ذلك على الناس، وكان يقول: أنا خُلُقٌ من أخلاقِ الشافعي.

قلت: وبلغنا أنّ المُزنيَّ كان مُجابَ الدعوة، ذا زُهدٍ وتَأَلُّهٍ، أخذَ عنه خلقٌ من العلماء وبه انتشر مذهبُ الإمام الشافعيِّ في الآفاق»[5].

□ «قال ابن أبي حاتم: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: ما رأيت أكثَرَ تواضُعًا من أبي زُرْعة، هو وأبو حاتم إمامَا خُراسان»[6].

□ «وكان ابن الحداد لحبه الحديث لا يدع المذاكرة، وكان يلزمه محمد بن سعد الباردي الحافظ، فأكثرَ عنه في مصنفاته، فذاكره يومًا

---

(1) السير (١٠/ ٥٠٠).

(2) السير (١٢/ ٩٢).

(3) السير (١٢/ ١٤٥).

(4) السير (١٢/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

(5) السير (١٢/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥).

(6) السير (١٣/ ٧٤).

بأحاديث، فاستحسنها ابن الحداد، وقال: اكتبها لي، فكتبها له، فجلس بين يديه، وسمعها منه وقال: هكذا يُؤخذ العلم، فاستحسن الناس ذلك منه»[1].

□ «قال الحاكم: وقلَّ ما رأيتُ أصبر على الفقر من أبي عمرو، وكان يتجمل بدست ثياب للجُمعات وحضور المجلس، ويلبس في بيته فروةً ضعيفة، ويأكل رغيفًا وبصلةً أو جزرة، وبلغني أنَّه كان يُحيي الليل، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويضرب اللبن لقبور الفقراء، لم أرَ في مشايخنا له في الاجتهاد نظيرًا، رَحِمَهُ اللهُ»[2].

□ «قال عبد الغني: لما رددتُ على أبي عبد الله الحاكم: «الأوهام التي في المدخل» بعثَ إليَّ يشكرني، ويدعو لي، فعلمتُ أنه رجل عاقل»[3].

□ «قال ابن الجوزي: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي قاضي المَرَسْتان يقول: من خدم المحابر، خدمته المنابر، يجب على المُعَلِّم أن لا يُعَنِّفَ، وعلى المُتعلِّم أن لا يَأْنَفَ»[4].

□ «الأجلح، عن مجاهد قال: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد. وقال منصور: قال مجاهد: لا تنوِّهوا بي في الخلق»[5].

□ «ومما رُوي من كلام عبيد الله بن أبي جعفر الليثي المصري وأجاد قال: إذا كان المرء يحدث فأعجبه الحديث فليمسك، وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتحدث»[6].

□ «وقال شعبة: هشام بن أبي عبد الله أحفظ منِّي عن قتادة، وأكثر مجالسة له منِّي»[7].

□ «وعن إبراهيم بن أدهم قال: كلُّ ملك لا يكون عادلًا فهو واللِّص سواء، وكلُّ عالم لا يكون ورعًا فهو والذئب سواء، وكلُّ من يخدم سوى الله

(١) السير (١٥/ ٤٤٩).
(٢) السير (١٦/ ١٦٣).
(٣) السير (١٧/ ٢٧٠)، التاريخ (٢٨/ ١٩٠)، التذكرة (٣/ ١٠٤٨).
(٤) السير (٢٠/ ٢٧).
(٥) التاريخ (٧/ ٢٣٧).
(٦) التاريخ (٨/ ٤٧٨).
(٧) التاريخ (٩/ ٦٥٦).

فهو والكلب بمنزلة واحدة»[1].

◻ «وقال مالكٌ: لا يكون إمامًا من حدَّث بكلِّ ما سمع.

وقال: إنَّ حقًا على منْ طَلَبَ العِلْمَ أنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وسَكِينَةٌ وَخشْيَةٌ، وأنْ يَكُونَ مُتبعًا لأثرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ»[2].

◻ «وقال الحاكم: سمعت يحيى بن محمد أبا زكريا النيسابوري العدل يقول: للعالم المختار أن يرجع إلى حُسْن حالْ، فيأكل الطِّيبَ والحلال، ولا يكسب بعلمه المال، ويكون علمه له جمال، وماله من الله المُتْعال مَنٌّ عليه وإفضال»[3].

◻ «قال أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي كان يقول: خمسة كان عليها الصحابة والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السُّنَّة، وعمارة المساجد، والتلاوة، والجهاد»[4].

◻ «وسمعت أبا الفضل بن يمان الأديب يقول: رأيت أبا العلاء الهمداني في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم لأن السراج كان عاليًا. إلى أن قال: فعظم شأنه في القلوب حتى أن كان يمر في همذان فلا يبقى أحد رآه إلا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود.

وربما كان يمضي إلى بلدة مشكان يصلي بها الجمعة فيتلقاه أهلها خارج البلد، المسلمون على حدة واليهود على حدة يدعون له إلى أن يدخل البلد وكان يفتح عليه من الدنيا جمل فلم يدخرها بل ينفقها على تلامذته، وكان عليه رسوم لأقوام وما كان يبرح عليه ألف دينار همذانية أو أكثر من الديْن مع كثرة ما كان يفتح عليه.

وكان يطلب لأصحابه من الناس ويعز أصحابه ومن يلوذ به ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه، وكان لا يأكل من أموال الظلمة ولا يقبل

---

(١) التاريخ (١٠/ ٥٠).
(٢) التاريخ (١١/ ٣٣١).
(٣) التاريخ (٢٥/ ٣١٥).
(٤) التذكرة (١/ ١٨٠).

منهم مدرسة قط ولا رباطًا وإنما كان يقرأُ في داره ونحن في مسجده سُكَّان.

وكان يقرئ نصف نهاره الحديث ونصفه القرآن والعلم، وكان لا يغشى السلاطين ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يُمكِّن أحدًا يعمل في مجلسه منكرًا ولا سماعًا، فكان ينزِّل كل إنسان منزلته حتى تألفت القلوب على محبته وحسن الذكر له في الآفاق البعيدة حتى أهل خوارزم الذين هم معتزلة مع شدته في الحنبلية.

وكان حسن الصلاة ولم أر أحدًا من مشايخنا أحسن صلاة منه، وكان متشددًا في أمر الطهارة لا يدع أحدًا يمس مداسه، وكان ثيابه قصارًا وأكمامه قصارًا وعمامته نحو سبعة أذرع، وكانت السُّنَّة شعاره ودثاره اعتقادًا وفعلًا بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه رجل فقدَّم رجله اليسرى كلفه أن يرجع فيقدِّم اليمنى، لا يمس الأجزاء إلا على وضوء، ولا يدع شيئًا قط إلا مستقبل القبلة تعظيمًا لها»[1].

١٥ ـ احترام العلم، والعلماء:

□ «قال الدارقطني: كان ابن حَيُّويه لا يترك أحدًا يتحدث في مجلسه، وقال: جئتُ إلى شيخ عنده «الموطأ»، فكان يُقرأ عليه وهو يتحدث. فلمَّا فرغ، قلتُ: أيُّها الشيخ: يقرأ عليك وأنت تتحدث؟! فقال: قد كنتُ أسمع، قال: فلم أعد إليه.

قلتُ: كذا شيوخ الحديث اليوم، إن لم ينعسوا تحدَّثوا، وإن عُوتبوا، قالوا: قد كنا نسمع، وهذه مكابرة»[2].

□ «وقال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلًا قطّ»[3].

□ «قال أبو مصعب: كان مالك لا يُحدِّث إلا وهو على طهارة إجلالًا للحديث»[4].

---

(١) التذكرة (٤/ ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧).

(٢) السير (١٦/ ١٦٠ ـ ١٦١).

(٣) التاريخ (٥/ ١٥٧).

(٤) السير (٨/ ٩٦).

□ «قال عبد الله بن محمد بن سيَّار: سمعت ابن عَرْعَرة يقول: كان طاهر بن عبد الله ببغداد، فَطَمِعَ في أن يسمع من أبي عُبيد، وطمع أن يأتيَه في منزله، فلم يفعل أبو عبيد، حتى كان هو يأتيه، فقدم عليٌّ بن المديني، وعبّاس العنبريُّ، فأراد أن يسمعا «غريب الحديث»، فكان يحمِلُ كُلَّ يومٍ كتابه، ويأتيهما في منزلهما، فيُحدِّثُهما فيه»[1].

□ «وقيل: إن الزجاجي ما بيَّض مسألة في «الجمل» إلّا وهو على وضوء، فلذلك بُورك فيه»[2].

□ «قال الخطَّابي: حدثني عبد الله بن محمد المِسْكي، حدثني أبو بكر بن جابر خادم أبي داود رَحِمَهُ اللهُ قال: كنتُ مع أبي داود ببغداد، فصلينا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق ـ يعني: ولي العهد ـ فدخل، ثم أقبلَ عليه أبو داود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خِلال ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقِل إلى البصرة فتتخذها وطنًا، ليرحل إليك طلبة العلم، فتعمر بك، فإنها خربت، وانقطع عنها الناس، لِمَا جرى عليها من مِحْنَة الزِّنج. فقال: هذه واحدة. قال: وتروي لأولادي «السُّنن». قال: نعم، هات الثالثة. قال: وتُفْرِدُ لهم مجلسًا، فإنَّ أولاد الخُلفاء لا يقْعدون مع العامَّة. قال: أمّا هذه فلا سبيل إليها؛ لأنَّ النَّاس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانُوا يحضرون ويقعدون في كِمٍّ حِيري، عليه سِتْر»[3].

□ «قال سعيد بن عفير: ثنا أبو خالد المرادي أن زياد بن عبد العزيز بن مروان أرسل إلى يزيد بن أبي حبيب ائتني لأسألك عن شيء من العلم، قال: فأرسل إليه: بل أنت فائتني، فإن مجيئك إليَّ زين لك، ومجيئي إليك شَيْن عليك»[4].

□ «وعن مالك بن أنس قال: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه»[5].

---

(١) السير (١٠/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧).
(٢) السير (١٥/ ٤٧٦).
(٣) السير (١٣/ ٢١٦).
(٤) التاريخ (٨/ ٣٠٥).
(٥) التاريخ (٨/ ٣٨٠).

◘ «وقال ابن زيد بن أسلم: قال لي أبو حاتم: لقد رأيتنا في مجلس أبيك أربعين حبرًا فقيهًا أدنى خصلة منا التواسي بما في أيدينا ما رؤي فينا متماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفع»[1].

◘ «أخبرنا يوسف بن أبي نصر، وعلي بن عثمان البربري، وعبد الله بن قوام، ومحمد بن حازم، ومحمد بن هاشم العباسي، وشريح بن محمد وطائفة، قالوا: أنا الحسين بن المبارك، أنا عبد الأول بن عيسى، أنا محمد بن أبي مسعود، أنا أبو محمد بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا أبو الجهم الباهلي، ثنا عبد القدوس ـ أراه يعني: ابن حبيب ـ، حدثني نافع، عن ابن عمر قال: من اطلع في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنه يطلع في جهنم»[2].

◘ «وعن ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته»[3].

١٦ ـ الإنصاف:

◘ «ولا ريب أن كلَّ من أنس من نفسه فقهًا، وسَعَة علمٍ، وحُسْنَ قصدٍ، فلا يسعُه الالتزام بمذهب واحدٍ في كل أقواله؛ لأنه تبرهن له مذهب الغير في مسائل، ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجةُ، فلا يُقلد فيها إمامَه، بل يعمل بما تبرهن، ويقلِّد الإمامَ الآخر بالبرهان، لا بالتَّشهي والغرض. لكنه لا يُفتي العامَّة إلا بمذهب إمامه، أو ليصمت فيما خفيَ عليه دليلُه»[4].

◘ «ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلِمَ تحرِّيه للحق، واتسع علمُه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[5].

---

(١) التاريخ (٨/ ٤٣٠).
(٢) التاريخ (١٠/ ٣٣٣).
(٣) التاريخ (١٢/ ٢٣٢).
(٤) السير (٨/ ٩٣ ـ ٩٤).
(٥) السير (٥/ ٢٧١).

□ «وكُلُّ أحد يُؤخَذُ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا أخطأ إمامٌ في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننْسى محاسنه، ونُغطي معارفه، بل نستغفرُ له، ونعتذِرُ عنه»[1].

□ «ولقد كان أبو جعفر الباقر إمامًا، مجتهدًا، تاليًا لكتاب الله، كبير الشأن، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب. فلا نحابيه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمَّع فيه من صفات الكمال»[2].

□ «ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد: أيهما أعلم صاحبُنا أم صاحبكُم؟ ـ يعني: أبا حنيفة ومالكًا ـ قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدك بالله، من أعلمُ بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلتُ: من أعلم بالسنَّة؟ قال: صاحبكم. قلت: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصولَ، على أيِّ شيء يَقيس؟.

قلتُ: وعلى الإنصاف، لو قال قائلٌ: بل هما سواءٌ في علم الكتاب، والأول: أعلمُ بالقياس، والثاني: أعلم بالسنَّة، وعنده علمٌ جَمٌّ من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلمُ بأقاويل عليٍّ، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ، فرضي الله عن الإمامين، فقد صِرْنا في وقتٍ لا يَقْدِرُ الشخصُ على النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة»[3].

□ «وكان يعقوب الحضرمي يُقرئ الناس علانيةً بحرفِه بالبصرة في أيام ابن عُيينة، وابن المُبارك، ويحيى القطَّان، وابن مهدي، والقاضي أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى اليَزيدي، وسُليم، والشافعيِّ، ويزيدَ بن هارون، وعددٍ كثيرٍ من أئمة الدين، فما بلغَنَا بعد الفحصِ والتنقيب أنّ أحدًا من القُرَّاء ولا الفقهاءِ ولا الصلحاءِ ولا النُّحاة ولا الخُلفاء كالرَّشِيدِ والأمين والمأمونِ

---

(١) السير (١٨/ ١٥٧).
(٢) السير (٤/ ٤٠٢).
(٣) السير (٨/ ١١٢ ـ ١١٣).

أنكروا قراءته، ولا منعوه منها أصلًا، ولو أنكر أحدٌ عليه لنُقِل ولاشتهر، بل مدحها غير واحد، وأقرأ بها أصحابُه بالعِراق، واستمرَ إمامُ جامعِ البصرة بقراءتها في المحراب سنين مُتَطَاولة، فما أنكرَ عليه مُسلِمٌ، بل تلقَّاها الناسُ بالقَبُول، ولقد عُومِلَ حمزة مع جلالته بالإنكار عليه في قراءته من جماعة من الكبار، ولم يجْر مثل ذلك للحضرميِّ أبدًا، حتى نشأ طائفةٌ متأخرون لم يألفوها، فأنكروها، ومَن جَهِل شيئًا عاداه، قالوا: لم تتصل بنا مُتواترة، **قلنا**: اتصلتْ بخلقٍ كثير متواترة، وليس من شرط التواتر أن يصل إلى كل الأمة، فعند القرَّاء أشياءٌ متواترة دون غيرهم، وعند الفقهاء مسائل متواترة عن أئمتهم لا يدريها القرَّاء، وعند المحدثين أحاديث متواترة قد لا يكون سمعها الفقهاء، أو أفادتهم ظنًّا فقط، وعند النّحاةِ مسائلُ قطعيَّة، وكذلك اللُّغَويين، وليس من جهل علمًا حجة على من علم، وإنما يُقال للجاهل: تعلَّم، وسلْ أهل العلم إن كنت لا تعلم، لا يقال للعالم: اجهل ما تعلم، رزقنا الله وإياكم الإنصافَ، فكثير من القراءات تدَّعون تواترها، وبالجهد أن تقدِروا على غير الآحاد فيها، ونحن نقول: نتلو بها وإن كانت لا تُعرَفُ إلا عند واحدٍ، لكونها تُلقّيت بالقبول، فأفادت العلمَ، وهذا واقع في حروفٍ كثيرة، وقراءات عديدة، ومن ادَّعى تواترها فقد كابر الحِسَّ، أمَّا القرآن العظيم، سُوَرُهُ وآياتُه فمُتواتِر، ولله الحمدُ، محفوظ من الله تعالى، لا يستطيع أحدٌ أن يُبَدله ولا يزيد فيه آية ولا جُمْلَةً مستقلة، ولو فعلَ ذلك أحدٌ عمدًا لانسلخ من الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]»[١].

◻ «قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت: سمعت الشعبي وقيل له: إن إسماعيل السدي قد أعطي حظًّا من علم القرآن. قال: إن إسماعيل قد أُعطي حظًّا من جهل بالقرآن.

قلت: ما أحد من العلماء إلا وما جهل من العلم أكثر مما علم»[٢].

◻ «وبكل حال الماوَرْدِي مع بدعةٍ فيه من كبار العلماء. فلو أنَّنا هدرنا

---

(١) السير (١٠/ ١٧٠ ـ ١٧٢). (٢) التاريخ (٨/ ٣٧).

كلَّ عالمٍ زلَّ لَمَا سلم معنا إلا القليل، فلا تحطَّ يا أخي على العلماء مطلقًا، ولا تبالغْ في تقريظهم مطلقًا، واسأل الله أن يتوفَّاك على التَّوحيد»[1].

□ «وجزمت أن المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة»[2].

□ «ولقدْ كَانَ فِي هذَا العَصْرِ من أهْلِ الطَبَقةِ التَّاسِعَةِ ومَا قَاربَه من أئمَةِ الحَدِيثِ النَّبَويِّ خَلْقٌ كثيرٌ، وما ذَكَرْنَا عُشْرهم هُنا، وأكثَرُهم مذكُورُون في تَاريخي، وكَذَلِكَ كان في هَذَا الوَقْتِ خلقٌ مِنْ أئمَة أهْل الرأي والفُروعِ وعددٌ مِنْ أسَاطِينِ المعتزلة والشيعةِ وأصحابِ الكلامِ الذين مشَوا وراءَ المعقُولِ، وأعْرضُوا عمَّا عليه السَّلف من التمسُّك بالآثارِ النبويَّةِ، وظَهَرَ في الفُقَهَاءِ التَّقليدَ، وتناقصَ الاجتهادَ، فسْبحانَ مَنْ لَه الخلقُ والأمرُ، فبالله عليْكَ يا شيخُ ارفقْ بنفسكَ، والزمْ الإنصافَ، ولا تنظُرْ إلى هؤلاءِ الحفاظِ النَّظَرَ الشَزَرَ، ولا ترمقُهُم بعينِ النَّقْصِ، ولا تَعْتَقِدَ فيهم أنَّهُم من جِنْسِ مُحَدِثِي زَمَانِنَا، حاشَا وكلا، فمَا في مَنْ سَميتُ أحد ولله الحمْد إلا وهُو بصيرٌ بالدِّينِ، عالمٌ بسبيلِ النَّجَاةِ، وليسَ في كِبَارِ مُحدثِي زَمَانِنَا أحدٌ يبلغُ رتبةَ أولئكِ في المعْرِفَةِ، فإنِّي أحْسِبُك لفَرْطِ هَوَاكَ تقولُ بلسانِ الحالِ إنْ أعْوزَكَ المقالُ: مَنْ أحمدُ؟ ومَا ابنُ المَدِيني؟ وأيُّ شيءٍ أبُو زُرْعَةَ وأبُو دَاودَ؟ هؤُلاءِ مُحدِّثُون ولا يَدْرُونَ ما الفقْه، وما أصُوله؟ ولا يفْقَهُون الرأيَّ، ولا عِلْمَ لهُم بالبيانِ والمعانِي والدقائقَ، ولا خبرةَ لهُم بالبرهانِ والمنطِقِ، ولا يعرفُون اللهَ تعالى بالدّليل، ولا هُم مِنْ فُقَهَاءِ الملَّةِ.

فاسْكُتْ بحلمٍ، أو انطقْ بعلمٍ، فالعلمُ النَّافعُ هو النَّافعُ عن أمْثَالِ هؤُلاء، ولكنْ نِسْبَتُكَ إلى أئمَّةِ الفقهِ كنسْبَةِ مُحدِثِي عصْرِنَا إلى أئمَّةِ الحَدِيثِ، فلا نحْن ولا أنْتَ، وإنَّمَا يَعْرِفُ الفضْلَ لأهلِ الفضْلِ ذُو الفضْلِ، فمنِ اتَّقَى اللهَ رَاقَبَ الله

(١) التاريخ (٣٠/٢٥٦).

(٢) السير (٣/٩٤٨).

واعْتَرَفَ بنقصْهِ، ومَنْ تَكَلَّمَ بالجَاهِ وبالجَهْلِ أو بالشَّرِ والبآوِ فأعْرِضْ عنْهُ، وذرْه في غيِّه، فَعُقْبَاهُ إلى وَبَالٍ. نَسْألُ اللهَ العَفْوَ والسَّلامَةَ»[1].

▫ «قال عبد الغني: لمَّا رددتُ على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في المدخل إلى الصحيح بعث إليَّ يشكرني ويدعو لي فعلمت أنه رجل عاقل»[2].

▫ «وقد لحقت جماعة من الفضلاء بهذه الصفة يبالغون في تعظيم كبير فوق الحاجة، وله معضلات ومزمنات لا يفهمونها ولا يخوضون في لوازمها، أو قد لا يعرفون أنَّه عمَّق في ذلك، ولا دقق، كما أن طوائف وعلماء يذمون الكبير بشناعة، قيلت عنه أو لم يقلها، أو تاب منها، أو له عذر عند الله تعالى لحسن قصده، واستفرغ وسعه في اجتهاده، وله أعمال صالحة، وعلوم نافعة تدفن، وتنسى، فما أحسن الإنصاف، وما أجمل الورع، ولقد جلست مع الشيخ نصر المنبجي في زاويته وأعجبني سمته وعبادته، ونقل إليه أوباش عن شيخنا ابن تيمية أنه يحط على الكبار، فبنى على ذلك، فهلَّا اتعظت في نفسك بذلك ولم تحط على ابن تيمية؟! فإنَّه ـ والله ـ من كبار الأئمة.

وبعد: فكلام الأقران لا يقبل كله، ويُقبل منه ما بترهن، والله الموفق»[3].

▫ «وكلُّ أحد يُؤخذ من قوله ويُترك، والكمال للرسل، والحجة في الإجماع، فرحم الله امرءًا تكلم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بتؤدة، ثم استغفر لهم ووسع نطاق المعذرة، وإلا فهو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته؛ فقد أقررت على نفسك بالهوى وعدم الإنصاف، وإن قلت: لا أعذره لأنه كافر عدو الله تعالى ورسوله، قال لك خلق من أهل العلم والدين: ما علمناه والله إلا مؤمنًا محافظًا على الصلاة

---

(١) التذكرة (٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨).

(٢) التذكرة (٣/١٠٤٨)، التاريخ (٢٨/ ١٩٠)، السير (١٧/ ٢٧٠).

(٣) ذيل التاريخ ص(١٩٥ ـ ١٩٦).

والوضوء وصوم رمضان، معظمًا للشريعة ظاهرًا وباطنًا، لا يُؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم، فإنَّه بحر زخَّار. بصير بالكتاب والسُّنَّة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو يتفرد بما سئل بالتشهي، ولا يُفتي بما اتفق؛ بل مسائله المفردة يَحتج لها بالقرآن أو بالحديث أو بالقياس، ويبرهنها ويناظر عليها ويفعل فيها الخلاف، ويطيل فيها البحث أسوة من تقدمه من الأئمة.

فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يبد حجة، ورجل تكلم في مسألة بلا خميرة من علم ولا توسع في نقل، فنعوذ بالله من الهوى والجهل.

ولا ريب أنَّه لا اعتبار بذم أعداء العالم، فإنَّ الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف، والقيام عليه، ولا اعتبار بمدح خواصه والغلاة فيه، فإنّ الحب يحملهم على تغطية هنَّاته؛ بل قد يعدها له محاسن. وإنما العبرة بأهل الورع والتقوى من الطرفين الذين يتكلمون بالقسط ويقومون لله ولو على أنفسهم وآبائهم.

فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دنيا ولا مالًا ولا جاهًا بوجه أصلًا، مع خبرتي التامَّة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه وأدفن فضائله، وأبرز ذنوبًا له مغفورة في سعة كرم الله تعالى، وصفحه مغمورة في بحر علمه وجوده، فالله يغفر له ويرضى عنه ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه»[١].

□ «وما زال يمر بي الرجل الثبت وفيه مقال من لا يُعبأ به، ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والأئمة، فبعض

---

(١) ذيل التاريخ ص(٣٢٧ ـ ٣٢٩).

الصحابة كفَّر بعضهم بتأويل ما، والله يَرْضَى عن الكل ويغفر لهم، فما هم بمعصومين، وما اختلافهم ومحاربتهم بالتي تلينهم عندنا أصلًا، وبتكفير الخوارج لهم انحطت رواياتهم، بل صار كلام الخوارج والشيعة فيهم جرحًا في الطاعنين، فانظر إلى حكمة ربك ـ نسأل الله السلامة ـ وهذا كثير من كلام الأقران بعضهم في بعض، ينبغي أن يُطوى ولا يُروى ويطرح ولا يُجعل طعنًا، ويُعامل الرجل بالعدل والقسط، وسوف أبسط فصلًا في هذا المعنى يكون فصلًا بين الجرح المعتبر وبين الجرح المردود إن شاء الله»[1].

□ «لو أنَّنا كلَّما أخطأ إمامٌ مجتهدٌ في مسألة خطأً مغفورًا له هجرْناه وبدَّعناه، لَما سَلِمَ أحدٌ من الأئمَّة، والله الهادي للحق، والرَّاحم للخلْق»[2].

١٧ ـ النصيحة في طلب العلم:

□ «أخبرنا عبد الحافظ بن بدران بنابلس، أخبرنا أحمد بن الخضر، أخبرنا حمزة بن أحمد بن فارس، أخبرنا نصر بن إبراهيم الزاهد، حدثنا عبدوس بن عمر التنيسي، أخبرنا أبو الفتح الفرغاني، أخبرنا علي بن عبد الله الصوفي، حدثنا محمد بن الحسن المقرئ، سمعت يوسف بن الحسين، سمعت ذا النون يقول: كان العلماء يتواعظون بثلاثٍ، ويكتب بعضُهم إلى بعض: من أحسنَ سريرته، أحسن الله علانيته، ومَن أصلحَ ما بينه وبين الله، أصلحَ الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلحَ أمر آخرتِه، أصلحَ الله أمرَ دُنياه»[3].

□ «قال الخطيب: استشرتُ البَرقاني في الرحلة إلى أبي محمد بن النحاس بمصر، أو إلى نيسابور على أصحاب الأصم؟ فقال: إنَّك إن خرجتَ إلى مصر إنمَّا تخرج إلى واحد، إن فَاتَك، ضاعت رحلتك، وإن خرجتَ إلى نيسابور، ففيها جماعة، إن فاتك واحدٌ، أدركتَ مَنْ بقي. فخرجتُ إلى نيسابور»[4].

---

(١) الرواة الثقات ص(٢٣ ـ ٢٤).
(٢) التاريخ (٢٢/ ٢٩٩).
(٣) السير (١٩/ ١٤١).
(٤) السير (١٨/ ٢٧٥).

□ «أنبؤونا عن شهاب الحاتِمي، أخبرنا أبو سعد السمعاني، سمعت مَن أثق به يقول: قال عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي: ينبغي لِصاحب الحديثِ أن يكونَ سريعَ القراءة، سريعَ النسخ، سريعَ المشي»[1].

□ «ومن وصايا الموفق ابن اللبَّاد، قال: ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول، فاقرأ السيرة النبوية، وتتبع أفعالَهُ، واقتف آثارَهُ وتشبَّه به ما أمكنك.

من لم يحتمل ألم التَّعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح.

إذا خلوت من التَّعلم والتفكُّر فحرّك لسانك بالذِّكر وخاصة عند النَّوم، وإذا حدث لك فرحٌ بالدُّنيا فاذكر الموت وسُرعة الزّوال وكثرة المُنغِّصات.

إذا حَزَبك أمرٌ فاسترجع، وإذا اعترتك غَفْلةٌ فاستغفر.

واعلم أن للدين عبقة وعرقًا ينادي على صاحبه ونورًا وضيئًا يشرف عليه ويدل عليه، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة، وطهرنا من دَرَن الدنيا بالإخلاص لك»[2].

□ «ورُوي عن مهزم بن خالد قال: نظر إليَّ عبد الحميد الكاتب وأنا أكتب خطًّا رديئًا، فقال: إنْ أردتَ أن يجود خطك، فأطِل جلفتك وأسمِنْها، وحرِّف قِطّتَك وأَيْمِنْها»[3].

□ «قال القاضي عبد الصمد في تاريخه: سمعت محمد بن عوف يقول: كنت ألعب في الكنيسة بالكرة، وأنا حدث، فدخلتْ الكرة إلى المسجد، فوقعت بالقرب من المُعافى بن عِمْران، يعني: الحمصي، فدخلتُ لآخذها، فقال: ابن من أنت؟

قلت: ابن عُوف.

قال: أما إنَّ أباك كان من إخواننا، وكان ممَّن يكتب معنا العلم والذي يشبهك أن تتَّبع ما كان عليه والدك.

---

(١) السير (١٩/ ٣٦٦).
(٢) السير (٢٢/ ٣٢٢).
(٣) التاريخ (٨/ ٤٧١).

فصرت إلى أمِّي فأخبرتها، فقالت: صدق يا بُنيَّ. فألبستني ثوبًا وإزارًا، ثمَّ جئت إليه ومعي مِحْبرةٌ وورق، فقال لي: اكتُب: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربِّه بن سليمان قال كتبت لي أمُّ الدرداء في لَوْحي: «اطلبوا ممّا يعلمني العِلم صِغارًا تعملوا به كِبارًا، فإنَّ لكل حاصِدٍ ما زرعَ»[1].

□ «وقال محمَّدُ بنُ أبي حَاتم: سمعتُ البخاريَّ يقولُ: دخلتُ بغداد آخر ثمان مرَّات، في كلِّ ذلك أُجالِس أحمدَ بنَ حنبلٍ، فقال لي في آخر ما وَدَّعْتُه: يا أبا عبد اللهَ! تدعُ العلمَ والنَّاسَ، وتصيرُ على خُرَاسَانَ؟! قال: فأنا الآن أذْكُرُ قَوْلَه»[2].

١٨ ـ أن يكون كريمًا مع أهل العلم، مع ذكر صور من كرم العلماء:

□ «أخبرنا المؤمَّلُ بن محمد وجماعةٌ إذنًا، قالوا: أخبرنا الكِندي، أخبرنا القزَّاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب، حدثنا أبو طالب يحيى بنُ علي الدَّسْكري بحُلوان، سمعتُ الحسنَ بن أحمد بن سعيد بن عصمة البخاري، سمعتُ الفضل بنَ العباس الهروي، سمعتُ عاصمًا المرْوزِي، سمعتُ عمرو بن علي يقول: كانت غَلَّةُ عبدِ الوهَّاب بن عبد المجيد في كل سنةٍ ما بين أربعين ألفًا إلى خمسين ألفًا، فكان إذا أتى عليه السَّنةُ، لم يُبْقِ منها شَيئًا، كان يُنْفقُها على أصحاب الحديث»[3].

□ «وقيل: إن أبا عاصم قيل له: النبيل؛ لأن شعبة حلفَ ألَّا يُحدِّثَ أصحاب الحديث شهرًا، فقصدُه أبو عاصم، فدخل مجلسَه، وقال: حدِّثْ، وغلامي العطَّار حُرٌّ لوجه الله كفارةً عن يمينك، فأعجبه ذلك»[4].

□ «وجمع حُسَينُ بنُ الوليد النيسابوري وصنف، وأنفق أموالًا على أهل الحديث، وقيل: كان يُطْعِمُ أصحابَ الحديثِ الفالوذجَ، ويَصِلُهُم، كان مُحْتَشِمًا، مُتمولًا، جَوادًا، فقيهًا، كبيرَ الشأن»[5].

---

(١) التاريخ (٢٠/٤٥٨).
(٢) السير (١٢/٤٠٣).
(٣) السير (٩/ ٢٣٩).
(٤) السير (٩/ ٤٨٣).
(٥) السير (٩/ ٥٢٠، ٥٢١).

□ «أبو جعفر الترمذيُّ: سمعت الربيعَ قال: كان بالشافعي هذه البواسير، وكانت له لِبْدَةٌ محشُوة بحُلْبَة يجلسُ عليها، فإذا ركبَ، أخذت تلك اللَّبْدَةَ، ومشيتُ خلفَه، فناوله إنسانٌ رقعة يقول فيها: إنّني بقَّال، رأس مالي درهمٌ، وقد تزوجتُ، فأعنِّي، فقال: يا ربيع! إعطه ثلاثينَ دينارًا واعْذِرْني عنده. فقلتُ: أصلحك الله، إنَّ هذا يكفيه عشرةُ دراهم، فقال: ويحك! وما يصنع بثلاثين؟ أفي كذا، أم في كذا ـ يُعدُّ ما يصنعُ في جهازه ـ أعطِهِ.

ابن أبي حاتم: أخبرنا عبدُ الرحمٰن بنُ إبراهيم، حدثنا محمدُ بنُ رَوْح، حدثنا الزُّبير بنُ سليمان القُرشي، عن الشافعيِّ، قال: خرج هَرْثَمَةُ، فأقرأني سلامَ أميرَ المؤمنينَ هارون، وقال: قد أمرَ لكَ بخمسةِ آلاف دينار. قال: فحملَ إليه المال، فدعا بحجَّام، فأخذ شعره، فأعطاه خمسين دينارًا، ثم أخذ رِقَاعًا، فصرّ صُررًا، وفرَّقها في القُرشيين الذين هم بالحضْرَةِ ومَنْ بمكةَ، حتى ما رجع إلى بيتِه إلا بأقلَّ من مئةِ دينار.

محمد بن بشر العَكَريُّ: سمعتُ الربيعَ قال: أخبرني الحُميديُّ قال: قدم الشافعيُّ صنعاءَ، فضُربتْ له خيمةٌ، ومعه عشرةُ آلاف دينار، فجاءَ قومٌ، فسألوه، فما قُلِعَتْ الخيمةُ ومعه منها شيء. رواها الأصمُّ وجماعةٌ عن الربيعِ»[(١)].

□ «قال أبو نُعيم الأصبهاني: كان الحُسين بن حَفص وجهَ النَّاس وزَينَهم، وكان دَخْلُهُ في كُلِّ سنةٍ مئةَ ألف، فما وجبتْ عليه زكاةُ قط، وكانت صِلاتُهُ وجوائزهُ دارَّةً على المحدثين وأهلِ العلم والفضل مثل أبي مسعود، وعمرو بن علي الفلَّاس، كان من المُختَصِّين بسُفيان الثوري، وقيل: إنَّ سفيان حَجَّ على مركبه»[(٢)].

□ «قال محمد بن أبي حاتم: وكنَّا ـ يعني: هو والإمام البخاري ـ بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطًا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على

---

(١) السير (١٠/ ٣٨).

(٢) السير (١٠/ ٣٥٧).

ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنتُ أقول له: إنك تُكفى يا أبا عبد الله. فيقول: هذا الذي ينفعنا، ثم أخذ ينقل الزِّنبرات معه، وكان ذبح لهم بقرةً، فلما أدركت القدورُ، دعا النَّاسَ إلى الطعام، وكان بها مئةُ نفسٍ أو أكثر، ولم يكن عَلِمَ أنَّه يجتمع ما اجتمع، وكنَّا أخرجنا معه من فربر خبزًا بثلاثة دراهم أو أقل، فألقينا بين أيديهم، فأكلَ جميعُ مَنْ حضر، وفضلت أرغفةٌ صالحةٌ، وكان الخبزُ إذ ذاك خمسة أَمْناء بدرهم.

قال: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهارُ فلا يأكل فيه رقاقةً، إنَّما كان يأكلُ أحيانًا لوزتين أو ثلاثًا. وكان يجتنبُ توابلَ القُدُورِ مثل الحمص وغيره. فقال لي يومًا شِبْه المُتفرِّج بصاحبه: يا أبا جعفر! نحتاج في السنة إلى شيءٍ كثير. قلتُ له: قدرُ كم؟ قال أحتاجُ في السَّنة إلى أربعة آلاف درهم أو خمسة آلاف درهم. قال: وكان يتصدقُ بالكثير يأخذ بيده صاحبَ الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين وأقل وأكثر من غير أن يشعر بذلك أحدٌ. وكان لا يفارقه كيسه، ورأيته ناول رجلًا مرارًا صُرةً فيها ثلاث مئة درهم، وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد، فأراد أن يدعو فقال له أبو عبد الله: أرفق واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحدٌ»[1].

▫ «قال الحاكم: ورثَ أبو عَمْرو بن نُجَيْدٍ من آبائه أموالًا كثيرةً، فأنفقَ سائرها على العُلماءِ والزُّهادِ»[2].

▫ «قرأت على أحمد بن عبد الكريم بمصر، وأخبرنا نصر بن جَرْو، أخبرنا أبُو طَاهر السِّلفي، أخبرنا حمدُ بن نصْر الحافظ بهَمَذان، سمعتُ عليُّ بنُ حُمَيْد الذهلي، سمعتَ طَاهِرُ بنُ عبد الله بن مَاهلةَ الحافظُ، سمعتُ حمَدُ بنُ غَمْر الزَّجَّاجُ الحافظُ يقول: لَمَّا أمْلَى صالحُ بنُ أحمدَ التَّمِيمي الحافظُ بهَمَذان كانت له رحًى، فَبَاعَهَا بسبعِ مئةَ دينارٍ ونَثَرَهَا على مَحَابِرَ أَصْحَابِ الحديثِ»[3].

---

(١) السير (١٢/ ٤٥٠).
(٢) السير (١٦/ ١٤٧).
(٣) السير (١٦/ ٥٢٠)، التاريخ (٢٧/ ٧٧ ـ ٧٨).

□ «قال التَّنُوخِيُّ: قال لي أبو إسحاق الطَّبري: من قال: إنَّ أحدًا أنفقَ على أهلِ العلم مئةَ ألف دينار، فقد كذب غيرَ أبي محمد بن الأكفاني»[1].

□ «قال الحافظ ابنُ ناصِرٍ: أخبرتني أمِّي أن أبي حدثها قال: كنتُ أدخل على الخطيب، وأُمَرِّضه، فقلتُ له يومًا: يا سيدي! إنَّ أبا الفضل بنَ خيرون لم يُعطني شيئًا من الذَّهبِ الذي أَمرتَه أن يُفرقه على أصحاب الحديث. فرفع الخطيبُ رأسَه من المخدة، وقال: خذ هذه الخِرقة، باركَ الله لك فيها. فكان فيها أربعون دينارًا، فأنفقتُها مدة في طلب العلم»[2].

□ «قال أبو سعد السمعاني: سمعتُ يوسف بن أيوب الزَّاهدَ يقولُ: ما رأيتُ علويًّا أفضلَ من أبي المعالي الحُسيني، وأثنى عليه، وكان من الأغنياء المذكورين، وكان كثيرَ الإيثار، يُنَفِّذُ في العام إلى جماعةٍ من الأئمة الألف دينار والخمسَ مئةٍ وأكثرَ على كلِّ واحدٍ، فربما بلغ ذلك عشرةَ آلافِ دينار، ويقول: هذه زكاةُ مالي، وأنا غريبٌ، ففرِّقوا على مَنْ تعرفونَ استحقاقه، وكلُّ من أعطيتُمُوه؛ فاكتبوا له خطًّا، وأرسلوه حتى أُعْطِيَه من عُشْر الغلَّة. قال: وكان يَملك قريبًا من أربعين قرية خالصةً له بنواحي كِس، وله في كُلِّ قريةٍ وكيلٌ أَمْيَزُ من رئيسٍ بسمرقند»[3].

□ «قال إبراهيمُ بنُ مهدي بن قليُنا: كان شيخُنا أبو بكر الطُّرطُوشي أنجبَ عليه نحوٌ من مئتي فقيهٍ مفتي، وكان يأتي إلى الفقهاء، وهُم نيام، فيضع في أفواههم الدَّنانير، فيهبُّون، فيرونها في أفواهِهِم»[4].

□ «وكان القاضي أبو يوسف والده فقيرًا، فكان أبو حنيفة رضي الله عنه يتعاهد أبا يوسف بالمائة درهم بعد المائة، يُعينه على طلب العلم.

فرَوَى عليُّ بن حَرْمَلة، عن أبي يوسف قال: كنتُ أطلب الحديث والفقه وأنا مُقلٌّ. فجاء أبي يومًا وأنا عند أبي حنيفة، فقال: لا تُمدَّنَّ يا بُنيَّ رجلك

---

(١) السير (١٧/ ١٥٢).
(٢) السير (١٨/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).
(٣) السير (١٨/ ٥٢١).
(٤) السير (١٩/ ٤٩٢).

مع أبي حنيفة فأنت محتاج إلى المَعَاش. فآثرت طاعة أبي. فتفقدني أبو حنيفة، فجعلتُ أتعاهده، فدفعَ لي مائة درهم وقال لي: الزَمْ الحَلْقة، فإذا نفذت هذه فأَعْلمني. ثم أعطاني بعد أيام مائة أخرى، وكان يتعاهدني»(١).

▫ «قال الخطيب: وثنا الحسين بن شيطا: سمعت أبا إسحاق المُزكِّي يقول: أنفقت على الحديث بِدَرًا من الدنانير، وقدمت بغداد سنة ستّ عشرة ومعي بخمسين ألف درهم بضَاعة، ورجعت إلى نيسَابور ومعي أقلّ من ثلثها، أنفقت ما ذهب على أهل الحديث»(٢).

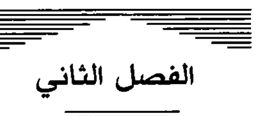
▫ «قال الحاكم: ورث أبو عمرو السَّلَمي من آبائه أموالًا كثيرة، فأنفق سائرها على الزُّهَّاد والعلماء»(٣).

▫ «قال أبو نعيم: كان أحمدُ بنُ مَهْديٍّ بن رُسْتُم الزَّاهدُ صاحبَ أمْوَالٍ، أنْفَقَ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ ثَلاثَ مِائَةَ أَلْفَ دِرْهمٍ»(٤).



---

(١) التاريخ (١٢/٤٩٨).
(٢) التاريخ (٢٦/ ٢٩٠).
(٣) التاريخ (٢٦/٣٣٦).
(٤) التذكرة (٢/٥٩٨).



الفصل الثاني

في الأسباب المعينة على طلب العلم

١ ـ التقوى:

▫ «عاصم الأحول عن بكر المُزني، قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: اتَّقُوها بالتقوى. فقيل له: صف لنا التقوى. فقال: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وتركُ معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله.

قلتُ: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع. ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليُمْدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»[1].

▫ «قال محمد بن بَركَة الحلبي: سمعتُ عُثمان بن خُرَّزاذ يقول: يحتاجُ صاحب الحديث إلى خمسٍ: فإن عَدِمَتْ واحدةٌ فهي نقصٌ، يحتاجُ إلى عقلٍ جيدٍ، ودِينٍ وضبطٍ وحذاقةٍ بالصِّناعة، مع أمانةٍ تُعرف منه.

قلتُ: الأمانةُ جُزء من الدِّين، والضبطُ داخلٌ في الحِذْق، فالذي يَحتاج إليه الحافظُ: أن يكون نقيًّا ذكيًّا، نَحْويًّا لُغويًّا، زكيًّا حييًّا، سَلَفيًّا، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مُجَلَّد، ويُحصِّل من الدَّواوين المعتبرة خمسَ مئة مجلد، وأن لا يفْتُرَ من طَلَب العِلم إلى الممات، بنيَّةٍ خالصةٍ وتواضُعٍ، وإلَّا فلا يَتَعَنَّ»[2].

▫ «وعن سفيان الثَّوري قال: وددت أن علمي نسخ من صدري، ألستُ أريد أن أُسأل غدًا عن كل حديث رويته: أَيْش أردتَ به؟.

---

(١) السير (٤/ ٦٠١).

(٢) السير (١٣/ ٣٨٠).

قال يحيى القَطّان: كان الثَّوري قد غلبتْ عليه شَهْوة الحديث، ما أخاف عليه إلا من حبه للحديث.

قلتُ: حُبُّ ذاتِ الحديث، والعمل به لله مطلوبٌ من زاد المعاد، وحُبُّ روايته وعواليه والتَّكثر بمعرفته وفهمه مذموم مَخُوف، فهو الذي خاف منه سُفيان، والقطَّان، وأهل المراقبة، فإنَّ كثيرًا من ذلك وبال على المحدِّث»[1].

▫ «محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا نعيم بن حماد، سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

قلتُ: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله»[2].

▫ «وقال الحافظُ أبو عليٍّ النَّيْسَابُوري: دخلتُ بغدادَ والفِريابيُّ حيٌّ، وقد أمسكَ عن التَّحديث، ودخلنا عليه غيرَ مرَّةٍ، ونكتبُ بينَ يديْه، كنَّا نراه حسرةً.

قلتُ: نِعْمَ ما صَنَعَ، فإنَّهُ أنِسَ من نفسِه تغيُّرًا، فتورَّع وتركَ الرَّواية»[3].

▫ «الأعمش: عن مسلم، عن مسروق، قال: كفى بالمرء عِلْمًا أن يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجب بعمله»[4].

▫ «أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحُلودي وغيره: أن عبد الله بن اللَّتِّي أخبرهم، قال: أنبأنا جعفر بن المتوكل، أنبأنا أبو الحسن بن العلَّاف، حدثنا الحَمَّامي، حدَّثنا جعفر الخُلْدي، حدثني إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشَّار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيُّ دينٍ لو كان له رجال! مَنْ طلب العلم لله، كان الخمولُ أحبَّ عليه من التَّطاول، والله ما الحياةُ بثقة، فيُرجى نومها، ولا المنية بعذر، فيؤمن عُذْرها، ففيم التَّفريطُ والتَّقصيرُ والاتكالُ والإبطاءُ؟ قد رضينا مِن أعمالنا بالمعاني، ومِنْ طلب التَّوبة بالتَّواني، ومِن

---

(1) السير (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(2) السير (٨/ ٩٧).
(3) السير (١٤/ ٩٩).
(4) السير (٤/ ٦٨).

العيش الباقي بالعيش الفاني»[1].

▫ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضل يقول: رَهْبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتُه في الدنيا على قَدر رغبته في الآخرة، مَنْ عمل بما علم استغنى عمَّا لا يعلم، ومَنْ عمل بما علم وفَّقه الله لما لا يعلم، ومَنْ ساء خلقه شان دينَه وحسبه ومروءتَه»[2].

▫ «وعن ابن عُيينة قال: الورعُ طلبُ العلم الذي به يُعرف الورعُ»[3].

▫ «قال سعيد بن الحدَّاد: سمعتُ سُحْنونَ يقولُ: كنتُ إذا سألتُ ابنَ القاسم عن المسائل، يقولُ لي: يا سُحْنُون، أنت فارغٌ، إنِّي لأُحِسُّ في رأسي دَويًّا كدويِّ الرَّحا ـ يعني: من قيام الليل ـ قال: وكان قلَّما يَعْرِضُ لنا إلَّا وهو يقولُ: اتَّقوا الله، فإنَّ قليلَ هذا الأمرِ مع تَقوى الله كثيرٌ وكثيره مع غيرِ تقوى الله قليلٌ»[4].

▫ «وقال يعقوبُ بن بختان: سمعتُ بشرَ بن الحارث يقولُ: لا أعلمُ أفضلَ من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحَسُنت نيَّتُه فيه، وأمَّا أنا، فأستغفرُ الله من طلبه، ومن كل خطوةٍ خطوتُ فيه»[5].

▫ «وعن بشر: ما اتقى الله مَنْ أحبَّ الشُّهرة»[6].

▫ «قال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعتُ أبا بكر محمد بنَ مهرويه، سمعتُ علي بن محمد بن الجنيد، سمعتُ يحيى بن معين، يقول: إنَّا لنطعُنُ على أقوامٍ لعلَّهم قد حَطُّوا رِحَالَهم في الجنَّة من أكثر من مئتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلتُ على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدَّثْتُه بهذه الحكاية، فبكى وارتعدتْ يداهُ حتى سقط الكتابُ من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال»[7].

---

(١) السير (٧/ ٣٩٤).
(٢) السير (٨/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧).
(٣) السير (٧/ ٤٦٥).
(٤) السير (٩/ ١٢٢).
(٥) السير (١٠/ ٤٧٢).
(٦) السير (١٠/ ٤٧٦).
(٧) السير (١١/ ٩٥).

□ «وقال ابن عَقِيل: عصمني اللهُ في شبابي بأنواعٍ من العِصمة، وقَصَرَ محبتي على العلم، وما خالطتُ لعّابًا قطُّ، ولا عاشرتُ إلّا أمثالي مِنْ طلبة العلم، وأنا في عمر الثمانين أَجِدُ من الحِرصِ على العلم أشدّ مما كنتُ أجده وأنا ابنُ عشرين، وبلغتُ لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليومَ لا أرى نقصًا في الخاطر والفِكر والحفظ، وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلّا أن القوَّة ضعيفة»[1].

□ «الوليد بنُ مُسْلم، عن الأَوْزَاعِي، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ قَالَ: العالمُ مَنْ يخْشَى اللهَ، العُلماءُ مِثْلَ الملحِ هُمْ صلاحُ كلِّ شَيءٍ، فإذَا فَسَد الملحُ لا يُصْلِحْهُ شَيءٌ»[2].

□ «وقال الأوزاعي: سمعتُ يحيى بن أبي كثير يقول: العالِمُ مَنْ خَشِي الله، وخشيةُ اللهِ الوَرع»[3].

□ «وقال ابن الجُوزي: كنتُ أقرأُ على أبي البركات الأَنْمَاطِيِّ وهو يبكي، فاستفدتُّ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السَّلَفِ، انتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره»[4].

٢ ـ العزيمة، والمثابرة، والاستمرار في طلب العلم:

□ «أخبرنا إسحاق الأسديِّ، أنبأنا ابنُ خليل، أنبأنا أبو المكارم، أنبأنا أبو عليٍّ، أنبأنا أبو نُعيم، حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدَّثنا عبد الله بن شِيرُويه، حدَّثنا ابن راهويه، حدَّثنا محمد بن سلمة، والمحاربي، قالا: حدَّثنا ابنُ إسحاق، عن أبانَ بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضْتُ القرآنَ على ابنِ عباس ثلاثَ عرْضات، أقِفُهُ عند كُلِّ آيةٍ أسأله: فيمَ نزلتْ؟ وكَيْفَ كَانَتْ؟»[5].

□ «معن: سمعتُ مالكًا يقول: قال ابنُ المسيِّب: إنْ كُنْتُ لأسيرُ الأيامُ

(١) السير (١٩/ ٤٤٦).
(٢) التاريخ (٨/ ٢٩٨).
(٣) التاريخ (٩/ ٤٩٢).
(٤) التذكرة (٤/ ١٢٨٣).
(٥) السير (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧)، القراء (١/ ٦٦)، التاريخ (٧/ ٢٣٦).

والليالي في طَلَبِ الحديث الواحد»[١].

□ «وكان عَمْرُو بنُ ميمُون الجزريُّ يقول: لو علمتُ أنَّه بقيَ عليَّ حرفٌ من السُّنةِ باليمن لأتيتُها.

قلتُ: هذه الدَّعْوَى تَدُلُ عَلَى سِعَةِ عِلْمِهِ»[٢].

□ «مبارك بن فضالة، عن هشام، عن أبيه، أنَّه كان يقول لنا ونحن شباب: ما لكم لا تعلَّمون، إنْ تكونوا صغارَ قومٍ يُوشِكُ أنْ تكونوا كبارَ قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخًا وهو جاهل. لقد رأيتُني قبل موت عائشة بأربع حِجَجٍ وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمتُ على حديثٍ عندها إلا وقد وعَيْتُه، ولقد كان يبلغني عن الصحابيِّ الحديثُ فآتيه، فأجده قد قال؛ فأجلس على بابه، ثم أسألُه عنه»[٣].

□ «وروى الزبير بن الخِرِّيت، عن عكرمة قال: كان ابنُ عباس يضع في رجلي الكَبْلَ على تعليمِ القُرآن والسُّنَن»[٤].

□ «مروان بن محمد، سمع الليث يقول: تذكَّر ابنُ شِهَاب ليلةً بعد العشاء حديثًا وهو جالس يتوضأ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح»[٥].

□ «روى ابنُ فُضَيل، عن أبيه، قال: كان ابن شُبرمة، ومغيرة، والحارث العُكْلي يَسْهَرُونَ في الفِقْهِ، فَرُبَمَا لَمْ يَقُومُوا إلى الفَجْرِ»[٦].

□ «روى الأوزاعي، عن الزهري، قال: إنَّما يُذهب العلمَ النسيانُ، وتركُ المذَاكَرَةِ»[٧].

□ «وقال أبو الأحوص: قال لنا أبو إسحاق السَّبيعي: يا معشر الشَّباب اغتَنِمُوا يعني: قوَّتَكُم وشَبَابَكُم، قلَّما مرَّت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألفَ آيةٍ، وإنِّي لأقرأ البقرةَ في ركعةٍ، وإنِّي لأصومَ الأشهرَ الحُرمَ، وثلاثةَ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ

---

(١) السير (٤/ ٢٢٢).
(٢) السير (٦/ ٣٤٦).
(٣) السير (٤/ ٤٢٤)، التاريخ (٦/ ٤٢٥).
(٤) السير (٥/ ١٤)، التذكرة (١/ ٩٦).
(٥) السير (٥/ ٣٣٣).
(٦) السير (٦/ ٣٤٩).
(٧) السير (٥/ ٣٣٧).

شهرٍ والاثنينَ والخميسَ»[1].

□ «حاتم بن الوليد الكَرْمانيُّ: سمعتُ يحيى بن أبي بُكَير يقول: قيل لسُفيانَ الثَّوريِّ: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: وأيُّ خيرٍ أنا فيه خيرٌ من الحديث، فأصير إليه؟ إنَّ الحديث خيرُ علوم الدُّنيا»[2].

□ «ابنُ مَهديٍّ: كنَّا مع الثَّوريِّ جلوسًا بمكةَ، فَوَثَبَ وقالَ: النَّهارُ يعملُ عملَه»[3].

□ «القعنبيُّ: سمعتُ مالكًا يقول: كان الرَّجلُ يختلف إلى الرجل ثلاثين عامًا يتعلمُ منه»[4].

□ «وروى غيرُ واحدٍ أنَّ ابنَ المُبَارك قِيلَ لَهُ: إلى مَتى تكتُبُ العلمَ؟ قال: لعلَّ الكلمةَ التِي أنتفعُ بها لم أكتُبْها بَعْدُ»[5].

قال يَعْقُوبُ بنُ شيْبَةَ: سمعتُ عليًا يقول: مِنَ المُحدِّثينَ قومٌ لم يزالوا في الحديث، لم يُشغلُوا عنه، نشؤُوا، فطلبوا، ثم صنَّفُوا، ثم حدَّثوا، منهم روْحُ بنُ عُبادة»[6].

□ «قال حَرْمَلةُ: قال الشافعيُّ: كنتُ أُقرِئُ النَّاسَ، وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وحفظتُ «الموطأ» قبل أن أحْتَلِمَ»[7].

□ «وقال ثعلبُ: قيل للأصمعيِّ: كيفَ حفظتَ ونَسُوا؟ قال: دَرَسْتُ وترَكُوا»[8].

□ «وعن الأصمعيِّ قال: نلتُ ما نِلتُ بالمُلَحِ.

قلتُ: كتبَ شيئًا لا يُحْصى عن العربِ، وكان ذَا حفظٍ وذَكَاءٍ ولُطْفِ عِبَارةٍ، فَسَادَ»[9].

---

(١) السير (٥/ ٣٩٧).
(٢) السير (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٣) السير (٧/ ٢٤٣).
(٤) السير (٨/ ١٠٨).
(٥) السير (٨/ ٤٠٧).
(٦) السير (٩/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).
(٧) السير (١٠/ ٥٤).
(٨) السير (١٠/ ١٧٧).
(٩) السير (١٠/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

◻ «قالَ أبُو بكرٍ الأَنْبَاريُّ: كانَ أبُو عُبيدٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقْسِمُ اللَّيلَ أثْلاثًا، فيُصَلِّي ثُلُثَه، وينامُ ثُلُثَه، ويُصَنِّفُ ثُلُثَه»[1].

◻ «قال عبَّاسُ الدُّوريُّ: سمعتُ يحيى يقولُ: لَو لمْ نَكتُبِ الحدِيثَ خَمْسِينَ مرةً، ما عَرَفْنَاهُ»[2].

◻ «قال الحاكمُ: سمعتُ أبا عليٍّ محمدٍ بن أحمدَ بن زيد المُعَدَّل يقول: سمعتُ يحيى بن الذهْلي يقول: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة، وهو في بيتِ كتبه، وبين يديه السِّراجُ، وهو يُصَنِّفُ، فقلتُ: يا أبةِ! هذا وقتُ الصَّلاةِ، ودُخانُ هذا السِّراجِ بالنَّهارِ، فلو نَفَّسْتَ عن نفسِكَ؟ قال: يا بُنَي! تقولُ لي هذا، وأنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِه، والتَّابِعينَ؟»[3].

◻ «أخبرنا أبو حفص بن القَوَّاس، أخبرنا أبو القاسم بنُ الحَرَسْتاني قراءةً عليه سنَة تسعٍ وست مئة وأنا حاضِر، أخبرنا أبو الحسن عليٌّ بن المُسَلَّم الفقيهُ، أخبرنا الحسينُ بن محمد الخطيب، أخبرنا الحسينُ بن محمدُ بنُ أحمد الغساني، حدثني أحمدُ بنُ محمد بن آدم، حدثنا محمدُ بن يوسف البخاريّ، قال: كنتُ مع محمدِ بن إسماعيل بمنزله ذات ليلةٍ، فأحصيتُ عليه أنّه قام وأسْرَجَ يستذكر أشياءَ يُعَلِّقها في ليلةٍ ثمان عشرة مرة.

وقال محمدُ بنُ أبي حاتمِ الورَّاقُ: كان أبو عبد الله، إذا كنتُ معه في سفرٍ، يجمعنا بيتٌ واحدٌ إلا في القيظِ أحيانًا، فكنتُ أراه يقوم في ليلةٍ واحدةً خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كلِّ ذلك يأخذ القداحة، فيُوري نارًا، ويُسْرِج، ثم يُخرج أحاديث، فيُعلِّم عليها»[4].

◻ «وقال محمدُ بنُ أبي حاتم: سمعتُ هانئ بن النضر يقول: كنَّا عند محمدِ بن يوسف ـ يعني: الفِريابيِّ ـ بالشام، وكنَّا نَتَنَزَّه فِعْلَ الشباب في أكلِ الفِرْصَادِ ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يُزاحمنا في شيءٍ

---

(١) السير (١٠/ ٤٩٧).

(٢) السير (١١/ ٨٤).

(٣) السير (١٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) السير (١٢/ ٤٠٤).

ممَّا نحنُ فيه، ويُكِبُّ على العلم»[١].

▫ «وقال محمَّدُ بنُ أبي حاتمِ الورَّاق: سمعتُ حاشِد بن إسْماعيل، وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاريُّ يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غُلامٌ، فلا يكتُب، حتى أَتَى على ذلك أيّامٌ، فكنَّا نقولُ له: إنَّك تختِلفُ معنا ولا تكتب، فما تصنَعُ؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنَّكما قد أكثرْتُما عليَّ وأَلْححتُما، فأعْرضا عليَّ ما كتبتُما. فأخرْجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألفِ حديث، فقرأها كُلَّها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه. ثمَّ قال: أترونْ أنِّي أختلِفُ هَدرًا، وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدمُه أحد»[٢].

▫ «وقال ابنُ عدي: حدثني محمدُ بنُ أحمد القُومسي، سمعتُ محمد بن خمرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقولُ: أحفظُ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»[٣].

▫ «وقال غُنْجار في تاريخه: حدثنا أبو عَمرو أحمدُ بنُ محمد المُقرئ، حدثنا أبو بكر محمدُ بنُ يعقوب بن يوسف البِيْكَنْدِي، سمعتُ عليَّ بن الحُسين بن عاصم البِيْكَنْدي يقول: قدِم علينا محمدُ بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده. فقال بعَضنا: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول كأنِّي أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمدُ بن إسماعيل: أَو تَعْجَبُ من هذا؟! لعلَّ في هذا الزمان من ينظُر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنَّما عَنى به نفسه»[٤].

▫ «قال أحمدُ بن محمد بن سلَيمان، سمعتُ أبا زرْعة يقول: إذا مَرِضتُ شهرًا أو شهرين، تبيَّن عَليَّ في حفِظ القرآن، وأما الحديثُ، فإذا تركت أيَّامًا تبيَّنَ عليَّ. ثُمَّ قال أبو زُرْعَةَ: نَرى قومًا من أصحَابنا، كَتَبوا الحديثَ، تَرَكُوا المجالسة مُنْذُ عشرين سنةً، أو أقلَّ، إذا جَلَسوا اليومَ مع الأحْداثِ، كأنهم لا

---

(١) السير (١٢/٤٠٥).
(٢) السير (١٢/٤٠٨).
(٣) السير (١٢/٤١٥).
(٤) السير (١٢/٤١٦).

يعرفونَ، أو لا يُحْسنُونَ الحديث. ثُمّ قال: الحديثُ مثلُ الشَّمْسِ، إذا حُبِس عن الشَّرق خَمْسَةَ أيَّامٍ، لا يعرف السَّفر، فهذا الشَّأنُ يحتاجُ أن تتعاهدَه أبَدًا»[1].

□ «قال ابنُ أبي حاتم الرازي: سمعتُ أبي يقولُ: أول سنةٍ خرجْتُ في طَلَبِ الحديث، أقمتُ سَبْعَ سِنينَ، أحصيتُ ما مشيتُ على قَدَمَيَّ زِيادةً على ألفِ فَرْسَخٍ.

قلتُ: مسافة ذلك نَحْوُ أربعة أشهُرٍ، سيرَ الجَادَّة.

قال: ثم تركتُ العدد بعد ذلك، وخرجْتُ من البَحْرَين إلى مِصر ماشيًا، ثم إلى الرّمْلَة ماشيًا، ثم إلى دمشق، ثم أَنْطاكية وطرسُوس، ثم رَجَعْتُ إلى حِمْصَ، ثم على الرَّقَّة، ثم ركبتُ على العِراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنةً. خرجت من الرَّي، فدخلتُ الكوفَةَ في رمضان سنةَ ثلاثَ عشرةَ، وجاءنا نَعيُّ المقرئ وأنا بالكوفة، ثم رحلْتُ ثانيًا سنة اثنتين وأربعين، ثم رجعت إلى الرَّي سنة خمسٍ وأربعين، وحججتُ رابعَ حجةٍ في سَنة خمسٍ وخمسين. وحَجَّ فيها عبدُ الرحمٰن ابنه»[2].

□ «قال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقولُ: بقيتُ سنة أربع عشرة ثمانيةَ أشْهر بالبصرة، وكان في نفْسِي أن أُقيم سَنَةً، فانْقطَعَتْ نفقتِي، فجعلتُ أبيعَ ثِيابي حتى نَفِدتْ وبقيتُ بلا نفقةٍ، ومضيتُ أطوفُ مع صديقٍ لي إلى المَشْيخَةِ، وأسْمَعُ إلى المسَاء، فانصرفَ رفِيقِي، ورجعتُ إلى بَيتي، فجعلتُ أشربُ الماءَ مِنَ الجُوعِ، ثم أصبحتُ، فَغَدَا عليَّ رَفِيقِي، فجعلتُ أطوفُ معه [في سماع الحديث] على جُوع شَديدٍ، وانصرفْتُ جائعًا، فلمَّا كان من الغدِ غَدَا عليَّ فقالَ: مُرَّ بِنا إلى المشايخ. قلتُ: أنا ضعيفٌ لا يمكنُني. قالَ: ما ضعفُك؟ قلتُ: لا أكتمُك [أمري، قد] مَضَى يوْمَان ما طَعمتُ فيهما شيئًا، فقالَ: قدْ بَقِيَ معي دينارُ، فنصفُه لك ونجعلُ النِّصفَ الآخرَ في الكِرَاء، فخرجْنَا من البصْرةِ، وأخذتُ منه النِّصف دينار.

---

(١) السير (١٣/ ٧٩).

(٢) السير (١٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

وسمعتُ أبي يقولُ: خرجْنا من المدينةِ مِنْ عند داود الجَعْفَريِّ وصرْنَا إلى الجَار، وركبْنا البحرَ، فكانت الريحُ في وجُوهِنا، فبقينا في البحر ثلاثةَ أشهر، وضاقتْ صُدُورُنَا، وفني ما كانَ معنَا، وخرجنْا إلى البرِّ نمْشِي أيامًا، حتى فني ما تبقى معنا من الزَّاد والماء، فمشينَا يومًا لمْ نأكلْ ولم نشربْ، ويوم الثَّاني كمثل، ويوم الثَّالث، فلمَّا كان يكونُ المسَاء صَلَّيْنَا، وكنَّا نُلقي بأنفسنا [حيثُ كنَّا]، فلمَّا أصبْحنَا في اليومِ الثَّالث جعلنا نَمشي على قدْر طاقَتِنَا، وكُنَّا ثلاثةَ أنْفُسٍ: شيخٌ نيْسَابُوريٌّ، وأبو زُهير المرْوَرَّوْذِي، فسقطَ الشيخُ مغْشيًا عليه، فجئْنَا نُحَرِّكَهُ وهُو لا يعْقِل، فتركْنَاه ومشينا قدر فَرْسَخٍ، فضَعُفْتُ وسقطتُ مَغْشيًا عليَّ، ومَضَى صاحِبِي يمشِي فَبَصُرَ مِنْ بُعْدٍ قومًا قَرَّبُوا سَفِينتَهُم مِنَ البرِّ، وَنَزَلُوا على بئْر مُوسَى، فلمَّا عاينَهُم لوَّحَ بثوبِهِ إليهِم، فجاؤُوه معهُم ماء في إدَاوَةٍ فسقَوه وأخذُوا بيدِهِ، فقَالَ لهُم: الْحَقُوا رَفِيقيْن لِي، فَمَا شعرتُ إلَّا برجُلٍ يصبُّ الماءَ عَلَى وجْهِي، فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فقلتُ: اسْقِني، فصبَّ من الماءِ في مَشْربةٍ قليلًا، فشربت، ورجعتْ إليَّ نفْسِي، ثمَّ سَقَاني قليلًا، وأَخَذَ بيديَّ، فقلتُ، ورَائِي شيخٌ مُلْقَى، فذهبَ جماعةٌ إليْهِ، وأَخَذَ بيديَّ وأنَا أمْشِي وأجرُّ رجليَّ، حتَّى إذا بلغْتُ إلى عنْد سَفينتهم، وأَتَوا بالشيخِ، وأحْسَنُوا إليْنَا، فبَقِينَا أيَّامًا، حتَّى رجعتْ إلينَا أنفُسُنَا، ثمَّ كَتبُوا لنَا كتابًا إلى مدينةٍ يُقَال لها رَاية، إلى والِيهِم، وزوَّدُونَا مِنَ الكعْك والسَويقِ والماءِ. فلمْ نزلْ نمشِي حتَّى نَفَدَ ما كَانَ معنَا مِنَ الماءِ والقُوتِ، فجعلْنَا نمشِي جِياعًا على شطِّ البحْرِ، حتَّى دفعنا إلى سُلْحفَاةٍ مثلَ التُّرْس، فَعَمَدْنَا إلى حجَرٍ كبيرٍ، فضربنَا على ظهْرِهَا، فانْفَلَقَ، فإذَا فيهَا مثْلُ صُفْرَةِ البيْضِ، فتحسَّيْنَاه حتَّى سَكَنَ عنَّا الجوعُ، ثمَّ وصلْنَا إلى مدينةِ الرَّاية، وأوصلْنَا الكتابَ إلى عامِلِهَا، فأنزلْنَا في دارِه، فَكَانَ يُقَدِّمُ لنا كلَّ يومِ القرْعَ، ويقُولُ لخادِمِهِ: هاتِي لهُم اليَقْطِينَ المُبَارك، فيقدِّمه مَعَ الخُبْزِ أيَّامًا، فَقَالَ واحدٌ منَّا: ألا تَدْعُو باللَّحْمِ المشْؤوم! فَسمِعَ صاحبُ الدَّارِ، فقالَ: أنَا أُحْسِنُ بالفَارِسِيَّة، فإنَّ جَدَّتي كانتْ

هَرَوِيَّة، وأَتَانَا بعْدَ ذلكَ باللَّحم، ثمَّ زوَّدنَا إلى مِصْرَ»[1].

▫ «وقال الرَّازي: وسمعتُ علي بن أحمد الخُوَارزْمي يقول: سمعتُ عبد الرحمٰن بن أبي حَاتم يقولُ: كنَّا بمصرَ سَبْعَةَ أشهر، لم نأْكُل فيها مَرَقَةً، كلُّ نَهَارِنَا مُقَسَّمٌ لمجالسَ الشُّيُوخِ، وباللَّيلِ: النَّسخُ والمُقَابَلَةُ. قَالَ: فأتيْنَا يومًا أنَا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالُوا: هُوَ عَليْلٌ، فرأيْنَا في طريقِنَا سمكةً أعْجبتنا، فاشتريْنَاه، فلمَّا صِرنا إلى البيْتِ، حَضَرَ وقتُ مجلسٍ، فلمْ يُمْكِنَّا إصلاحَه، ومضيْنَا إلى المجلسِ، فلمْ نزلْ حتَّى أتى عليْه ثلاثةُ أيَّامٍ، وكَادَ أن يتغيْرَ، فأكلْنَاه نيئًا، لْم يَكُنْ لنَا فَراغٌ أن نُعْطِيَه مَنْ يَشْويه. ثمَّ قَالَ: لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ»[2].

▫ «وقال أبُو عبدِ المَلِكِ أحمدُ بنُ محمَّد بن عبد البَّر القُرْطبيّ: وكَانَ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ يقُولُ: إنِّي لأعْرفُ رجلًا، كَانَ تمضِي عليْه الأيَّامُ في وقتِ طلبِ العلْمِ، ليسَ لَهُ عيشٌ إلَّا ورقُ الكُرُنْبِ الذي يُرْمَى، وسمعتُ مِنْ كُلِّ مَنْ سمعتُ مِنْهُ في البُلْدَان ماشيًا إليهِم عَلَى قَدَمِي»[3].

▫ «قال أبو مسعود عبدُ الرحيم الحاجي: سمعتُ ابنَ طاهر يقول: بُلْتُ الدَّمَ في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأُخرى بمكة، كنتُ أمشي حافيًا في الحرِّ، فلحقني ذلك، وما ركبتُ دابَّةً قطُّ في طلب الحديث، وكنتُ أَحْمِلُ كتبي على ظهري، وما سألتُ في حال الطلب أحدًا، كنتُ أعيش على ما يأتي.

وقيل: كان يمشي دائمًا في اليوم والليلة عشرين فرسخًا، وكان قادرًا على ذلك»[4].

---

(١) السير (١٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨).

(٢) السير (١٣/ ٢٦٦)، التاريخ (٢٤/ ٢٠٨)، التذكرة (٣/ ٨٣٠).

(٣) السير (١٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، التذكرة (٢/ ٦٣٠).

(٤) السير (٣٦٣ ـ ٣٦٤)، التذكرة (٤/ ١٢٤٣).

حدثنا التاجُ محمدُ بنُ عبد الرحمٰن المسعوديُّ، سمعتُ الحافظَ أبا العلاء الهَمَذانيَّ يقول، وقال لي يومًا: أَيُّ شيءٍ فُتِحَ لابن عساكر، وكيف تَرى النَّاس له؟ قلتُ: هو بعيدٌ من هذا كلِّه، لم يشتغل مُنذُ أربعينَ سنةً إلا بالجمع والتصنيفِ والتَّسْميع حتى في نُزَهِهِ وخَلَواتِه، فقال: الحمد لله، هذا ثمرةُ العلم»[1].

◻ «جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هلمَّ نسألْ أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثيرٌ؛ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ مَنْ تَرى؟ فترك ذلك. وأقبلتُ على المسألة، فإن كان ليبلُغني الحديثُ عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد على بابه، فتَسفي الريحُ عليَّ الترابَ، فيخرجُ فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ! ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك، فأسألك. قال: فبقيَ الرجلُ حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقلُ مني»[2].

◻ «عبد الله بن العلاء بن زَبْر قال: سمعتُ مكحولًا يقول: كنتُ عبدًا لسعيد بن العاص فوهبني لامرأة من هذيل فأنعم الله عليَّ - يعني: بمصر - فما خرجت منها حتى ظننت أنَّه ليس بها علم إلا وقد سمعته، ثم قدمت المدينة فما خرجت منها حتى ظننتُ أنَّه ليس بها علم إلا وقد سمعتُه، ثمَّ لقيت الشعبي فلم أر مثله.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: سمعتُ مكحولًا يقولُ: طفتُ الأرض كلَّها في طلب العلم»[3].

◻ «وروى عبد الله بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه أنَّه قال: لا يستطاع

(١) السير (٢٠/ ٥٦٤)، التذكرة (٤/ ١٣٣١).
(٢) السير (٣/ ٣٤٢ - ٣٤٣)، التاريخ (٥/ ١٥٣ - ١٥٤).
(٣) التاريخ (٧/ ٤٧٩).

العلم براحة الجسد»[1].

□ «وقال محمد بن بِشْر العَكَريُّ، وغيره: ثنا الربيع قال: كان الشافعيُّ قد جزَّء الليل ثلاثة أجزاء: ثُلثه الأوّل يكتب، والثاني يُصلي، والثالث ينام.

قلت: هذه حكاية صحيحة، تدلُّ على أنَّ ليلةَ كلَّه كان عِبادة. فإنَّ كتابة العلم عبادة، والنَّوم لحقِّ الجسد عبادة، قال ﷺ: **«إنَّ لجَسَدِك عليك حقًّا»**[2].

□ «قال بكر بن محمد: سمعتُ عبد الرَّحمٰن بن يوسفُ بن خِراش يقولُ: شربتُ بَوْلي في هذا الشأن ـ يعني: الحديث ـ خمس مرَّات»[3].

□ «وقال الخطيبُ: سمعتُ عليَّ بن عُبَيْد الله اللُّغويُّ يقول: مَكَثَ ابن جرير أربعين سنة يكتب كلّ يومٍ أربعين ورقة»[4].

□ «قال الحاكم: رحلتُ إلى محمد بن محمد أبي النضر الطوسي مرَّتين، وسمعتُ كتابه المخرَّج على مسلم، وسألتُ: متى تتفرَّغ للتّصنيف مع هذه الفتاوى؟

فقال: قد جزَّأتُ اللَّيل ثلاثة أجزاء، جزءٌ للتصنيف، وجزءٌ لقراءة القرآن، وجزءٌ للنَّوم»[5].

□ «قال أبو بكر بن أبي علي: سأل والدي أبا القاسم الطبراني عن كثرة حديثه؟ فقال كنتُ أنامُ على البَواري ثَلاثينَ سنة»[6].

□ «قال أبو زكريا بن منده: كنتُ مع عمِّي عبيد الله في طريق نيسابور فلمَّا بلغنا بئر مجنة حكى لي عمِّي قال: كنتُ أسير يومًا فعرض لي شيخ جمَّال فقال: كنت قافلًا عن خراسان مع أبي فلمَّا وصلنا إلى هنا إذ نحن بأربعين وقرًا من الأحمال، فظننا أن ذلك ثياب، فإذا خيمة صغيرة فيها شيخ، وإذا هو

(١) التاريخ (٨/ ٢٩٨).
(٢) التاريخ (١٤/ ٣٢٢).
(٣) التاريخ (٢١/ ٢١٤).
(٤) التاريخ (٢٣/ ٢٨١).
(٥) التاريخ (٢٥/ ٣١١ ـ ٣١٢).
(٦) التاريخ (٢٦/ ٢٠٤)، التذكرة (٣/ ٩١٥).

والدك، فسأله بعضنا ما هذه الأحمال؟ فقال: هذا متاعٌ قلَّ من يرغب فيه في هذا الزَّمانِ، هذا حديثُ رسول الله ﷺ.

▫ «ثم ذكر لي عمِّي بعد ذلك فقال: كنتُ قافلًا عن خراسان، ومعي عشرون وقرًا من الكتب، فنزلت فيها عند البئر اقتداءً بالوالد»[1].

▫ «وقال محمد بن إبراهيم بن أبي العنبس: أخبرني يحيى بن سلمة، قال: كان سفيان الثوري يجيء إلى أبي وهو غلام عليه أقبية يسمع منه، فكان أبي يعيرني به ويقول: انظر إلى هذا الغلام يجيء من بني ثَوْر رغبةً في الحديث، وأنت ها هنا لا ترغب فيه»[2].

▫ «قال عبد القادر الرُّهاوي: وكان أبو العلاء الهمداني من أبناء التجار، فأنفق جميع ما ورثه في طلب العلم، حتى سافر إلى بغداد وأصبَهان مرَّات ماشيًا. وكان يحمل كتبه على ظهره. قال: كنت أبيت ببغداد في المساجد، وآكل خُبز الدَّخل، إلى أن قال عبد القادر: ثم عظم شأنه، حتى كان يمر بالبلد، فلا يبقى أحد رآه إلا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود... وكان يُقرئ نصف نهاره القرآن والعلم، ونصفه الآخر الحديث، وكان لا يغشى السلاطين، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت السُّنَّةُ شعاره، ودثارهُ اعتقادًا وفِعلًا، ولا يمس الجزء الحديثي إلا على وضوءٍ»[3].

٣ ـ الحفظ وأسبابه:

▫ «حمَّاد بن زيد: حدثني عمَرو بن عبيد الأنصاري: حدثني أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان ـ: أنَّ مروانَ أرسلَ إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتبُ، حتى إذا كان رأسُ الحوَل، دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسألُه عن ذلك الكتاب، فما زادَ ولا نَقَص، ولا قدّمَ ولا أخَّر.

---

(١) التذكرة (٣/ ١٠٣٥).
(٢) الميزان (٤/ ٣٨١).
(٣) القراء (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤).

قلتُ: هكذا فليكن الحفظ»[1].

▫ «قال ابنُ عبد البَرِّ في ترجمة ابن عباس: هو القائل ما رُوي عنه من وجوهٍ:

إنْ يأْخُذِ اللهُ مِنْ عَينيَّ نُورَهما ... ففي لساني وقَلبي مِنْهُما نُورُ
قَلبي ذكيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسَّيفِ مَأْثورُ»[2]

▫ «وقال أبو عبد الله البخاري: لا أعلمُ شيئًا أنْفَعَ للحفظِ من نَهْمَةِ الرجلِ، ومُداومة النظر»[3].

▫ «وقال محمَّدُ بنُ أبي حاتمِ الورَّاق: سمعتُ حاشِد بن إسْماعيل، وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاريُّ يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غُلامٌ، فلا يكتُب، حتى أَتَى على ذلك أيَّامٌ، فكنَّا نقولُ له: إنَّك تختلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنَعُ؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنَّكما قد أكثَرْتُما عليَّ وأَلْححتُما، فأعْرضا عليَّ ما كتبتُما. فأخرَجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألفِ حديث، فقرأها كُلَّها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه. ثمَّ قال: أترَوْن أنِّي أختلِفُ هَدرًا، وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدمُه أحد»[4].

▫ «وقال غُنْجار في تاريخه: حدثنا أبو عَمرو أحمدُ بنُ محمد المُقرئ، حدثنا أبو بكر محمدُ بنُ يعقوب بن يوسف البِيْكَنْدِي، سمعتُ عليَّ بن الحُسين بن عاصم البِيْكَنْدي يقول: قدِم علينا محمدُ بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده. فقال بعضنا: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول لك كأنِّي أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمدُ بن إسماعيل: أَو تَعْجَبُ من هذا؟! لعلَّ في هذا الزمان من ينظُر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنَّما عَنى به نفسه»[5].

---

(١) السير (٢/٥٩٨).
(٢) السير (٣/٣٥٧).
(٣) السير (١٢/٤٠٦).
(٤) السير (١٢/٤٠٨).
(٥) السير (١٢/٤١٦).

□ «وقال ابنُ عدي: حدثني محمدُ بنُ أحمد القُومسي، سمعتُ محمد بن خميرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقولُ: أحفظ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»[١].

□ «وقال علقمة: ما حفظتُ وأنا شابٌّ، فكأني أنظر إليه في قِرطاسٍ»[٢].

□ «قال أبو هلال: وسمعتُ قتادةَ يقولُ: الحفظُ في الصغرِ كالنقْشِ في الحَجَرِ»[٣].

□ «معمر، عن الزهري: ما قلتُ لأحدٍ قطُّ: أعِدْ عليَّ.

ابنُ وهبٍ، عن اللِّيث، كان ابنُ شهابٍ، يقول: ما استودعتُ قلبي شيئًا قطُّ فنسيتُه»[٤].

□ «وعن إسماعيل المكيِّ: سمعتُ الزهريَّ يقول: مَن سرَّه أن يحفظ الحديث فليأكلِ الزبيبَ. قال الحاكمُ: لأنَّ زبيبَ الحجاز حارٌّ حلو رقيق فيه يُبس مقطع للبلغم»[٥].

□ «قال يحيى بن المغيرة: عن جرير بن عبد الحميد، قال: قال مغيرةُ ما وقع في مسامعي شيءٌ فنسيته.

قلتُ: هذا والله الحفظُ، لا حفظُ مَنْ درسَ كتابًا مراتٍ عِدَّةٍ، حتى عرضه، ثمَّ تخبط عليه، ثمّ درسه وحفظه، ثم نسيَه أو أكثَرَهُ»[٦].

□ «قال عبد الرحمٰن بن خِراش: بلغني أن مالكًا نَقم على هشام بن عروة حديثَه لأهل العراق، وكان لا يرضاه، ثمَّ قال: قدم الكوفة ثلاث مرات، قَدْمَةً كان يقُولُ فيها: حدثني أبي قال: سمعتُ عائشة. والثانية، فكان يقول أخبرني أبي عن عائشة. وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة، يعني: يُرسل عن أبيه.

---

(١) السير (١٢/٤١٥).
(٢) السير (٤/٥٨).
(٣) السير (٥/٢٧٥).
(٤) السير (٥/٣٣٢).
(٥) السير (٥/٣٤٦ ـ ٣٤٧).
(٦) السير (٦/١١).

قلتُ: الرجل حجة مطلقًا، ولا عِبرة بما قاله الحافظ أبو الحسن بن القطان من أنه هو وسُهيل بن أبي صالح اختلطا وتغيرا، فإنَّ الحافظ قد يتغير حفظه إذا كبِر، وتنقص حِدَّةُ ذِهنه، فليس هو في شيخوخته، كهو في شبيبته. وما ثَمَّ أحدٌ بمعصوم من السهو والنسيان، وما هذا التغيُّر بضار أصلًا، وإنما الذي يضر الاختلاطُ، وهشام فلم يختلط قطُّ، هذا أمرٌ مقطوعٌ به، وحديثُه محتج به في «الموطأ» والصحاح، والسنن، فَقَوْلُ ابنِ القطان: «إنَّه اختلط» قولٌ مردود، مرذول. فأرني إمامًا من الكبار سَلِمَ من الخطأ والوهم.

فهذا شعبة، وهو في الذروة، له أوهام، وكذلك مَعْمر، والأوزاعي، ومالك رحمة الله عليهم»[(١)].

▫ «وقال أبو طالب أحمدُ بنُ محمد بن إسحاق بن البُهْلول: تذاكرتُ أنا وابنُ صاعد ما حدَّث به جَدِّي ببغداد، فقلتُ له: قال لي أُنيس المستملي: إنَّه حدَّث مِنْ حفظه بأربعين ألف حديث. فقال ابنُ صاعد: لا يدري أنيس ما قال. حدَّث إسحاقُ بن البهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث.

قلتُ: كذا فليكنِ الحفظُ وإلا فلا، قَنِعنا اليومَ بالاسم بلا جسم، فلو رأى الناسُ في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظًا لانْبَهَروا له»[(٢)].

▫ «وروى عبدُ القدوس بنُ بَكر، عن محمد بنِ النَّضر قال: أوَّلُ العِلْمِ الاستماع، والإنصات، ثم حِفْظُه، ثم العملُ به، ثم بثُّه»[(٣)].

▫ «وعن سُحنون قال: إنِّي حفظتُ هذه الكتب، حتى صارت في صدري كأُمِّ القرآن»[(٤)].

▫ «أبو موسى: حدثنا الحُسينُ بنُ عبد الملك، عن سعدِ بن علي الزَّنجاني، سمع أبا نصرِ الوائليَّ يقولُ: لمَّا ورد أبو الفضل الهمداني نيسابور،

---

(١) السير (٦/ ٣٥ ـ ٣٦).
(٢) السير (١٢/ ٤٩٠).
(٣) السير (٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، التاريخ (١١/ ٣٥٤).
(٤) السير (١٢/ ٦٩).

تعصَّبُوا له، ولقَّبوه: بديعَ الزمان، فأُعجب بنفسه إذ كان يحفظُ المئة بيتٍ إذا أُنشدتْ مرةً، ويُنْشِدُها من آخرها إلى أولها مقلوبةً، فأنكر على النَّاس قولهم: فلانٌ الحافظُ في الحديث، ثم قال: وحِفْظُ الحديثِ مما يُذكر؟! فسمع به الحاكمُ ابنُ البَيِّع، فوجَّه إليه بجزء، وأجَّل له جُمعةً في حفظه، فردَّ إليه الجُزء بعد الجمعة، وقال: مَن يحفظُ هذا؟ محمدُ بن فلان، وجعفر بن فلان، عن فُلان؟ أسامي مُختلفة، وألفاظ مُتباينة؟ فقال له الحاكم: فاعرفْ نفسَك، واعلمْ أنَّ هذا الحفظَ أصعبُ مما أنتَ فيه»[1].

▫ «كتب إلينا المعَمَّر العالم أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن هاروة من مدينة تُونس عام سبعِ مئة، عن أبي القاسم أحمدَ بنِ يزيد القاضي، عن شُريح بن محمد الرُّعِيني، أن ابن حزم قال فيما أَحرق له المُعتضِدُ بن عَبّاد من الكُتُب يقولُ:

فإن تَحْرِقُوا القِرْطاسَ لا تَحْرِقُوا الَّذي ... تَضَمَّنه القِرْطَاسُ بَلْ هُو في صدْري
يَسيرُ مَعي حيْثُ استَقَلَّتْ رَكَائِبي ... ويَنْزِلُ إن أَنْزِلْ وَيُدْفَنُ في قَبْري
دَعُونِيَ مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغَدٍ ... وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدري
وإلا فعُودُوا في المَكَاتِبِ بَدْأَةً ... فَكَمْ دُونَ ما تَبغُونَ لله من سِتْر
كَذَاكَ النَّصارَى يَحْرِقُونَ إذا عَلَتْ ... أكفُّهم القُرآنَ في مُدُنِ الثَّغْرِ»[2]

▫ «قال أبو علي الحافظ النَّيْسابوري: ما رأيتُ في المشايخ أحفظ من عَبْدان، ولا رأيت في أصحابنا أحفظ من أبي بكر الجِعابي، وذاك أني حَسِبْتُه من البغداديين الذين يحفظون شيخًا واحدًا، أو ترجمة واحدةً، أو بابًا واحدًا، فقال لي أبو إسحاق بن حمزة يومًا: يا أبا علي لا تغلط في ابن الجِعابي فإنَّه يحفظُ حديثًا كثيرًا. قال: فخرجنا يومًا من عند ابن صاعد فقلت له: يا أبا بكر أيش أسند الثوري عن منصور؟ فمرَّ في الترجمة، فقلتُ؛ أيش عند أيوب، عن الحسن؟ فمرَّ في الترجمة، فما زلتُ أجرُّه من حديث مِصر إلى حديث الشام إلى العراق إلى أفراد الخُراسانيِّين وهو يُجيب، فقلت: أيش روى الأعمش،

(١) السير (١٧/ ١٧٣).
(٢) السير (١٨/ ٢٠٥).

عن أبي صالح، عن أبي سعيد، وأبي هُريرة بالشركة؟ فذكر بضعة عشر حديثًا، فحيَّرني حِفْظُه. رواه الحاكمُ عن أبي علي»[1].

▫ «عمْرُو بنُ سوَّاد، قال لي ابن وهب: سمعتُ من ثلاثمائة وسبعين شيخًا، فما رأيتُ أحفظَ من عمرو بن الحارث، وذلك أنَّه كَاَن جعَلَ عَلى نفْسِه أن يحْفظَ في كُلِّ يومٍ ثلاثةَ أحَاديث»[2].

▫ «قال ابن الأكفاني: وكان حيدر بن علي أبو المنجا المُعَبِّر يذكر أنَّه يحفظ في علم تعبير الرُّؤيا عشرة الآف ورقة. وثلاثمائة ونيفًا وسبعين. كان يقول: زدتُ على أستاذي عبد العزيز بن عليّ الشَّهْرُزُوريِّ المالكيِّ بحفظ ثلاثمائة وسبعين ورقة.

قلتُ: هكذا كانت أيُّها اللَّعابُ هِمَمُ العلماء وأذهانهم، وأين هذا من محفوظات علمائنا اليوم؟»[3].

٤ ـ ملازمة العلماء والأخذ عنهم:

▫ «رُويَ عن أبي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: لَوْلا ثلاثٌ مَا أحْببتُ البَقَاءَ: ساعةُ ظمأ الهوَاجِرِ، والسجودُ في اللَّيلِ، ومجالسةُ أقْوامٍ يَنْتَقُونَ جَيِّدَ الكَلامِ كَمَا يُنْتَقَى أطايبُ الثَمَرِ»[4].

▫ «وعن الخَلِيلِ بنِ أحمدَ الفَرَاهِيدِيِّ قَالَ: لا يَعْرِفُ الرَّجْلُ خطأَ مُعَلِّمِهِ، حَتَّى يُجَالِسَ غَيْرَهُ»[5].

▫ «قَالَ أبُو الزِّنَادِ: كُنَّا نَطُوفُ مَعَ الزُّهْريِّ عَلَى العُلَمَاءِ وَمَعَهُ الألْواحَ والصَّحفَ، يَكْتُبُ كُلَّمَا سَمِعَ»[6].

▫ «الدَّارِمِيُّ: أخبَرنَا مَرْوانُ بنُ محمَّدٍ، حدثْنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ،

---

(١) التاريخ (٢٦/ ١٢٧).
(٢) الميزان (٢/ ٥٢٢).
(٣) التاريخ (٣١/ ٢٨٨).
(٤) السير (٢/ ٣٤٩).
(٥) السير (٧/ ٤٣١).
(٦) السير (٥/ ٣٢٩).

قَالَ: لا يُؤخَذُ العِلمُ مِنْ صَحَفِيٍ»[١].

▫ «قال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ: ثنا عبدُ القُدُوسِ بنُ بَكْرٍ، عن محمَّد بنِ النضْرِ قَالَ: أوْلُ العلّمِ الإنْصَاتُ، ثمَّ الاسْتِمَاعُ لَهُ، ثَّم حِفْظُهُ، ثمَّ العَمَلُ بهِ، ثمَّ بثُّهُ»[٢].

▫ «عن الحَسَنِ قَالَ: إنَّ أزْهَدَ النَّاسِ في العَالِمِ جِيرانُه، وشَرَّ النَّاسِ لميِّتٍ أهلُه، يبْكُونَ عليْهِ ولا يَقْضُون دَيْنَهُ»[٣].

▫ «وقَالَ رُسْتَه: سمعتُ عبدَ الرَّحمٰن بنَ مهديَّ يقُولُ: إذَا لَقِيَ الرَّجلُ الرَّجلَ فَوْقَهُ في العِلْمِ، فَهُو يوْمُ غَنِيمَتِهِ، وإذَا لقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلَهُ، دَارَسَهُ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ، وإذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ، تَوَاضَعَ لَهُ، وعلَّمَهُ، ولا يكونُ إمامًا مَنْ حَدَّثَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، ولا مَنْ يُحدثُ بالشَّاذِ»[٤].

▫ «أنبأنا المؤَمَّلُ بنُ محمَّد وجماعةٌ قالوا: أخبرنا أبو اليُمن الكِندي، أخبرنا أبو منصُور القَزَّاز، أخبرنا أبُو بكرٍ الخطيبُ، أخبرنا أبو الحُسين بنُ بِشران، أخبرنا عُثْمَانُ بنُ محمَّد، حدثنا إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ بن أبي حسَّان الأنمَاطيّ، حدثنا أحمدُ بنُ إبراهيم ورَّاقُ خَلَفِ بنِ هِشَام أنَّه سِمعَ خلفًا يقولُ: قدمتُ الكوفةَ فصرْتُ إلى سُليم بنِ عيسَى، فقَالَ لي: مَا أقْدمَكَ؟ قلتُ: أقرأُ عَلَى أبي بكْرٍ بنِ عياشٍ. فَقَالَ: لا تُريده. قلتُ: بَلَى. فدعا ابنَه وكتبَ معَه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزِلَ أبي بكرٍ. قال ابنُ أبي حسَّان: وكان لخلفٍ تسعَ عشرة سنَة، فلمَّا قَرأَ الورقةَ قالَ: أدخلِ الرَّجلَ. فدخلتُ وسلمتُ، فَصَعَّدَ فيَّ النَظَرَ، ثم قالَ: أنتَ خلف؟ قلتُ: نعم. قالَ: أنتَ لمْ تُخْلِفَ ببغداد أحدًا أقرأُ منْكَ؟! فَسَكَتُّ. فَقَالَ لي: اقعد هات اقرأ. قلتُ: أعليك؟ قَالَ: نعم، قلتُ: لا والله لا أقرأ على رجلٍ يستصغرُ رجلًا مِنْ حملةِ

---

(١) السير (٨/ ٣٤).

(٢) التاريخ (١١/ ٣٥٤)، السير (٨/ ١٧٥).

(٣) السير (٨/ ٥١٦).

(٤) السير (٩/ ٢٠٣).

القرآنِ. ثمَّ خرجتُ، فوجَّه إلى سُليم يسأله أن يردَّني، فأبيتُ، ثمَّ إنِّي ندمتُ واحتجتُ، فكتبت، قراءةَ عاصمٍ، عن يحيى بنِ آدم، عن أبي بكر»[1].

□ «قال عمْرُو بن عليٍّ الفَلاس: مررتُ بمنى على قُتيبةَ، وعباسُ العنبريُّ يكْتبُ عنهُ، فجزْتُ ولم أحمِلْ عنهُ، فندمتُ»[2].

علي بن إبراهيم الرَّازي: حدثنا أحمد بن علي الرَّقَّام قال: سألتُ عبدَ الرَّحمٰن بن أبي حاتم عن اتفاق كثْرة السَّماع له، وسُؤالاته لأبيه؟ فقالَ: رُبَّما كان يأكل وأَقْرَأُ عليه، ويَمشي وأَقْرَأُ عليه، ويَدْخُلُ الخَلاَ وأَقْرَأُ عليه، ويَدْخُلُ البيْتَ في طلب شيءٍ وأَقْرَأُ عليه»[3].

□ «مبارك بن فضالة، عن هشام، عن أبيه، أنَّه كان يقول لنا ونحن شباب: ما لكم لا تعلَّمون، إنّ تكونوا صغارَ قومٍ يُوشِكُ أنْ تكونوا كبارَ قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخًا وهو جاهل. لقدْ رأيتُني قبل موت عائشة بأربع حِجَجٍ وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمتُ على حديثٍ عندها إلا وقد وعَيْتُه، ولقدْ كان يبلغني عن الصحابيِّ الحديثُ فآتيه، فأجده قد قال؛ فأجلس على بابه، ثم أسألُه عنه»[4].

□ «أخبرنا إسحاق الأسديّ، أنبأنا ابنُ خليل، أنبأنا أبو المكارم، أنبأنا أبو عليٍّ، أنبأنا أبو نُعيم، حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدَّثنا عبد الله بن شِيرُويه، حدَّثنا ابن راهوُيه، حدَّثنا محمد بن سلمة، والمحاربي، قالا: حدَّثنا ابنُ إسحاق، عن أبانَ بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضْتُ القرآنَ على ابنِ عباس ثلاثَ عرْضات، أقِفُهُ عند كُلِّ آيةٍ أسأله: فيمَ نزلتْ؟ وكَيْفَ كَانَت؟»[5].

□ «قال الخطيبُ: قال لي الحسين بن علي الصَّيْمَرِيُّ: سمعتُ من الدَّارَقُطْني أجزاءً من سُنَنه، فقُرِئ عليه حديث غُوْرَك السَّعدِيُّ، عن جعْفر بن

---

(١) السير (١٠/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠).
(٢) السير (١١/ ١٨).
(٣) السير (١٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).
(٤) السير (٤/ ٤٢٤)، التاريخ (٦/ ٤٢٥).
(٥) السير (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧)، القراء (١/ ٦٦)، والتاريخ (٧/ ٢٣٦).

محمَّد في زكاة الخَيْلِ، فقال: غُوْرَك ومَنْ دُونَهُ ضُعفَاءُ. فقِيل لَه: الَّذي روَاه عن غُوْرك هُو أبُو يُوسُف القَاضي! فقال: أَعْوَرٌ بَيْنَ عُمْيَانِ.

وَكَانَ الشَّيخ أبُو حَامدٍ الفَقِيه حَاضرًا، فَقَالَ: أَلْحِقُوا هذَا الكَلام في الكِتَابِ. فَكَان ذَلِكَ سبَب انْقِطَاعِي عن مجْلس الدَّارَقطني، فليْتَني لم أفْعَل أيْشٍ ضرَّ أبَا الحسن انصِرافي؟»[1].

□ «حمَّاد بنُ سَلمَةَ، عن أيوبَ، عن أبي قِلابَةَ: قالَ ابنُ مَسْعُودٍ: عليْكُم بالعلْم قبْل أن يُقْبضَ، وقبضُه ذهابُ أهلِهِ، فإنَّ أحدَكُم لا يَدْري مَتى يُفتقر إليه؟ وستَجِدُونَ أقْوامًا يزْعمُونَ أنَّهُم يدْعُونَكُم إلى كتَابِ اللهِ وقَدْ نَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم، فَعَلَيْكُم بالعِلِم، وإيَّاكم والتَّبَدُّع، وإيَّاكُم والتَّنطُّع والتَّعمُّق، وعليْكُم بالعَتِيقِ»[2].

□ «قالَ مُوسَى بنُ نصْرٍ: سمعتُ هِشَامَ بنَ عبد الله الرَّازي يقولُ: لقيتُ ألفًا وسبْع مائةَ شيْخٍ، وخَرَجَ منِّي في طَلَب العِلْمِ سبْعُ مائةَ ألفَ درْهمٍ»[3].

□ «مبارك بن سعيد الثَّوْري، عن سُفيانَ، عن جعفر بن بُرْقان، قال وهبٍ: طُوبَى لمن شغلَهُ عيبُه عن عيْبِ أخيه، طُوبَى لمن تَوَاضَع لله مِنْ غيْر مَسْكَنَةٍ، طُوبَى لمن تَصَدَّقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، طُوبَى لأهلِ الضُّرِّ وأهلِ المسْكَنَةِ، طُوبَى لمن جَالَسَ أَهْلَ العِلْمِ والحِلْمِ، طُوبَى لِمنْ اقْتَدَى بأَهْل العِلْمِ والحِلْمِ والخَشْيَةِ، طُوبَى لمنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ فَلَمْ يَعدُها»[4].

٥ ـ السعة عونًا على طلب العلم:

□ «قال سعيدُ بنُ عثمان الأعناقي: قدمنا مصر، فوجدنا يونسَ أمْرَهُ صعبًا، ووجدنا أحمدَ بن عبد الرحمٰن ابن أخي عبد الله بن وهب أسهل، فجمعنا له دنانير، وأعطيناه، وقرأنا عليه «موطأ» عمِّه وجامعه. وسمعتُ ابنَ

(١) التاريخ (٢٩/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).
(٢) التذكرة (١/ ١٥ ـ ١٦).
(٣) التذكرة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).
(٤) السير (٤/ ٥٥٢).

فُطيس يقول: فصار في نفسي، فأردتُ أن أسألَ محمدَ بنَ عبد الله بن عبد الحكم، فقلتُ: أصلحك اللهُ، العالمُ يأخذُ على قراءةِ العلم؟ فشعر فيما ظهر لي أنِّي إنما سألته عن ابنِ أخي ابنِ وهب، فقال لي: جائزٌ، عافاكَ الله، حلالٌ أنْ لا أقرأ لك ورقةً إلا بدرهم، ومَنْ أخذَني أن أقْعُدَ طولَ النَّهار، وأَدعَ ما يلزمُني من أسبابي، ونفقةِ عيالي؟!

▫ «هذا الذي قاله ابنُ عبد الحكم مُتوجِّهٌ في حقِّ مُتَسَبِّبٍ يَفُوتُه الكَسْبَ والاحترافَ لتعوُّقه بالرواية لما قال عليُّ بن بيَان الرزَّاز الذي تفرَّد به بعُلوِّ جزءِ ابنِ عَرَفة، فكان يطلبُ على تسميعه دينارًا: أنتُم تطلبون منِّي العُلُوَّ، وإلا فاسمعوا الجزء من أصحابي، ففي الدرب جماعةٌ سمعوه مني، فإن كان الشيخُ عَسِرًا ثقيلًا لا شُغل له، وهو غنيٌّ، فلا يُعطي شيئًا. والله الموفق»[(١)].

▫ «قال سفيان: وقال أبو إسحاق السَّبيعي: كانوا يرون السَّعةَ عونًا على الدِّين»[(٢)].

▫ «وقال روَّادُ بنُ الجرَّاح: سمعتُ الثَّوري يقولُ: كان المالُ فيما مضى يُكره، فأمَّا اليوم، فهو تُرْس المؤمن.

▫ «ونظر إليه رجلٌ، وفي يدِه دنانير، فقال: يا أبا عبد الله! تُمْسِكُ هذه الدَّنانير!؟ قال: اسكُتْ، فلولاها لتمندل بنا الملوكُ.

قلتُ: قد كان سُفيان رأسًا في الزُّهْد، والتَّأَلُّه، والخوف، رأسًا في الحفظ، رأسًا في معرفة الآثار، رأسًا في الفقه، لا يخَاف في الله لومةَ لائمٍ، من أئمة الدِّين»[(٣)].

▫ «وقال أبو نُعيم: قال الثوري: لولا بُضَيَّعَتنا تَلاعب بنا هؤلاء»[(٤)].

▫ «قال عبد الرَّزَّاق: ما رأيتُ أحدًا أحفظَ لما عنده من الثَّوري، قيل

---

(١) السير (١٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣). (٢) السير (٥/ ٣٩٦).
(٣) السير (٧/ ٢٤١)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٥).
(٤) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٥).

له: ما منعك أن ترحل إلى الزُّهري؟ قال: لم تكن دَرَاهم»[١].

□ «ورُوي عن الثَّوري قال: أُحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلمِ في كفايةٍ، فإنَّ الآفات إليه أسْرعُ، والألسنة إليه أسْرعُ»[٢].

□ «قال سليمان بن عبد الحميد، عن يحيى الوُحَاظي: ما رأيتُ رجلًا كان أكبرَ نفسًا من إسماعيل بن عياش، كُنَّا إذا أتَيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخَبيص. سمعتُه يقولُ: ورثتُ من أبي أربعة آلاف دينار، فأنفقتُها في طَلبِ العلم»[٣].

□ «الفتح بن سخرف: حدثنا عباس بن يزيد، حدثنا حِبان بن موسى، قال: عوتب ابن المبارك فيما يُفرِّق من المال في البلدان دونَ بلده، قال: إنِّي أعرفُ مكان قومٍ لهم فضلٌ وصدقٌ، طلبُوا الحديث، فأحسنوا طَلبه لحاجة النَّاس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم، ضاعَ علمهم، وإن أعنَّاهم، بثُّوا العلم لأمة محمَّد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضلَ من بثِّ العلم»[٤].

□ «وعن المسيِّب بن واضح قال: أرسل ابنُ المبارك إلى أبي بكر بن عياشٍ بأربعين ألف درهم، وقال: سُدَّ بهذه فتنة القومِ عنك»[٥].

□ «أخبرنا ابنُ علَّان إذنًا، أخبرنا الكِنْدِيُّ، أخبرنا القزَّاز، أخبرنا الخطيب، حدثني مسعود بنُ ناصر، أخبرنا أبو الفضل بن محمد بن الفضل المُزَكِّي، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ الحُسين المرواني، سمعتُ زَنْجوَيه اللَّبَّاد، سمعتُ عبدَ الله بنَ كثير البَكْري، سمعتُ أحمد بن أَعْيَن بالمِصِّيصة، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: دَفَع إليَّ أبي مئةَ ألف درهم، وقال: اذهبْ فلا أرى لك وجهًا إلا بمئة ألف حديث.

وبه إلى الخطيب: أخبرنا عبدُ الرحمٰن بنُ فضالة بالرَّيِّ، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ محمد بن جعفر بِبلْخ، حدثنا موسى بنُ محمد المُؤَدِّب، سمعتُ

---

(١) السير (٧/ ٢٤٦). (٢) السير (٧/ ٢٥٤).
(٣) السير (٨/ ٣١٥).
(٤) السير (٨/ ٣٨٧)، التاريخ (١٢/ ٢٣٤). (٥) السير (٨/ ٤٢٠).

أحمدَ بنَ إبراهيم بن حرب النَّيْسابُوري، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: أعطاني أبي مئة ألف درهم، فأتيتُه بمئة ألف حديث، وكنتُ أُرْدِفُ هشيمًا خلفي ليسمع معي الشَّيء بعد الشيء»[1].

▫ «قال حُصَين بنُ عبد الرحمٰن: ما كان بيني وبين أن ألقى ابنَ عبَّاسٍ إلا تسعة دراهم»[2].

▫ «كان أبو نُعَيم الفضْلُ بنُ دُكَيْن شَريكًا لعبد السلام المُلائي، كانا في حانوتٍ وبالكوفة يبيعان المُلاءَ وغيرَ ذلك، وكان كذلك غالبُ عُلماءِ السَّلَفِ إنَّما يُنْفِقُون من كسبهم»[3].

▫ «قال خُشْنَامُ بنُ سعيد: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ: كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانت عندي نفقةٌ، لرحلتُ إليه»[4].

▫ «قال ابنُ أبي حاتم: وحدثنا صالح بن أحمد، سمعتُ أبي يقول: لو كان عندي خمسونَ درهمًا، لخرجتُ إلى جرير إلى الري»[5].

▫ «قال حَمدانُ بن هانِئ المُقرئ: سمعتُ خلف بن هشام المُقرئ يقول: أشْكل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانية ألف درهمٍ حتَّى حَذَقْتُه»[6].

▫ «وقال سهلُ بنُ المتوكِّل، سمعتُ محمَّدَ بنَ سلَّام البَيْكَنْدِي يقول: أَنفقتُ في طلبِ العلم أَربعين أَلفًا، وأنفقتُ في نَشْرِهِ أَربعين ألفًا، وليتَ ما أنفقتُ في طلبه كان في نَشْرِهِ، أو كما قال»[7].

▫ «وقال ابنُ عَدي: حدثني شيخ كاتب ذكر أنَّه قرابةُ يحيى بن معين، قال: كان معين على خَراج الريِّ، فماتَ فخلَّف ليحيى ابنه ألف ألفِ درهم، فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسُه»[8].

---

(١) السير (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).
(٢) السير (٩/ ٢٥٣).
(٣) السير (١٠/ ١٤٢).
(٤) السير (١٠/ ٥١٤).
(٥) السير (١١/ ١٨٣).
(٦) السير (١٠/ ٥٧٨)، والتاريخ (١٦/ ١٥٥).
(٧) السير (١٠/ ٦٣٠)، التذكرة (٢/ ٤٢٢).
(٨) السير (١١/ ٧٧).

□ «قال ابنُ النَّفاح: حدثنا أبو عُمر، قال: قرأتُ على إسماعيل بن جعفر بقراءة أهل المدينة خَتْمةً، وأدركتُ حياةَ نافع، ولو كان عندي عشرةُ دراهم، لرحلتُ إليه»[1].

□ «قال الحسينُ بنُ الحسن بن سفيان: سمعتُ محمَّد بن يحيى الذُّهْلِيَّ يقول: ارتحلْتُ ثلاثَ رحلات، وأنفقتُ على العلم مئةً وخمسين ألفًا. ولما دخلتُ استقبلتني جِنازةُ يحيى بن سعيد القطان على باب البصرة»[2].

□ «قال صالحُ بنُ أحمد في «تاريخ هَمَذان»: وسمعتُ أبي يحكي عن ابن ماجَهْ القزْوِيني، أنَّه قال: مَنَعني الخروجَ إلى إبراهيم بن الحسن بن دِيْزيل قِلَّةُ اليَد»[3].

□ «وكان أبُو بكر محمَّد بنُ عبد الرَّحيم إمام القُرَّاء يقول: ارتحلتُ إلى مصر ومعي ثمانون ألف درهم، فأَنْفَقْتُها على ثمانين خَتْمة»[4].

□ «ذكر الخطيبُ أنَّ أبا الحُسين أحمد بنُ قاج الورَّاق ورثَ سبع مئة دينار، فاشترى بمجموعها كاغدًا في صفقةٍ، ومكث دهرًا يكتبُ فيه الحديث، رَحِمَهُ اللهُ»[5].

□ «قال الخطيبُ: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عمر الدَّاوودي، سمعتُ أبا حفص بنَ شاهين، يقول: حسبتُ ما اشتريت به الحبر إلى هذا الوقت، فكانَ سبع مئة درهم: قال الدَّاوودي: وكنا نشتري الحِبْرَ أربعة أرطالٍ بِدِرْهَم»[6].

□ «قالَ مُوسَى بنُ نصْرٍ: سمعتُ هِشَامَ بنَ عبد الله الرَّازي يقولُ: لقيتُ ألفًا وسبْع مائةَ شيْخٍ، وخَرَجَ منِّي في طَلَبِ العِلْمِ سبْعُ مائةَ ألفَ درْهمٍ»[7].

---

(١) السير (١١/ ٥٤٣).
(٢) السير (١٢/ ٢٨٣)، التذكرة (٢/ ٥٣١). (٣) السير (١٣/ ١٨٨).
(٤) السير (١٤/ ٨٠ ـ ٨١)، معرفة القراء (١/ ٢٣٣).
(٥) السير (١٦/ ٤٩). (٦) السير (١٦/ ٤٣٣).
(٧) التذكرة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

٦ ـ الدراية بعلوم الآلة:

▫ «قال محمد بن بَركَة الحلبي: سمعتُ عُثمان خُرَّزاد يقول: يحتاجُ صاحب الحديث إلى خمسٍ: فإن عَدِمَتْ واحدةٌ فهي نقصٌ، يحتاجُ إلى عقلٍ جيدٍ، ودِينٍ وضبطٍ وحذاقةٍ بالصِّناعة، مع أمانةٍ تُعرف منه.

قلتُ: الأمانةُ جُزء من الدِّين، والضبطُ داخلٌ في الحِذْق، فالذي يَحتاج إليه الحافظُ: أن يكونَ تقيًّا ذكيًّا، نَحْويًّا لُغَويًّا، زكيًّا حييًّا، سَلَفيًّا، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مُجَلَّد، ويُحصِّل من الدَّواوين المعتبرة خمسَ مئة مجلد، وأن لا يفْتُرَ من طَلَب العِلم إلى الممات، بنيَّةٍ خالصةٍ وتواضُعٍ، وإلَّا فلا يَتَعَنَّ»[١].

▫ «أنبأني المُسلم بن علَّان، أخبرنا الكِنديُّ، أخبرنا الشَّيباني، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا ابنُ رزق وأبو الفرج أحمد بنُ محمد، ومحمدُ بنُ الحسن، قالوا: أخبرنا أحمدُ بنُ كامل القاضي، حدَّثنا أبو العَيْناء قال: أتيتُ عبدَ الله بن داود الخُرَيْبي، فقال ما جاءَ بكَ؟ قلتُ: الحديث، قال اذهب فتحفَّظِ القرآنَ، قلتُ: قد حفظْتُ القرآنَ، قال: اقرأ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ...﴾ [يونس: ٧١]. فقرأتُ العشر حتى أنفذْتُه، فقال لي: اذهب الآن فتعلَّمِ الفرائضَ، قلت: قد تعلمتُ الصُّلْب، والجدَّ، الكُبَر. قال فأيُّما أقربُ إليك: ابنُ أخيك أو عمُّك؟ قلت: ابنُ أخي، قال: ولم؟ قلتُ: لأن أخي من أبي، وعمِّي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلَّم العربيَّة، قال: قد علمتها قبل هذين، قال: فلمَ قال عمر ـ يعني: حين طُعِن ـ: يا لله، يا لِلْمسلمين، لم فتح تلك، وكسر هذه؟ قلتُ: فتح تلكَ اللام على الدُّعاء، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدَّثْتُ أحدًا، لحدَّثْتُك»[٢].

▫ «وعن الشافعي قال: ما أردتُ بها ـ يعني: العربية والأخبار ـ إلا للاستعانةِ على الفقه»[٣].

▫ «وعن الشافعي قال: أقدرُ الفقهاء على المناظرة مَن عوَّد لسانه الرَّكْضَ

---

(١) السير (١٣/ ٣٨٠).
(٢) السير (٩/ ٣٥١).
(٣) السير (١٠/ ٧٥).

في مَيْدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رَمَقَتْه العيونُ بالألحاظ»[١].

□ «قال أبو داود السِّنْجِي: سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ: إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طالبِ العلم إذا لم يَعْرِف النحوَ أن يدخُلَ في جملة قوله ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النَّار**»؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رَوَيْتَ عنه وَلَحَنْتَ فيه كذبت عليه»[٢].

□ «وقال أبو النَّضْر محمد بن محمد الفقيه: سمعتُ أبا عبد الله البُوسْنَجِيَّ يقول: مَنْ أراد الفِقْه والعِلم بغير أدبٍ، فقد افتحم أن يكذب على الله ورسوله»[٣].

□ «وقال بعضهم: كان أحمد بن فارس بن زكريا صاحب «المجمل في اللغة» إذا ذُكِرت اللُّغة فهو صاحب مُجْمِلها، لا بل صاحب المجمّل لها. وكان يحثُّ الفقهاء دائمًا على معرفة اللُّغة، ويُلقي عليهم ويُخْجِلهم ليتعلَّموا اللغة، ويقولُ: من قَصَرَ عِلْمَه على الفقه وغُولط غَلط»[٤].

□ «وكان أحمد بن سعيد بن حزم، أبو عمر الأديب، والد العلامة أبي محمد بن حزْم يقول: إنِّي لأتعجَّب ممَّن يَلْحَن في مخاطبةٍ، أو يجيء بلفْظَةٍ قلِقَةٍ في مُكَاتَبةٍ؛ لأنَّه إذا شكَّ في شيءٍ أنَّ يتركه ويطلب غيره، فالكلام أوسع من هذا.

قلتُ: هذا لا يقولُه إلَّا المتبحِّر في اللُّغة والعربيَّة. رَحِمَهُ اللهُ»[٥].

□ «قال محمَّدُ بنُ عبد الله بن عمَّار: كان ابنُ إدريس إذا لَحَنَ أحدٌ في كلامه، لم يُحدِّثْه»[٦].

□ «قال عبدُ الغافر: أمَّا شيخُنا ابنُ خلفٍ فهو الأديب، المُحدِّث، المُتقِن، الصحيحُ السماعِ أبو بكر، ما رأيت شيخًا أورَع منه، ولا أشدَّ إتقانًا، حصلَ على حظٍّ وافرٍ من العربية، وكان لا يُسامح في فواتٍ لفظةٍ مما يُقرأُ

---

(١) التاريخ (١٤/ ٣٢٦).
(٢) التاريخ (١٥/ ٢٧٧)، السير (١٠/ ١٧٨).
(٣) التاريخ (٢٢/ ٢٣٧).
(٤) التاريخ (٢٧/ ٣١٠).
(٥) التاريخ (٢٨/ ٥٥).
(٦) السير (٩/ ٤٤).

عليه، ويُراجع في المشكلاتِ، ويُبالغ»[1].

□ «قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرَّازي الخطيب: وسمعتُ عبد الرَّحمٰن بن أبي حاتم يقول: لم يَدعْني أبي أشتَغِلَ في الحديث حتى قرأتُ القُرآن على الفَضل بن شاذان الرَّازي، ثم كتبتُ الحديث»[2].

□ «قال محمد بن الفضل بن محمد: سمعتُ جدِّي يقول: استأذنتُ أبي في الخروج إلى قُتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولًا حتَّى آذن لكَ. فاستظهرتُ القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلِّي بالختمة. ففعلتُ، فلمَّا عيَّدنا، أذن لي، فخرجتُ إلى مرو، وسمعتُ بِمَروِالرُّوذِ من محمد بن هشام ـ صاحب هُشيم، فنُعيَ إلينا قُتيبة»[3].

□ «سلم بن قُتيبة، قال شعبة: يا قوم! كُلَّمَا تقدمتم في الحديث تأخرتم في القرآن»[4].

٧ ـ الاهتمام بعلوم الحديث، وبيان فضل أهله:

□ «فعلي بن موسى القُمِّي، وأبو سعيد كانا عالمَي خُراسان في مذهب أبي حَنيفة، تخرَّج بهما جماعةٌ من الكبار، وكان معَهُما في البلد من أئمَّة الأثَر مثل ابن خُزَيْمَةَ، وأبي العبَّاس السرَّاج، وعدَّة، فكان المحدِّثون إذ ذاك أئمَّة عالمين بالفقه أيضًا، وكان أهلُ الرَّأي بُصَراء بالحديث، قد رحلوا في طلبه، وتقدَّموا في معرفته. وأمَّا اليومَ، فالمحدِّثُ قد قَنِعَ بالسِّكةِ والخُطْبة، فلا يفقه ولا يحفَظ، كما أنَّ الفقيهَ قد تشبَّثَ بفقهٍ لا يُجِيد معرفتَه، ولا يَدري ما هُو الحديثُ؛ بل الموضوعُ والثابتُ عندَهُ سواءٌ، بل قد يعارضُ ما في الصَّحيح بأحاديثَ ساقِطَةٍ، ويُكَابِرُ بأنَّهَا أصحُّ وأقوى. نسألُ اللهَ العَافِيَةَ»[5].

□ «فَهَؤُلاءِ المُسْلِمُونَ فِي هذه الطَّبقةِ الثامِنَةِ هُم ثقاتُ الحُفَّاظِ، ولعلَّ قد

---

(١) السير (١٨/ ٤٧٩).
(٢) السير (١٣/ ٢٦٥).
(٣) السير (١٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، التذكرة (٢/ ٧٢٢).
(٤) التذكرة (١/ ١٩٦).
(٥) السير (١٤/ ٢٣٦).

أهملنَا منْ نُظَرائِهم، فإنَّ المجلسَ الوَاحِدَ فِي هذَا الوقتِ كانَ يجْتمعُ فيه أزيدَ من عشرة آلافِ محْبرةٍ، يكتُبُون الآثارَ النَّبويَّةَ، ويَعْتَنُونَ بِهذَا الشَّأْنِ، وبينهُم نحو منْ مائتَي إمامٍ قد بَرَزُوا وتأهَّلُوا للفُتيا، فلقدْ تفَانى أصْحَابُ الحديثِ وتَلاشَوا، وتبَدَّلَ النَّاسُ بِطَلبةٍ يَهْزَأُ بِهِم أعْداءُ الحديثِ والسُّنَّةِ، ويسْخَرُون منهُم، وصَارَ عُلَماءُ العصْرِ في الغالبِ عَاكِفِينَ على التَّقْليدِ في الفُرُوعِ، مِنْ غَيْرِ تَحْريرٍ لها، ومُكِبِّينَ عَلى عقْلياتٍ مِنْ حكْمَةِ الأوائِلِ، وآراءِ المُتَكَلِمِينَ، من غَيْرِ أنْ يَتَعَقَّلُوا أكْثَرها، فعَمَّ البلاءُ، واسْتَحْكَمَتُ الأهْواءُ، ولاحتْ مَبادئُ رفْعِ العلْمِ وقبْضِهِ منَ النَّاسِ، فرَحِمَ اللهُ امرأً أقْبَلَ عَلَى شأْنِهِ، وقَصَرَ مِنْ لِسَانِه، وأقْبَلَ عَلَى تِلاوةِ قرآنِه، وبَكَى عَلى زَمَانِه، وأَدْمَنَ النَّظَرَ في الصَّحِيحِينِ، وعَبَدَ الله قَبْلَ أنْ يَبْغَتَهُ الأَجَلُ. اللَّهُم فَوفقْ وارْحَم»[1].

□ «ولقدْ كَانَ فِي هذَا العَصْرِ من أهْلِ الطَبَقةِ التَّاسِعَةِ ومَا قَاربَه من أئمَةِ الحَدِيثِ النَّبَويِّ خَلْقٌ كثيرٌ، وما ذَكَرْنَا عُشْرهم هُنا، وأكثرُهُم مذكُورُون في تَاريخِي، وكَذَلِكَ كان في هَذَا الوَقْتِ خلقٌ مِنْ أئمَة أهْل الرأي والفرُوعِ وعددٌ مِنْ أسَاطِينِ المعتزلة والشيعةِ وأصحابِ الكلامِ الذين مشَوا وراءَ المعقُولِ، وأعْرضُوا عمَّا عليْه السَّلف من التمسُّك بالآثارِ النبويَّةِ، وظَهَرَ في الفُقْهَاءِ التَّقليدَ، وتناقصَ الاجتهادَ، فسْبحانَ مَنْ لَه الخلقُ والأمرُ، فبالله عليْكَ يا شيخُ ارفقْ بنفسكَ، والزمْ الإنصَافَ، ولا تنظُرْ إلى هؤلاءِ الحفاظِ النَّظَرَ الشزَرَ، ولا ترمقُهُم بعينِ النَّقْصِ، ولا تعْتَقِدَ فيْهم أنَّهُم من جِنْسِ مُحْدِثِي زَمَانِنَا، حاشَا وكلا، فمَا في مَنْ سَميتُ أحد ولله الحمْد إلا وهُو بصيرٌ بالدِّينِ، عالمٌ بسبيلِ النَّجاةِ، وليسَ في كِبَارِ مُحدثِي زَمَانِنَا أحدٌ يبلغُ رتبةَ أولئِك في المعْرِفَةِ، فإنِّي أحْسِبُك لفَرْطِ هَوَاكَ تقولُ بلسانِ الحالِ إنْ أعْوَزَكَ المقالُ: مَنْ أحمدُ؟ ومَا ابنُ المَدِيني؟ وأيُّ شيءٍ أبُو زُرْعَةَ وأبُو دَاودَ؟ هؤلاءِ مُحدِّثُونَ ولا يَدْرُونَ ما الفقْه،

---

(١) التذكرة (٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠).

وما أصُوله؟ ولا يفْقَهُون الرأيَّ، ولا عِلْمَ لهُم بالبيانِ والمعانِي والدقائقَ، ولا خبرةَ لهُم بالبرهانِ والمنطِقِ، ولا يعرفُون الله تعالى بالدِّليل، ولا هُم مِنْ فُقَهَاءِ الملَّةِ.

□ «فاسْكُتْ بحلم، أو انطقْ بعلم، فالعلمُ النَّافعُ هو النَّافعُ مَا جَاءَ عن أمْثَالِ هؤُلاء، ولكنْ نِسْبَتُكَ إلى أئمَّةِ الفقهِ كنسْبَةِ مُحدِثِي عصْرِنَا إلى أئمَّةِ الحَديثِ، فلا نْحن ولا أنْتَ، وإنَّمَا يَعْرِفُ الفضْلَ لأهلِ الفضْلِ ذُو الفضْلِ، فمنِ اتَّقَى اللهَ رَاقَبَ اللهَ واعْتَرفَ بنقصْهِ، ومَنْ تَكَلَّمَ بالجَاهِ وبالجَهْلِ أو بالشَّره والبآوِ فأعْرِضْ عنْهُ، وذرْه في غيِّه، فَعُقْبَاهُ إلى وَبَالٍ. نَسْألُ اللهَ العَفْوَ والسَّلامَةَ»[١].

□ «متى رأيتَ الصوفيَّ مُكِبًّا على الحديث فثِقْ به، ومتى رأيته نائيًا عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انْضاف إلى جهلِه بالحديث عكُوفُ على تُرهات الصوفيَّة، ورمُوزِ الباطنية، نسألُ الله السلامة، كما قال ابنُ المبارك:

وَهَلْ أفسَدَ الدِّينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها»[٢]

□ «أحمد بن محمَّد الزَّاهِد، سمعتُ أبَا يَعْلى عبدَ الوَّاحِدِ بنِ قُسَيْم الزَّاهِد بالمُوصِل، سمعتُ عُبيْد الله بنَ محمَّد بن وَهْبٍ، عن أبيهِ، عن أبِي بكر المُرادي المَرْوَزِيِّ، عن أحمدَ بنِ حنْبَلٍ قَالَ: مَا النَّاسُ إلَّا أصْحَابَ الحدِيثِ، فَإذَا رأيْتَ الرَّجُلَ قَدْ كَتَبَ الحَدِيثَ ثمَّ تَرَكَهُ فَاتَّهِمَهُ.

□ ثمَّ قَالَ أحمْدُ: هذَا أيُّوبُ، وابنُ عَوْنَ، ويُونسُ بنُ عُبَيْدٍ، وسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، مَا عَرَفُوا إلَّا الحَدِيثَ، وهَلْ رأيْتَ في الدُّنيَا مِثْلَ هؤُلاءِ؟!»[٣].

□ «ويُرْوَى بطريقَيْنِ عن الشَّافعيِّ قَالَ: إذَا رأيْتُ رَجُلًا مِنْ أصْحَابِ الحَدِيثِ، فَكَأنِّي رأيْتُ رَجُلًا مِنْ أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، جَزَاهُمُ اللهُ خيرًا، هُمْ حَفَظُوا لَنَا الأَصْلَ، فَلَهُم عَلَيْنَا الفَضْلُ»[٤].

---

(١) التذكرة (٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨).
(٢) السير (١٢/ ٢١٣).
(٣) معجم الشيوخ (١/ ٤٢٢).
(٤) السير (١٠/ ٥٩ ـ ٦٠).

□ «محمَّدُ بنُ أحمَدَ الجَارُودِيُّ، أخبرنَا أبُو إسْحَاقَ القَرَّابُ، أخبرنَا أبُو يحيى السَّاجِيُّ، عن البُويطي، سمعتُ الشَّافِعيَّ يقُولُ: عليْكُم بأصْحَابِ الحَدِيثِ، فإنَّهُم أكثرُ النَّاسِ صوابًا.

ويُروى عن الشَّافعيِّ: لَوْلا المَحَابِرُ لخَطبَت الزَّنَادقةُ علَى المنَابِرِ»[1].

□ «وقَالَ محمَّدُ بنُ وَزِيرِ الواسِطِي: سمعتُ يزيدَ بنَ هَارُونَ يقُولُ: قلتُ لحمَّادِ بنِ زيْدٍ: هَلْ ذَكَرَ اللهُ أصْحَابَ الحَدِيثِ في القُرْآنِ؟ قَالَ: بَلَى، اللهُ تَعَالى يقُولُ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ...﴾ الآية [التوبة: ١٢٢]»[2].

□ «قرأتُ على ابنِ الخلَّالِ، أنا ابن اللَّتِي، أنا أبو الوَقْت، أنا شيخُ الإسلام عبدُ الرَّحمٰن بنَيْسَابُور: سمعتُ الحسين الدَّقيقيّ يقولُ: سمعتُ سَهْلَ بنَ عبد الله يقولُ: مَنْ أَرَادَ الدُّنيا والآخِرَةَ فلْيَكْتُبْ الحديثَ، فإنَّ فيه منفعةُ الدُّنيا والآخرة.

قلتُ: هكذا كان مشَايخُ الصُّوفية في حِرْصِهم على الحديث والسُّنَّة، لا كَمَشَايخ عصرنا الجَهلَة البَطَلَة الأَكَلَة الكَسَلَة»[3].

□ «قال موسى بن هارون: سُئل أحمد بن حنبل: أين نطلُب البدلاء؟ فسكت ثم قال: إنْ لم يكن مِن أصحاب الحديث فلا أدري»[4].

□ «قال صالح بنُ حاتِم بن ورْدان: سمعتُ يزيد بنَ زُريع يقول: لكُلِّ دينٍ فُرْسان، وفرسانُ هذا الدِّين أصحابُ الأسانيد»[5].

□ «قال شقيق البَلْخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صلَّيت لم لا تجلِسُ معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، انظر في كتبهم وآثارِهم، فما أصنعُ مَعَكم؟ أنتم تغتابون الناس.

وعن ابن المبارك قال: لِيكن عمدتكُم الأثرُ، وخذوا من الرأي ما يُفسِّر لكم الحديث»[6].

---

(١) السير (١٠/ ٧٠).
(٢) السير (٧/ ٤٦٠).
(٣) التاريخ (٢١/ ١٨٧).
(٤) السير (١١/ ٢١٥، ٢٩٦).
(٥) السير (٨/ ٢٩٨).
(٦) السير (٨/ ٣٩٨).

◻ «قال محمدُ بنُ إسماعيل الترمذيُّ: كنتُ أنا وأحمدُ بنُ الحسن الترمذي عند أحمدَ بنِ حنبل، فقال له أحمدُ: يا أبا عبد الله، ذكروا لابنِ أبي قتيلة بمكةَ أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قومُ سوء، فقام أبو عبد الله ينفضُ ثوبَه، ويقولُ: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل البيت»[1].

◻ «ابن عدي: حدثنا عبدُ المؤمن بن أحمد الجرجاني، سمعتُ عمَّار بنَ رجاء، سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: طلبُ إسناد العُلوِّ من السُّنَّة»[2].

◻ «قال محمد بن أبي حاتم: وأملى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا، فخاف مَلالي، فقال: طِبْ نفسًا، فإنَّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم. وأنتَ مع النبيِّ ﷺ وأصحابه»[3].

◻ «قَبِيْصَةُ: سمعتُ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ يقُولُ: الملائِكَةُ حُرَّاسُ السَّماءِ، وأصْحَابُ الحِدِيثِ حُرَّاسُ الأرْضِ.

وقَالَ يحيى بنُ يَمَانَ: قِيلَ لسُفْيانَ: ليْسَتْ لهُم نيةٌ ـ يعني: أصْحَابَ الحَدِيثِ ـ؟ قَالَ: طَلَبُهُم لَهُ نِيَّةٌ، لَوْ لمْ يأتِني أصْحَابُ الحَدِيثِ لأتيتُهُم فِي بُيُوتِهِم.

وقَالَ الخُرَيْبِي: سمعتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: ليْسَ شيءٌ أنْفَعُ للنَّاسِ مِنَ الحَدِيثِ»[4].

◻ «قال أبو عُبيد: سمعتُ أبا داود يقول: الحديث رِزْق»[5].

◻ «روى أبو زُرْعة الطَّبَري، عن ابن دُرُسْتُوَيْه، صاحب سَهل، قال: قال سهْلٌ، ورأى أصحابَ الحديثَ، فقال: اجهَدوا أنْ لا تَلْقُوا الله إلا مَعَكُم المحابِر.

---

(1) السير (١١/ ٢٩٩).
(2) السير (١١/ ٣١١).
(3) السير (١٢/ ٤٤٥).
(4) السير (٧/ ٢٧٤).
(5) السير (١٣/ ٢٠٩).

ورُوي في كتاب «ذمِّ الكلام»: سُئِلَ سَهْل: إلى مَتى يكتبُ الرَّجُلُ الحديثَ؟ قالَ: حتى يموتَ، ويُصَبُّ باقي حِبْره في قبرِه»[1].

□ «وقيل إنَّ سهل بن عبد الله أتى أبا دَاود، فقالَ: أخرِجْ لي لِسَانَكَ هذا الَّذي حدثْتَ به أحاديثَ رسولِ الله ﷺ حتى أقبِّلَه. فأخرَجَه لَه»[2].

□ «قال محمد بن مَخْلد العَطَّار: سمعتُ إبراهيم الحَرْبي يقول: لا أعلم عِصَابةً خيرًا من أصْحاب الحديث، إنَّما يغدُو أحدُهُم، ومعه مِحبرة، فيقولُ: كيفَ فعل النَّبي ﷺ، وكيف صَلَّى، إيَّاكم أن تجلسُوا إلى أهل البِدَع، فإنَّ الرَّجُل إذا أقبل بِبِدْعَة ليس يُفْلِح»[3].

□ «أخبرنا أبو الحسين عليُّ بنُ محمد، والحسنُ بنُ علي قالا: أخبرنا أبو الفضل الهَمْدَاني، أخبرنا أبو طاهر السِّلفي، أخبرنا المؤتمنُ بنُ أحمد، سمعتُ أبا سعْدٍ الحَرَمِي الحافظ يقول: لا يَصبِرُ على الخَلِّ إلا دُودُه، يعني: لا يصبرُ على الحديث إلا أهلُهُ»[4].

□ «قال السمعاني أبو سعد: حدثنا عبدُ الخالق الشّحَّامي، حدثنا صاعدُ بنُ سيَّار الحافظُ إملاءً، حدثنا عبدُ الجليل بنُ محمد بن عبد الواحد بالمدينة، أخبرنا أبو الحسن الخَرجاني، أخبرنا ابنُ خُرَّزاذ، حدثنا عليُّ بنُ رَوْحان، حدثنا أحمدُ بنُ سِنان، سمعتُ شَيبان بن يحيى يقول: ما أعلمْ طريقًا إلى الجنة أقصدَ ممَّن يسْلُكُ طريقَ الحديثِ»[5].

□ «وكِتَابَةُ الخطيبِ مَليحةٌ مُفَسَّرَةٌ، كَامِلَةُ الضَبْطِ، بها أَجْزَاءٌ بدمشْقَ رأيْتهَا. وقرَأْتُ بخطِّه: أخبرنَا عليُّ بنُ محمَّد السَّمْسَارُ، أخبرنَا ابنُ المُظفَرِ، حدثَنَا عبدُ الرَّحمن بنُ محمَّد بنِ أحمدَ بنِ محمَّد بنِ الحجَّاجِ، حدثَنَا جعفرُ بنُ نُوحٍ، حدثَنَا محمَّد بنُ عِيْسَى، سمعتُ يَزِيدَ بنَ هارُونَ يقُولُ: مَا عَزَّتِ النَّيةُ في

(١) السير (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).
(٢) السير (١٣/ ٣٣١).
(٣) السير (١٣/ ٣٥٨).
(٤) السير (١٩/ ٢٠٣)، التذكرة (٤/ ١٢٢٩).
(٥) السير (٢٠/ ٣٣١).

الحَدَيثِ إلا لِشَرَفِهِ»[1].

▫ «وقال عبيدُ الله بنُ سَعِيدٍ: سمعتُ ابنَ مَهْدِي يقولُ: لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ إِمَامًا حَتَّى يعْلَمَ مَا يَصِحُ ممَّا لا يَصِحُ»[2].

▫ «ومن نَظْمِ الحافِظِ أبي القاسمِ بن عساكر:

أَلَا إِنَّ الحديثَ أَجَلُّ عِلْمٍ ... وأَشْرَفُهُ الأَحَادِيثُ العَوَالِي
وأَنْفعُ كُلِّ نوعٍ مِنْهُ عِندِيَ ... وأَحْسَنُهُ الفوائِدُ والأَمالِي
فإنَّكَ لنْ تَرَى لِلعِلْمِ شيئًا ... تُحَقِّقُهُ كأَفْواهِ الرِّجَالِ
فكُنْ يا صَاحِ ذا حِرْصٍ عليهِ ... وخُذْهُ عن الشُّيوخِ بِلا مَلالِ
ولا تأخُذْهُ مِن صُحُفٍ فتُرمى ... مِنَ التَّصْحِيفِ بالداءِ العُضَالِ»[3]

▫ «أنشدنا أبو الحسن الحافظُ: أخبرنا جَعْفَرٌ السِّلَفيُّ، أخبرنا ابنُ الطُّيُوري، أنشدنا الصَّوريُّ لنفْسِه:

قُلْ لَمنْ عانَدَ الحَديثَ وأَضْحَى ... عائِبًا أَهْلَهُ ومَنْ يدَّعِيهِ
أَبِعلْمٍ تَقُولُ هذا أَبِنْ لي ... أَمْ بِجَهْلٍ فالجَهْلُ خُلقُ السَّفِيْهِ
أَيُعَابُ الذين هُم حَفِظُوا الدِّيـ ... ـنَ مِن التُّرَّهَاتِ والتَّمْويه
وإلى قَوْلِهِم وما قَدْ رَوَوْهُ ... راجِعٌ كُلُّ عالِمٍ وَفَقِيهِ»[4]

▫ «ولابن حزْمٍ:

أَنَائِمٌ أَنْتَ عَن كتبِ الحديث وما ... أتى عَنِ المُصطَفى فيها مِنَ الدِّينِ
كَمُسْلِمٍ والبُخَاريِّ اللَّذَيْن هُمَا ... شَدَّا عُرَى الدينِ في نَقْلٍ وَتَبْيينِ
أَوْلَى بِأَجْرٍ وتَعْظِيم وَمَحْمَدَةٍ ... مِنْ كُلِّ قَوْلٍ أَتى من رَأى سُحْنُونِ
يَا مَنْ هَدَى بِهِمَا اجْعَلْنِي كَمِثْلِهِما ... فِي نَصْرِ دِينِكَ مَحضًا غَيْرَ مَفْتونِ»[5]

▫ «قال السِّلفي: أنشدنا السَّراجُ لنفسه:

---

(1) السير (١٨/ ٢٨٥)، التاريخ (٣١/ ١٠٦).
(2) التذكرة (١/ ٣٣٠).
(3) السير (٢٠/ ٥٦٩).
(4) السير (١٧/ ٦٣١)، التذكرة (٣/ ١١١٧).
(5) السير (١٨/ ٢٠٩).

لله دَرُّ عِـــــصَـــــابَـــــةٍ ... يَـسْـعَـوْنَ فـي طَـلَـبِ الـفَـوَائِـد
يُـدْعَـوْنَ أَصْـحَـابَ الـحَـدِ ... يثِ بِهِـمْ تَـجَـمَّـلَـتِ الـمَشَـاهِـدْ
طَـوْرًا تَـرَاهُـم بـالـصَّـعِـيـ ... دِ وَتَـارَةً فـي ثَـغْـرِ آمِـدْ
يَـتَّـبِّـعُـونَ مِـنَ الـعُـلُـو ... مِ بِـكُـلِّ أَرْضٍ كُـلَّ شَـارِدْ
وَهُـمُ الـنُّـجُـومُ الـمُـقْـتَـدى ... بِهِـمُ إلـى سُبُـلِ الـمَـقَـاصِـدْ»[١]

ومن نظْم عليٍّ بنِ المفضَّلِ أبي المَكَارِم:

أَيَا نَفْسُ بالمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْسَلٍ ... وأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ تَمَسَّكِي
عَسَاكِ إِذَا بَالَغْتِ في نَشْرِ دِينهِ ... بِمَا طَابَ مِنْ نَشْرٍ لَهُ أَنْ تَمَسَّكِي
وَخَافِي غَدًا يَوْمَ الحِسَابِ جَهَنَّمًا ... إِذَا نَفَحَتْ نِيرَانُها أَنْ تَمَسَّكِ»[٢]

□ «ومن شِعْر عبد المُحْسِن بنِ حمُّود التَّنُوخِيِّ:

اشْتَغِلْ بِالحَدِيثِ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهْـ ... ـمٍ فَـفِـيـهِ الـمُـرادُ والإِيـثَـارُ
فَـهُـوَ لـلـعِـلْـمِ مُـعْـلَـمٌ وبِـهِ ... بيـنَ ذَوِي الدِّينِ تَـحْسُنُ الآثَارُ
إِنَّـمَـا الـرَّأْيُ والـقِـيَـاسُ ظَـلامٌ ... والأَحَـادِيـثُ لِـلْـوَرى أَنْـوَارُ
كُـنْ بِـمَـا قَـدْ عِـلْـمْـتَـهُ عَـامِـلًا ... بِالأَحَادِيثِ لَنْ تَمَسَّكَ النَّارُ»[٣]

□ «أخبرنا ابنُ عِلَّان إجازةً، عن القاسم بنِ عليٍّ بنِ عَسَاكر، أنا أَبِي، أنشَدنَا أَبُو سعدٍ السَّمْعاني بدمشق، أنشَدنَا أَبُو العِزِّ محمَّد بنُ عليٍّ، أنشدَنا أبو طَاهرٍ أحمد بنِ محمَّدٍ الحافظُ لنفسه بمِيَافَارِقِين:

إنَّ عِـلْـمَ الـحَـدِيـثِ عِـلْـمُ رِجَالٍ ... تَـرَكُـوا الابْـتِـدَاعَ لـلاتِّـبَـاعِ
فـإِذَا جَـنَّ لَـيْـلُـهـم كَـتَـبُـوه ... وَإِذَا أَصْبَـحُـوا غَـدَوا لـلـسَّـمَـاعِ

أَنْشَدَنَا بِعِلُوٍ: أَبُو الحُسَيْنِ اليُونِيني، أَنَا جَعْفَرٌ بنُ عَلِيٍّ، أَنْشَدَنَا السِّلَفِي، فَذَكَرَهُمَا»[٤].

---

(١) السير (١٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).
(٢) السير (٢٢/ ٦٩).
(٣) التاريخ (٤٧/ ١٨١ ـ ١٨٢).
(٤) التذكرة (٤/ ١٣٠٣).

٨ ـ حرص الوالدين على تعليم أبنائهم:

▫ «أخبرنا ابنُ علّان إذنًا، أخبرنا الكِنْدِيُّ، أخبرنا القزّاز، أخبرنا الخطيب، حدثني مسعود بنُ ناصر، أخبرنا أبو الفضل بن محمد بن الفضل المُزَكِّي، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ الحُسين المرواني، سمعتُ زَنْجوَيه اللَّبَّاد، سمعتُ عبدَ الله بنَ كثير البَكْري، سمعتُ أحمد بن أَعْين بالمِصِّيصة، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: دَفَعَ إليَّ أبي مئة ألف درهم، وقال: اذهبْ فلا أرى لك وجهًا إلا بمئة ألف حديث.

وبه إلى الخطيب: أخبرنا عبدُ الرحمٰن بنُ فضالة بالرَّيِّ، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ محمد بن جعفر بِبلْخ، حدثنا موسى بنُ محمد المُؤَدِّب، سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيم بن حرب النَّيْسابُوري، سمعتُ عليَّ بنَ عاصم يقول: أعطاني أبي مئة ألف درهم، فأتيتُه بمئة ألف حديث، وكنتُ أُرْدِفُ هشيمًا خلفي ليسمع معي الشَّيء بعد الشيء»[1].

▫ «وقَالَ زَيْدُ بنُ أَخْزَمَ: سمعتُ الخُرَيْبيَّ يقُولُ: نَوْلُ الرَّجُل أنْ يُكْرِهَ وَلَدَهُ عَلَى طَلَبِ الحَدِيثِ»[2].

▫ «قال القاضي عبد الصمد في تاريخه: سمعت محمد بن عوف يقول: كنت ألعب في الكنيسة بالكرة، وأنا حدث، فدخلتْ الكرة إلى المسجد، فوقعت بالقرب من المُعافي بن عِمْران، يعني: الحمصي، فدخلتُ لآخذها، فقال: ابن من أنت؟.

قلت: ابن عُوف.

قال: أما إنَّ أباك كان من إخواننا، وكان ممَّن يكتب معنا العلم والذي يشبهك أن تتَّبع ما كان عليه والدك.

فصرت إلى أمِّي فأخبرتها، فقالت: صدق يا بُنَّي. فألبستني ثوبًا وإزارًا،

---

(١) السير (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٢) التاريخ (١٥/ ٢٠٦)، التذكرة (١/ ٢٣٨).

ثمَّ جئت إليه ومعي محْبرةٌ وورق، فقال لي: اكتُب؛ ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربِّه بن سليمان قال كتبت لي أمُّ الدرداء في لَوْحي: «اطلبوا ممّا يعلمني العِلم صِغارًا تعملوا به كِبارًا، فإنَّ لكل حاصِدٍ ما زرعَ»[1].

٩ ـ تقييد العلم:

▫ «قَالَ أبُو صَالح الفَرَّاءُ: سألتُ ابنَ المُبَاركِ عنْ كِتَابَةِ العِلْم؟ فَقَالَ: لوْلا الكتابُ ما حفظنا»[2].

▫ «أخبرنا إسماعيلُ بنُ عبد الرَّحمٰن، وعليُّ بنُ محمَّد قَالا: أخبرنَا الحسنُ بنُ صباح، أخبرنَا ابنُ رفاعة، أخبرنا أبُو الحسنَ الخِلَعِيُّ، أخبرنَا عبد الرَّحمٰن بنُ عُمَرَ، حدثنا حمزةُ بنُ محمَّد الحافظُ، سمعتُ الصَّيْدلانيِّ عبَاسًا الدُوريَّ، سمعتُ يحيى بنَ مَعِينَ يقُولُ: إذَا رأيْتَ الرَّجُلَ يخْرُجُ مِنْ منزِله بِلا مِحْبَرةٍ ولا قَلَم يطْلُبُ الحديثَ، فقدْ عَزَمَ عَلَى الكِذْبَةِ»[3].

▫ «ومحمَّدُ بنُ الوَزير عَمِيدُ الرُؤَسَاءِ، المَراتبي القَائلُ: الكُتَّابُ سَبَعَةٌ: الكَامِلُ الذِي يُنْشِئُ ويُملي ويَكتب، والأعْزَلُ: وهُو المُنْشِئُ ولا خَطَّ لُه، والثَّالثُ: المُبْهِمُ: وهُو صَاحِبُ الخَطّ ولا إنْشَاءَ لَهُ، الرابعُ: الرُّقاعي: وهو من يجيدُ رُقْعَةً ولا حَظَّ لَهُ في طُولِ نَفَسٍ، الخَامِسُ: المُخَبِّلُ: وهُو ذُو الحِفْظِ والروايةِ، ولا عِبَارةَ لَهُ، فَيجيءُ منْه نَديم، السَّادِسُ: المُخلِّطُ: وهُو الآتي بدُرِّهِ مَعَ بَعْرِهِ، السَّابِعُ: السُّكِّيتُ: وهو الذي يُجهد نفسه حتى يأتي بما يُسْتَحْسَنُ»[4].

▫ «معمَرٌ: أنبأ صالح بنُ كَيْسَانَ قَالَ: اجتمعْتُ أنَا والزُّهْريُّ نطلُبُ العلمَ، فقلْنَا: نَكْتُبُ مَا جَاءَ عَنْ أصْحَابِهِ فَإنَّه سُنَّةٌ، فقلتُ أنَا: ليْسَ بِسُنَّةٍ،

---

(١) التاريخ (٢٠/٤٥٨).

(٢) السير (٨/ ٤٠٩)، التاريخ (١٢/٢٣٨).

(٣) السير (١٦/١٨١).

(٤) السير (١٨/ ٤٦ ـ ٤٧).

فَكَتَبَ ولم أَكْتُبْ، فَأَنْجحَ وضَيَّعْتُ»[1].

١٠ ـ عدم الإكثار من مخالطة الناس:

◻ «قال إبراهيمُ الحرْبيُّ: كان أحمَد يُجِيبُ في العُرْس والخِتان، ويأكلُ. وذَكَرَ غيرُه أنَّ أحمدَ رُبمَا اسْتعفَى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكرًا، خرج. وكان يُحبُ الخمولَ والانزواء عن النَّاس، ويعودُ المريضَ، وكان يكره المشْي في الأسواق، ويُؤثِرُ الوَحدة.

قال أبُو العبَّاس السَّراج: سمعتُ فتح بن نوح، سمعتُ أحمد بن حنبل، يقولُ: أشتهي ما لا يكونُ، أشتهي مكانًا لا يكونُ فيه أحدٌ من النَّاس.

وقال الميموني: قال أحمد: رأيتُ الخلوة أروحَ لقلبي.

قال المرُّوذي: قال لي أحمد: قل لعبد الوهَّاب: أَخْمِلْ ذكرك، فإني أنا قد بُليتُ بالشهرة.

◻ «وقال محمَّد بنُ الحسَنِ بنِ هَارُونَ: رأيْتُ أبَا عبد الله إذَا مشَى في الطَّريق، يكره أن يتبعَه أحدٌ.

قلتُ: إيثَارُ الخمُولِ والتَّواضُعِ، وكَثْرَةُ الوَجَلِ منْ عَلامَاتِ التَّقْوَى والفَلاحِ»[2].

◻ «قال عبدُ الله بنُ أحمَدَ: خَرَجَ أبي إلى طَرسُوس ماشيًا، وحجَّ ماشيًا، وحجَّ حجتين أو ثلاثًا ماشيًا، وكانَ أصْبَرَ النَّاسِ على الوحدة، وبِشْرٌ لَمْ يَكُنْ يصبر على الوحدة، كان يَخْرُجُ إلى ذَا وإلى ذَا»[3].

◻ «ومِنْ شعْر أبي عبد الله الحُمَيْديِّ الأنْدُلُسِي:

لِقَاءَ النَّاسِ ليْسَ يُفِيدُ شَيْئًا ... سُوَى الهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وقَالِ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إلا ... لأخْذِ العِلْمِ أوْ إصْلاحِ حَالِ»[4]

---

(١) التاريخ (٨/٢٣٩).
(٢) السير (١١/٢٢٦).
(٣) السير (١١/٢١١).
(٤) التذكرة (٤/١٢٢٢).

١١ ـ اغتنام الأوقات:

◻ «قَالَ عَلاءُ الدِّين بنُ العَطَّار: ذَكَرَ لي شيخُنَا النَّووي ـ رحمهُ اللهُ تَعَالى ـ أَنَّهُ كَانَ لا يُضَيِّعُ لَهُ وقتًا لا في ليلٍ ولا في نهارٍ إلا في اشْتِغَالٍ، حتَّى في الطُرُقِ، وأنَّه دَامَ عَلَى هَذَا سِت سِنِينَ، ثمَّ أخَذَ في التَّصْنيفِ، والإفَادةِ، والنَّصِيحةِ، وقولِ الحقِّ.

قلتُ: معَ مَا هُو عليه من المجَاهَدةِ بنفسِه والعملِ بدقائقَ الوَرَع، والمُراقَبَةِ، وتصْفِيَةِ النَّفْسِ مِنْ الشَّوَائبَ، ومحْقُها من أغْراضِهَا، كَانَ حافِظًا للحدِيثِ وفُنونِهِ ورِجَالِه وصَحِيحِهِ وعَلِيلِه، رأسًا في مَعْرِفَةِ المذَاهبِ»[١].

◻ «قَالَ الحافظُ قُطْبُ الدِّينِ الحلبيُّ: كَانَ الشَّيْخُ تَقِّيُّ الدِّينِ إمَامَ أهْلِ زَمَانِهِ، ومَّمنْ فَاقَ بالعِلْمِ والزُّهْدِ على أقْرَانِه، عَارِفًا بالمذْهَبيْنِ، إمَامًا في الأصْليْنِ، حافِظًا مُتْقِنًا في الحدِيثِ وعلومِه، ويُضرب به المثَلُ في ذلكَ، وكَانَ آيةً في الحفظِ، والإتقانِ، والتَّحَرِّي، شديدَ الخوفِ، دائمَ الذِّكْرِ، لا ينَام الليلَ إلا قليلًا، ويقْطَعَهُ فِيمَا بيْن مُطالعَةٍ، وتلاوةٍ، وذكرٍ، وتهجدٍ، حتَّى صَارَ السَّهَرَ لهُ عادةً، وأوقاتُه كُلُّهَا معمُورةً، لمْ يُر في عَصْرهِ مثْلُه»[٢].

◻ «ومِنْ نَظْمِ أبي الوَليْدِ البَاجِيِّ:

إذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بأنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَة

فَلِمَ لا أكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأجْعَلُهَا فِي صَلاحٍ وَطَاعَة»[٣]

◻ «أنْشَدَنِي أبُو المَعَالي مَسْعُودُ بنُ مُحمَّدٍ الفقيهُ:

يَقُولُونَ: أسْبَابُ الفراغِ ثلاثةٌ ... ورابعُهَا خَلْوهُ وهُو خِيَارُها

وَقَدْ ذَكَرُوا أمْنًا ومَالًا وصحةً ... ولم يعلموا أنَّ الشبابَ مدارُها»[٤]

---

(١) التذكرة (٤/ ١٤٧٢).
(٢) التذكرة (٤/ ١٤٨٢).
(٣) التذكرة (١٨/ ٥٤٢).
(٤) السير (٢١/ ١٠٨).

١٢ ـ كبر السِّنِّ ليس عائقًا في تحصيل العلم:

◘ «حَذَقَ الإمَامُ العَلامَةُ الكَبِيرُ شَيْخُ الشَّافِعِيةِ أبُو بَكْرٍ القفَّالُ في صنعة الأَقْفَالِ، حتَّى عملٍ قُفْلًا بآلاتهِ ومفتاحِهِ، زِنَةَ أربع حبَّاتٍ، فلمَّا صَارَ ابنَ ثلاثين سنة، آنَس مِن نفْسِه ذكاءً مُفْرطًا، وأحبَّ الفقهَ، فأقبلَ على قراءته حتى بَرَعَ فيه، وصَارَ يُضْرب به المثلُ، وهو صاحبُ طريقةِ الخُراسانيِّين في الفقه»[1].

◘ «وقدْ نَالَ أبَا الفَرج بنَ الجَوْزِيِّ مِحْنَةٌ في أواخرِ عمرِهِ، وَوَشَوْا بِه إلى الخليفةِ النَّاصِرِ عَنْهُ بِأَمْرٍ اختُلف في حقيقِته، فجاء مَنْ شَتَمَهُ، وأَهَانَهُ، وأَخَذَهُ قَبْضًا باليْدِ، وخَتَمَ علَى دَارِه، وشَتَّتَ عيَالَه، ثمَّ أُقْعِدَ في سفينةٍ إلى مدينةِ واسط، فَحُبِسَ بها في بيتٍ حرجٍ، وبقيَ هُوَ يغْسِلُ ثوبَه، ويطبخُ الشيءَ، فبقي على ذلك خمس سنين ما دخلَ فيها حمَّامًا... وكان السببُ في خَلاصِ الشيخِ: أنَّ ولدَهُ يُوسُفَ نَشَأَ واشْتَغَل، وعَمِلَ في هذِه المدةِ الوعظَ وهو صبي، وتوصَّلَ حتَّى شفعتْ أمُّ الخليفةِ، وأطلقَت الشيخَ، وأتى إليه ابنُه يوسفُ، فخرج، وما ردَّ من واسط حتى قرأ هو وابنُه بتلقينه بالعشر على ابن الباقلانِّي، وسنُّ الشيخ نحو الثمانين، فانظر على هذه الهمَّة العالية»[2].

١٣ ـ الاهتمام بالكتب:

◘ «الكوكبي: حدثنا محمدُ بن موسى المارستاني، حدثنا الزبيرُ بن بكَّار، قال: قالت بنتُ أختي لأهلنا: خالي خيرُ رجلٍ لأهله، لا يتَّخِذُ ضَرَّةٍ وسُرِّيَةٍ. قال: تقول المرأةُ: واللهِ هذه الكتب أشَدُّ عليَّ من ثلاث ضرائر»[3].

◘ «قال أحمدُ بنُ أبي الحوَارِي: سمعتُ مروان بنَ محمَّد الطَاطَريَّ يقُولُ: لا غِنى لصَاحبِ الحدِيثِ عن ثَلاثَةٍ: صدقٍ، وحفظٍ، وصحةِ كُتُبٍ، فإنْ كانَتْ ثِنْتَانِ لمْ يضْعُفْ: صِدْقٌ، وصحةُ كُتُبٍ، وإذَا لمْ يحفظْ رجَعَ إلى كُتُبٍ صَحِيحَةٍ»[4].

---

(١) السير (١٧/٤٠٦).
(٢) السير (٢١/٣٧٦ ـ ٣٧٧).
(٣) السير (١٢/٣١٣).
(٤) التذكرة (١/٣٤٨ ـ ٣٤٩).

١٤ ـ المذاكرة:

◘ «وقال ابنُ وهبٍ: أخبرني يعقوبُ بنُ عبد الرحمٰن أنَّ الزُّهريَ كَانَ يَبْتَغِي العلْمَ مِنْ عُرْوَةَ وغيرِهِ، فيأْتِي جاريةً لَهُ نَائِمَةً فيوقِظُهَا فيقولُ لهَا: حدثني فلانٌ وفلانٌ بكذا، فتقولُ: مَا لي ولهذَا؟ فيقولُ: قدْ علمتُ أنَّكِ لا تنتفعينَ بِهِ، ولكنْ سمعتُ الآنَ فأردتُّ أنْ أستذْكَرَهُ»[١].

◘ «وكَانَ أبُو بَكْرٍ ابنِ الحدَّاد لمحبتِهِ للحدِيثِ لا يَدَع المُذَاكَرَةَ»[٢].

◘ «معمر، عن قتادة، عن مطرف سمعت ابن عباس يقول: مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة»[٣].

◘ «روى الأوزاعي، عن الزهري، قال: إنَّما يُذهب العلمَ النسيانُ، وتركُ المذَاكَرَةِ»[٤].

◘ «وقَالَ أبُو الحُسين ابنُ فارسٍ اللُّغويُّ: سمعتُ الأستاذَ ابنَ العميد يقُولُ: ما كنتُ أظنُّ أن في الدُّنيا حلاوة ألذُّ من الرئاسةِ والوزارةِ التي أنا فيها، حتَّى شاهدتُ مُذاكرةَ الطَبَرانِيِّ، وأبي بَكْر الجِعَابِي بحضرَتِي، فكان الطبرانيُّ يغلبُه بكثرةِ حفظِه، وكان الجِعَابيُّ يغلبُ بفطنَتِه وذكائِهِ، حتَّى ارتفعتْ مراتبهُمَا، ولا يكادُ أحدهُما يغلبُ صاحبَه، فقال الجِعَابيُّ: عنْدي حديثٌ ليسَ في الدُّنيا إلا عنْدِي، فقَالَ: هاتِ، فقَالَ ثنا أبُو خَليفَةَ، أنا سُليمانُ بنُ أيوبَ، وحدَّثَ بحديثٍ، فقَالَ الطَبَرانِيُّ: أنَا سليمانُ بنُ أيوبَ، منِّي سمعَهُ أبُو خليفةَ، فاسمعْ منِّي حتَّى يعْلُو فيه إسنادُكَ، فَخَجلَ الجِعَابيُّ، فوددتُّ أنَّ الوزارةَ لم تَكُنْ، وكنتُ ابنًا للطَبَرانيِّ، وفرحتُ لفرَحِهِ، أو كَمَا قَالَ»[٥].

◘ «قَالَ البُخَاريُّ: سمعتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ حنبلٍ قَالَ: نَزَلَ أبُو زرْعَة عندنَا فَقَالَ لي أبي: يا بُني! قَدْ اعتضتُ عن نَوافِلِي بمذاكَرةِ هَذَا الشيْخ»[٦].

---

(١) التاريخ (٨/ ٢٤٣)، السير (٥/ ٣٣٤).
(٢) التاريخ (٢٥/ ٣٠٤)، السير (١٥/ ٤٤٩).
(٣) التذكرة (١/ ٤١).
(٤) السير (٥/ ٣٣٧).
(٥) التاريخ (٢٦/ ٢٠٦).
(٦) التذكرة (٢/ ٥٥٧).

□ «أنبأنا أبُو الغنائِم بنُ عَلان، أخبَرَنَا أبُو اليُمْن الكِنْدِيُّ، أخبَرَنَا أبُو منْصُور القزَّاز، أخبَرَنَا أبُو بكرٍ الحافظُ، أخبرَنِي أحمدُ بنُ سُليمَانَ بنِ عليٍّ المقْرِيء، أخبَرَنَا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الخليْلِ، أخبَرَنَا أبُو أحمدَ بنُ عديٍّ، سمعتُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّد بنُ عبدِ العزيزِ، سمعتُ أبَا بكر بنُ زَنْجُويْه يقول: قدمتُ مِصْرَ، فأتيتُ أحمدَ بنَ صالحٍ، فسألنِي من أين أنت؟ قلتُ: من بغداد. قَالَ: أين منزلُك من منزلِ أحمدَ بنِ حنبلٍ؟ فقلتُ: أنا مِنْ أصْحَابِه. قَالَ: تكتبْ لي مَوضِعِ منزلكَ؟ فإنِّي أريدُ أنْ أوافِي العراقَ حتَّى تجمعَ بينَنَا. فكتبتُ لَهُ. فوافَى أحمدُ بنُ صالحٍ سنةَ اثنتي عشْرة ومئتين إلى عفَّان. فَسَألَ عنِّي؟ فلقيني فَقَالَ: الموعدُ الذي بيني وبينَكَ. فذهبتُ بِهِ إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ، واستأذنتُ لَهُ فقلتُ: أحمد بن صالح بالباب، فأذِنَ له، فقامَ إليه، ورحَّبَ به، وقرَّبَه، ثمَّ قال له: بلغَنِي أنَّكَ جمعتَ حديثَ الزُّهْرِي، فتعالَ حتَّى نذكُرُ مَا رَوى الزُّهريُّ عن أصْحابِ رسولِ الله ﷺ. فجَعَلا يتذاكرَان، ولا يُغْرِبُ أحدهُمَا على الآخر، حتَّى فَرَغَا، فمَا رأيتُ أحسنَ من مذاكرتِهمَا، ثمَّ قالَ أحمدُ بنُ حنبل: تعالَ حتَّى نذكُرُ مَا رَوى الزُّهريُّ عنْ أولادِ الصَّحَابةِ. فجَعَلا يتَذَاكرَان، ولا يُغْربُ أحدُهُمَا على الآخرِ، إلى أن قَالَ لأحمدَ بنِ صالحٍ: عنْد الزُّهْريِّ، عن محمَّد بنِ جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبدِ الرَّحمن بنِ عوفٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: **«ما يَسُرُّنِي أنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وأنْ لِي حِلْفَ المُطَيِّبينَ»** فقال أحمدُ بنُ صالح لأحمدَ بنِ حنبلٍ: أنتَ الأستاذُ، وتذْكُرُ مثلَ هَذَا؟! فَجَعَل أحمدُ يَتَبَسَّمُ ويقُولُ: رواه عن الزُّهْريِّ رجلٌ مقبولٌ أو صالحٌ عبد الرَّحمٰن بنُ إسْحاقَ. فقال: مَنْ رواه عن عبد الرحمٰن؟ فقال: حدثناه ثقتان: إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ، وبِشْرُ بنُ المُفَضَّل، فقالَ أحمدُ بنُ صالحٍ: سألتُك باللهِ إلا أمليتَه عليَّ، فقال أحمدُ: مِن الكتاب. فقامَ ودَخلَ، فأخْرَجَ الكتابَ وأملى عليه، فقال أحمدُ بنُ صالحٍ: لو لم أستَفِدْ بالعراقِ إلا هَذَا الحديثَ لكَانَ كثيرًا، ثمَّ ودَّعه وخَرَجَ»[1].

---

(١) السير (١٢/١٦٩ ـ ١٧٠).

١٥ ـ الحفاظ على علمِ السَّلفِ:

□ «وقالَ عبدُ الواحد بنُ أبي هاشمٍ: سَأَلَ رجلٌ ابنَ مجاهد: لِمَ لا تَخْتَار لنفسِك حرفًا يُحمل عنك؟.

قالَ: نحنُ إلى أنْ نُعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمَّتُنا أحوج منَّا إلى اختيار حرفٍ يَقرأ به مَنْ بعدنا»[1].

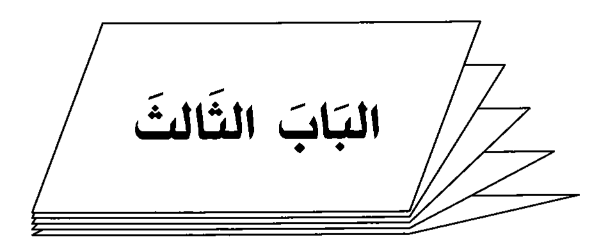
□ «وقال الأصمعي: سمعتُ أبا عَمرو بن العلاء يقولُ: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرئ به، لقرأتُ حرف كذا وحرف كذا»[2].

١٦ ـ الترويحُ عن النَّفْسِ:

□ «وقال حمَّادُ بنُ زَيْدٍ: كان الزُّهريُّ يُحِدِّثُ ثمَّ يقُولُ: هاتُوا مِنْ أشْعَارِكُمْ وأحَادِيثِكُم فإنَّ الأُذُنَ مجَّاجةً، وإنَّ للنفْسِ حُمْضَة»[3].



(١) التاريخ (٢٤/١٤٦).
(٢) معرفة القراء (١/١٠٢).
(٣) التاريخ (٨/٢٤٧).



طُرُقُ تَحْصِيلِ العِلْمِ،
وأَخْطَاءٌ يَجِبُ الحَذَرُ مِنْهَا

الفَصْلُ الأوَّلُ

طُرُقُ تَحْصِيلِ العِلْمِ

١ ـ القِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ:

□ «عن عِكْرمةَ، كانَ ابنُ عبَّاسٍ في العِلْم بحرًا ينشقُّ لهُ الأمرُ من الأُمور، وكان النبيُّ ﷺ قال: «**اللهُمَّ أَلْهِمْهُ الحِكْمَةَ وعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» فلمَّا عَمِي، أتَاهُ النَّاسُ من أهلِ الطائف ومعهم علمٌ من علمه ـ أو قال: كتبٌ من كُتبه ـ فجعلو يستقرؤونه، وجعلَ يُقدِّم ويُؤخِّر، فلمَّا رأى ذلك، قال: إني قد تَلِهْتُ من مُصيبتي هذه، فَمَنْ كانَ عنده علمٌ من علمي، فليقرأ عليَّ، فإنَّ إقراري له كقراءتي عليه، قال: فقرؤوا عليه.

تَلِهْتُ: تحيَّرتُ، والأصل: ولهتُ كما قيل في وجاه تجاه»[١].

□ «هارون بن موسى الفَروي: سمعتُ مصعبًا الزُّبَيري يقولُ: سأل هرونُ الرشيد مالكًا، وهو في منزله، ومعه بنوهُ، أن يقرأ عليهم. قال: ما قرأت على أحدٍ منذ زمان، وإنما يُقرأ عليَّ، فقال: أخرجِ النَّاسَ حتى أقرأ أنا عليك، فقال: إذا مُنِعَ العامُّ لبعض الخاصِّ، لم ينتفعِ الخاصُّ. وأمر مَعْنَ بنَ عيسى، فقرأ عليه»[٢].

□ «قال الخطيبُ في ترجمة إسماعيلَ بنِ أحمد النيسابوري الضرير: حجَّ وحدَّث، ونِعْمَ الشيَّخُ كان، ولما حجَّ، كان معه حِمْل كتبٍ ليُجاور، منه: «صحيح» البخاري، سمعه من الكُشْمِيهَني، فقرأتُ عليه جميعَه في ثلاثة مجالس، فكان المجلسُ الثالث من أول النهار وإلى الليل، ففرغ طلوع الفجر.

قلت: هذه ـ والله ـ القراءةُ التي لم يُسْمع قطُّ بأسرعَ منها»[٣].

---

(١) السير (٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).
(٢) السير (٨/ ٦٦).
(٣) السير (١٨/ ٢٨٠).

□ «وكان أبو الحسن السَّخاويُّ يترخَصُ في إقْراءِ اثنين فأكثر، كلٌّ واحدٍ في سورةٍ، وفي هذا خلافُ السُّنَّة؛ لأننا أُمرنا بالإنصاتِ إلى قارئٍ لنفهمَ ونعقلَ ونتدبَّرَ»[1].

□ «قال سُويد بنُ عبد العزيز: كان أبُو الدرداءَ إذَا صلَّى الغَداةَ في جامع دمشق اجتمع النَّاسُ للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفًا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك.

□ «وكان ابنُ عامرٍ عريفًا على عشرة، كذا قال سويد، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر»[2].

□ «وعن مسلم بن مِشْكَم قالَ: قالَ لي أبُو الدرداءَ: اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفًا وست مئة ونَيِّفًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ. وكان أبو الدرداء يكون عليه قائمًا وإذا أحكَمَ الرجلُ منهم تَحَوَّل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه»[3].



(١) السير (٢٣/ ١٢٤).
(٢) معرفة القراء (١/ ٤١).
(٣) معرفة القراء (١/ ٤٢).

الفَصْلُ الثَّاني

في أخطَاءٍ يَجِبُ الحَذَرُ منْهَا

١ ـ الحَسَدُ:

▫ «**قلت**: كلامُ الأقرانِ إذا تبرهنَ لنَا أنَّه بهوىً وعَصَبِيَةً، لا يُلتَفَتُ إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرَّرَ عن الكفِّ عن كثيرٍ مما شَجَرَ بين الصحابةِ وقتالِهم رضيَ اللهُ عنهم أجمعين، ومَا زَالَ يمرُّ بِنَا ذلكَ في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكنَّ أكثر ذلك منقطعٌ وضعيفٌ، وبعضُه كَذِبٌ، وهذا فيمَا بأيدينا وبينَ عُلمائِنَا، فينبغي طَيُّه وإخفَاؤُه، بل إعدامُهُ لتَصْفُوَ القُلوبُ، وتتوفَّرَ على حبِّ الصحابةِ، والتَّرضِي عنهُم، وكِتمانُ ذلك مُتَعِيِّنٌ عن العامَّةِ وآحَادِ العُلماء، وقد يُرَخَّصُ في مُطالعةِ ذلك خُلْوةً للعالم المُنْصِفِ العَرِيِّ من الهوى، بشرطِ أن يَستغفِرَ لهُم، كما علمنا اللهُ تعالى حيثُ يقُولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠] فالقومُ لهُم سوابق، وأعْمَالٌ مُكَفِّرَةٌ لمَا وَقَعَ منْهُم، وجهادٌ محَّاءٌ، وعبادةٌ مُمَحِّصَةٌ، ولسْنَا ممَّنْ يغْلُو في أحدٍ منْهُم، ولا ندَّعِي فيهم العِصْمَةَ، نقطعُ بأنَّ بعضَهُم أفضَلُ من بعضٍ، ونقطعُ بأنَّ أبَا بكرٍ وعمرَ أفضلُ الأمَّةَ، ثم تتمة العشرةِ المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمَّهات المؤمنين، وبنات نبيِّنا ﷺ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضلُ بعدهم مثل أبي الدرداءِ وسلْمَانَ الفارسيِّ وابنِ عُمر وسائِرِ أهل بَيْعَةِ الرضوانِ الذين رضي الله عنهم بنصِّ آيةِ سُورةِ الفتح، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالدِ بنِ الوليد والعباس وعبد الله بن عمرو، وهذه الحَلْبَة، ثم سائر مَنْ صَحِبَ رسولَ الله ﷺ، وجاهدَ معه، أو حجَّ معه، أو سمعَ منه، رضي الله

عنهم أجمعين وعن جميع صواحبِ رسولِ الله ﷺ المهاجراتِ والمدنياتِ وأمِّ الفضلِ وأمِّ هانئٍ الهاشميةِ وسائرِ الصحابيات. فأمَّا ما تنْقُلُه الرافضةُ وأهلُ البِدَعِ في كتبهِم من ذلكَ، فلا نُعرِّجَ عليه، ولا كرامةَ، فأكثرُهُ باطلٌ وكذبٌ وافتراءٌ فدأبُ الروافضِ روايةُ الأباطيل، أوْ رَدُّ ما في الصِّحاحِ والمسانيد، ومتى إفَاقَةُ مَنِ بِهِ سَكَرانَ؟!

ثم قد تكلَّمَ خلقٌ من التابعين بعضُهم في بعضٍ، وتَحاربُوا وجرتْ أمورٌ لا يُمكنُ شرحُها، فلا فَائدة في بثِّها، ووقعَ في كُتُبِ التَّواريخِ وكتبِ الجرح والتعديل أمورٌ عجيبةٌ، والعاقِلُ خصمُ نفسِهِ، ومن حُسْنِ إسْلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يَعْنِيه، ولحومُ العُلَمَاءِ مسمومةٌ، ومَا نُقِلَ منْ ذلكَ لتبيين غلطِ العالمِ، وكثرةِ وهمِهِ، أو نقصِ حفظهِ، فليس من هذا النمط، بل لتوضيحِ الحديثِ الصحيحِ من الحسنِ، والحسنِ من الضعيف.

وإمامُنا، فبحمد اللهِ ثبتٌ في الحديثِ، حافظٌ لمَا وعَى، عديمُ الغَلَطِ، موصوفٌ بالإتقانِ، متينُ الديانةِ، فمَنْ نَالَ منْهُ بجهلٍ وهوًى ممَّنْ عُلِمَ أنَّهُ مُنَافِسٌ لهُ، فَقَدَ ظلمَ نفسَهُ، ومَقَتَتْهُ العلماءُ، ولاحَ لكُلِّ حافظٍ تحامله، وجرَّ النَّاسَ برجلِهِ، ومَنْ أثْنى عليه، واعْترفَ بإمامتِهِ، وإتقانِهِ، وهم أهلُ العَقْدِ والحَلِّ قديمًا وحديثًا، فقد أصابُوا وأجملُوا، وهُدُوا ووُفِّقُوا.

▫ «وأمَّا أئِمتنَا اليومَ وحَكَّامُنَا، فإذِا أعْدَمُوا ما وُجِدَ منْ قدْحٍ بهوىً، فقد يُقالُ: أحسنُوا ووُفِّقُوا، وطاعتُهُم في ذلك مفترَضةٌ، لما قد رأوُه من حسْمِ مادَّةِ الباطلِ والشرِّ، وبكُلِّ حالٍ فالجُهَّال والضُّلالُ قد تكلمُوا في خِيارِ الصَّحابةِ، وفي الحديثِ الثابتِ: «لا أحدَ أصبرُ على أذًى يسمعُه من الله، إنَّهُم ليدعُون لَهُ ولدًا وإنَّهُ ليرزُقُهم ويُعَافيهم».

وقد كنتُ وقفتُ على بعضِ كلامِ المغاربة في الإمام رَحِمَهُ اللهُ، فكانت فائدتي من ذلك تضعيفَ حالِ من تعرَّضَ إلى الإمام، ولله الحمد.

ولا رَيْبَ أنَّ الإمامَ لما سكَنَ مِصْرَ، وخَالفَ أقْرانَه من المالكية، ووهَّى بعضَ فُروعِهم بدلائل السُّنَّةِ، وخَالفَ شيخَهُ في مسائلَ تألَّمُوا منهُ، ونَالُوا منْهُ،

وجرتْ بينهُم وحشةٌ، غَفَرَ اللهُ للكُلِّ، وقدْ اعْترفَ الإمامُ سُحْنُونُ، وقالَ: لمْ يَكُنْ في الشافعيِّ بدعةٌ. فَصَدَقَ واللهِ، فرحمَ اللهُ الشافعِيَّ، وأينَ مثلُ الشافعِيِّ واللهِ! في صدقِهِ وشَرَفِهِ، ونُبْلِهِ، وَسَعَةِ علمِه، وفَرْطِ ذكائِه، ونَصْرِهِ للحقِّ، وكثرَةِ مناقِبِه، رَحِمَه اللهُ تعالى»[1].

▫ «ودعاءُ أشهب على الشَّافعيِّ من بابِ كلامِ المُتَعاصِرينَ، بعضُهم في بعضٍ، لا يُعبَأُ بِهِ، بل يُتَرَحَّمُ على هذا، وعلى هذا، ويُسْتَغْفَرُ لهُما، وهو بابٌ واسعٌ، أوَّلُهُ موتُ عُمر، وآخِرهُ رأيناهُ عِيانًا، وكان يُقَالُ لعُمر: قِفْلُ الفتنة»[2].

▫ «وقد أفردَ الدارقطنيُّ كتابَ مَنْ له روايةٌ عن الشافعيِّ في جزأين، وصنَّفَ الكبارُ من مناقب هذا الإمام قديمًا وحديثًا، ونالَ بعضُ النَّاسِ منْهُ غَضًّا، فمَا زاده ذلك إلا رِفعَةً وجلالةً، ولاح للمُنصفِين أنَّ كلام أقرانِه فيه بهوًى، وقلَّ من برَّزَ في الإمامةِ، وردَّ على من خالفه إلا وعُودي، نعوذُ بالله من الهوى»[3].

▫ «وقد صنَّفَ الحافظُ أبُو بكرٍ الخطيبُ كتابًا في ثبوتِ الاحتجاجِ بالإمام الشَّافعيِّ. وما تكلَّمَ فيه إلَّا حاسدٌ أو جَاهلٌ بحالِهِ، فكان ذلك الكلامُ الباطلُ منهم مُوجبًا لارتفاعِ شأْنِهِ، وعُلُوِّ قدْرِهِ، وتلكَ سُنَّةُ اللهِ في عبادِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩، ٧٠]»[4].

▫ «قلتُ: أحسبهم يَظُنُّونَ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ كان محدِّثًا وبَسْ، بل يَتَخَيَّلُونَهُ من بابةِ محدثي زماننا. وواللهِ لقد بلغَ في الفقهِ خاصةً رُتبةَ اللَّيثِ، ومالكٍ، والشافعيِّ، وأبي يوسف، وفي الزهد والورعِ رُتبةَ الفُضيل، وإبراهيمَ بنِ أدهم، وفي الحِفظِ رُتبةَ شُعبةَ، ويحيى القطان، وابنِ المديني. ولكن الجاهلَ لا يعلمُ رُتبةَ نفسه، فكيف يعرفُ رتبةَ غيره؟!!»[5].

---

(١) السير (١٠/ ٩٢ ـ ٩٥).
(٢) السير (٩/ ٥٠٣).
(٣) السير (١٠/ ٨ ـ ٩).
(٤) السير (١٠/ ٤٨).
(٥) السير (١١/ ٣٢١).

□ «ومَا زَالَ كلامُ الكبَارِ المُتعاصِرِينَ بعضُهِم في بعض لا يُلْوَى عليه بمفرده»[1].

□ «وبلغنا عن عُثمانَ الدَّارِميِّ، أنَّه قال له رجلٌ كبيرٌ يَحْسُدُه؛ ماذا أنت لولا العلمُ؟ فقالَ له: أردت شيئًا فَصَار زينًا»[2].

□ «وقال محمَّدُ بنُ يوسف الحافظُ: كان ابنُ شَنَبُوذٍ إذا أتاه رجلٌ يقرأ عليه قال: هلْ قرأتَ على ابن مُجاهدٍ؟ فإنْ قالَ: نعم. لم يُقْرِئْه»[3].

□ «قلتُ: كلامُ الأقرانِ بعضُهم في بعضٍ لا يُعْبَأُ به، لا سيمَا إذا لاحَ لكَ أنهُ لعداوةٍ أو لمذهبٍ أو لحسدٍ، ما ينجُو منهُ إلا مَنْ عصِمَ اللهُ، ومَا علمتُ أنَّ عصْرًا من الأعصَارِ سَلِمَ أهلُه منْ ذلِكَ، سُوى الأنبياءِ والصديقينَ، ولو شئْتُ لسردتُّ منْ ذَلِكَ كَرارِيسَ، اللَّهُم فَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا للذِينَ آمنُوا ربَّنَا إنَّكَ رؤوفٌ رحيمٌ»[4].

□ «وَمَا زَالَ العُلمَاءُ الأقْرانُ يتَكَلَّمُ بعضُهم في بعضٍ بحسب اجتهادِهم، وكلُّ أحدٍ يُؤخَذُ مِنْ قوْلِه ويُتركُ إلا رسولُ اللهِ ﷺ»[5].

□ «وما زَالَ يمرُّ لي الرجلُ الثبتُ وفيه مقالُ من لا يعْبَأُ به، ولو فتحْنَا هذا البابَ على نفوسِنَا لدخلَ فيه عدةٌ من الصَّحابةِ والتابعينَ والأئمةِ، فبعضُ الصَّحابةِ كُفِّرَ بعضُهم بتأويلٍ مَا، واللهُ يرضَى عن الكُلِّ ويغفر لهُم، فما هم بمعصُومين، ومَا اختلافُهُم ومحاربتُهُم بالتي تلينُهُم عندنَا أصْلًا، وبتكفيرِ الخَوَارج لهُم انحطتْ رواياتُهم؛ بلْ صارَ كلامُ الخوارجِ والشيعةِ فيهِم جرحًا في الطاعنِينَ، فانظرْ إلى حِكْمَةَ ربِّكَ ـ نسْألُ اللهَ السَّلامةَ ـ وهذَا كثيرٌ من كلامِ الأقْرانِ بعضُهُم في بعضٍ، ينبغِي أنْ يُطْوَى ولا يُروى ويُطْرحُ ولا يُجعَلْ طعنًا، ويُعَامَلُ الرَّجُلُ بالعدْلِ والقِسْطِ، وسوفَ أبْسُطُ فصْلًا في هذا المعَنى يَكُونُ فصْلًا بينَ الجرْح المعتبرِ وبيْنَ الجَرْحِ المرْدُودِ إنْ شَاءَ اللهُ»[6].

---

(1) السير (١٢/ ٢٨٥).
(2) السير (١٣/ ٣٢٤).
(3) التاريخ (٢٤/ ٢٣٥).
(4) الميزان (١/ ١١١).
(5) الميزان (٤/ ٣٠٤).
(6) الرواة الثقات ص(٢٣ ـ ٢٤).

٢ ـ الإفْتَاءُ بغَيرِ عِلْمٍ:

□ «أبو عَوانة، عن مُغيرة، عن الشعْبيِّ، قال: لا أدري: نِصْفُ العِلْم»[(١)].

□ «أبو مُسْهِر: سمعتُ سعيدًا يقولُ: لا أدري لما لا أدري نصْفُ العِلْم»[(٢)].

□ «قال يحيى بن سعيد: سمعتُ القاسم بن محمَّد يقولُ: لأن يعيشَ الرجلُ جاهلًا بعد أن يعْرِفَ حقَّ اللهِ عليه خيرٌ له من أن يقولَ ما لا يعلم.

وقال هشام بن عمَّار، عن مالك: قال: أتى القاسمَ أميرٌ من أُمراء المدينة، فسأله عن شيء؟ فقال: إن من إكرام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمُه»[(٣)].

□ «قال عبدُ العزيز بنُ رُفيع: سُئل عطاء عن شيء؟ فقال: لا أدري، فقيل: ألا تقولُ برأيك؟ قال: إني أستحيي من الله أن يُدانَ في الأرض برأيي»[(٤)].

□ «وعن مالك قال: جُنَّة العالم: «لا أدري» فإذا أغفلها أُصيبَتْ مقاتلُه.

ابن وهب، عن مالك، سمع عبد الله بن يزيد بن هُرْمُز يقولُ: ينبغي للعالم أن يُوَرِّثَ جُلَساءه قول: «لا أدري». حتى يكونَ ذلك أصلًا يَفْزَعُونَ إليه.

قال ابنُ عبد البر: صحَّ عن أبي الدرداء أن: «لا أدري»، نِصفُ العلم»[(٥)].

□ «بلغنا عن الكُديمي: حدثنا الأصْمعيُّ، قَالَ: سمعتُ الشَّافعيَّ يقُولُ: العالمُ يُسْألُ عمَّا يَعلمُ وعمَّا لا يَعْلمُ، فَيُثَبِّتُ ما يَعْلَمُ ويَتَعَلَّمُ ما لا يَعْلَم،

---

(١) السير (٤/٣١٨).
(٢) التاريخ (١٠/٢١٩).
(٣) السير (٥/٥٧).
(٤) السير (٥/٨٦).
(٥) السير (٨/٧٧).

والجَاهِلُ يغْضَبُ مِنَ التَّعَلُّم، ويأنَفُ من التعليم»[1].

□ «وسُئل سُحْنُون: أَيَسَعُ العالمَ أن يقولَ: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمَّا ما فيه كتابٌ أو سُنَّةٌ ثابتةٌ فَلا، وأمَّا ما كان مِنْ هذا الرأي، فإنَّه يَسَعُهُ ذلك؛ لأنَّه لا يدري أمصيبٌ هو أم مُخْطِئ»[2].

□ «فليسَ من لا يعلم حُجَّةً على منْ عَلِمَ، ولا المُثْبِتُ كالنَّافي»[3].

٣ ـ طَلَبُ الدُّنيَا بالعِلْمِ:

□ «سُليمان بن عبد الرَّحمٰن بن عيسى: حدَّثنا أبو خُليْد عُتْبَة بن حمَّاد القارئ، حدَّثنا الأَوْزَاعي، قال: بعثَ عبد الله بنُ عليٍّ إليَّ، فاشتَدَّ ذلك علَيَّ، وقدِمتُ، فدخلتُ، والناس سِماطانِ، فقال: ما تقولُ في مخرجنا وما نحنُ فيه؟ قلتُ: أصلحَ الله الأميرَ! قد كان بيني وبينَ داود بن عليٍّ مودَّة. قال: لَتُخْبِرَنِّي. فتفكرتُ، ثُمَّ قلتُ: لأَصْدُقَنَّه، واستَبْسلتُ للموتِ، ثُمَّ رويتُ له عن يحيى بن سعيد حديثَ «الأعمال»، وبيده قضيبٌ ينكُتُ به، ثُمَّ قال: يا عبد الرَّحمن: ما تقولُ في قتلِ أهلِ هذا البيت؟ قلتُ: حدَّثني محمد بن مروان، عن مَطَرِّف بن الشِّخِّير، عن عائشة، عن النبي ﷺ قالَ: «لا يَحِلُّ قَتْلُ المُسْلِمِ إلَّا في ثلاثٍ...» وساقَ الحديثَ. فقال: أخبِرْني عن الخلافَةِ، وصية لنا من رسول الله ﷺ؟ فقلتُ: لو كانتْ وصيَّة من رسول الله ﷺ ما تركَ عليٌّ رضي الله عنه أحدًا يتقدَّمُه. قالَ: فما تقولُ في أموالِ بني أميَّةَ؟ قلتُ: إن كانتْ لهم حلالًا، فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا، فهي عليكَ أَحْرَمُ. فَأَمَرَني، فأُخْرجتُ.

قلتُ: قد كان عبدُ الله بن علِيٍّ ملكًا جبَّارًا، سفَّاكًا للدماء، صعبَ المراس، ومعَ هذا فالإمامُ الأوزاعي يَصْدَعُه، بمُرِّ الحق كما ترى، لا كخَلْقٍ مِن عُلماء السُّوء، الذين يُحَسِّنونَ للأمراءِ ما يقتحِمونَ به من الظُّلم والعَسْف،

---

(١) السير (١٠/ ٤١).
(٢) السير (١٢/ ٦٥).
(٣) التاريخ (٥/ ٢١٥).

ويَقْلِبُون لهم الباطل حقًا، قاتلهم الله، أو يسكتونَ مع القُدْرةِ على بيان الحقِّ»[1].

□ «قال الوليد بن مسلم: سألتُ الأوزاعيَّ، وسعيدَ بنَ عبد العزيز، وابنَ جريج: لمن طلبتم العِلم؟ كلُّهم يقول: لنفسي، غير أن ابن جريج فإنه قال: طلبته للناس.

قلتُ: ما أحسن الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لمن طلبتَ العلم؟ فيُبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّة ما عرف منه»[2].

□ «وعن الفُضَيل بنِ عِيَاض: يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُكَ قصير، وأملُكَ طويل.

قلتُ: إي واللهِ، صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلومٌ، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسق وتعتقِدُ أنك عَدْلٌ، وطالب العلم للدنيا وترى أنَّك تطلبُه لله»[3].

□ «قال القاضي أبو القاسم ابن العَدِيم: سمعت عبد العزيز بن هلالة يقول: وغالب ظني أنني سمعته من ابن هِلالة بخُراسان، قال: رأيتُ عُمر بنَ طَبَرْزَذ في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق، فقلت له: سألتُك بالله ما لقيتَ بعد موتِك؟ فقال: أنا في بيت من نار، داخل بيت من نار، فقلتُ: ولِمَ؟ قال: لأخذ الذَّهب على حديثِ رسول الله ﷺ؟

قلتُ: الظاهر أنَّه أخَذَ الذَّهَبَ وكَنَزَهُ ولم يزكه، فهذا أشدُّ من مُجرد الأخذ، فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مُغْتَفَرٌ له، فإن أخذ بسؤال رُخِّص له بقَدَر القُوت، وما زاد فلا، ومن سأل وأخذ فوق الكفاية ذُمَّ، ومن سأل مع الغنى والكفاية حَرُمَ عليه الأخذ، فإنْ أخذ المال

---

(١) السير (٧/ ١٢٤ ـ ١٢٥).
(٢) السير (٦/ ٣٢٨).
(٣) السير (٨/ ٤٤٠).

والحالة هذه وكَنَزَهُ ولم يؤدِّ حقَّ الله فهو من الظالمين الفاسقين، فاستفتِ قلبك، وكن خَصْمًا لربِّكَ على نفسِك»(١).

□ «وفي الخلفاءِ وآبائِهِم وأهلِهِم قومٌ أعرضَ أهلُ الجرْحِ والتَّعْديلِ عن كشْفِ حالِهِم خوفًا من السيفِ والضَّربِ، وما زَالَ هذا في كُلِّ دولةٍ قائمةٍ يصِفُ المؤرِخُ محاسنَهَا ويُغْضِي عن مساوئِها، هذا إذَا كانَ المحدثُ ذا دِينٍ وخَيرٍ. فإنْ كانَ مدَّاحًا مُداهنًا لم يَلْتفتْ إلى الوَرَعِ بلْ رُبما أخْرجَ مَسَاوئَ الكبيرِ وهَنَّاتِه في هيئةِ المدْحِ والمكارمِ والعظَمَةِ. فلا قوة إلا بالله»(٢).

□ «ما أقبح بالعَالِمِ الدَّاعي إلى الله الحِرْص وجَمْع المال»(٣).

□ «أبو أسامة، عن أبي سِنان: سمعتُ وهبًا يقول لعطاء الخُراسانيِّ: كان العلماءُ قبلنَا قد اسْتَغْنَوْا بعلمِهِم عن دُنْيَا غيرِهم، فكانوا لا يتلفتون إليها، وكان أهلُ الدُّنْيَا يبذُلُونَ دُنْيَاهُم في علمِهِم؛ فأصبح أهلُ العِلمِ يبذُلُون لأهْلِ الدُّنيا عِلْمَهُمْ رغبةً في دُنْيَاهُم، وأصبحَ أهلُ الدُّنيَا قد زَهِدُوا في علمِهِم لمَّا رأوْا من سُوءِ مَوضِعِهِ عنْدَهُم»(٤).

□ «الثَّوْريُّ، عن عِمْرانَ القَصِيرِ، قالَ: سألتُ الحسنَ عن شيءٍ؟ فقلتُ: إنَّ الفُقَهاءَ يقُولُونَ كَذَا وكَذَا؛ فقَالَ: هلْ رأيْتَ فقِيهًا بعينك ! إنَّمَا الفقيهُ: الزَّاهِدُ في الدُّنيَا، البصيرُ بدينه، المداوم على عبادة ربِّهِ»(٥).

□ «ابن يمان، عن سفيان، عن كُرز قال: لا يكون العبدُ قارئًا حتى يزهد في الدرهم»(٦).

□ «وروى عبيدُ الله بنُ عُمَر، عن أبي حازمٍ قالَ: لا تكون عالمًا حتى يكون فيك ثلاث خصال: لا تبغ على من فوقك، ولا تحقِر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا»(٧).

---

(١) السير (٢١/ ٥١١).
(٢) التاريخ (٨/ ٤١٢).
(٣) السير (١٧/ ٤٨٢).
(٤) السير (٤/ ٥٤٩).
(٥) السير (٤/ ٥٧٦).
(٦) السير (٦/ ٨٦).
(٧) السير (٦/ ٩٨).

□ «وقيل: إنّ بعضَ الأمراء أرسل على أبي حازم سلمة بن دينار، فأتاه وعنده الزهري والأفريقي، وغيرهُما، فقال: تكلَّمَ يا أبا حازم. فقال أبو حازم: إنَّ خيرَ الأمراءِ مَنْ أحبَّ العلماءَ، وإنَّ شرَّ العلماءِ مَنْ أحبَّ الأمراء»[1].

□ «وعن هشام بن عبَّاد، سمعتُ جعفر بن محمد يقول: الفقهاءُ أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم»[2].

□ «قال أحمد بن جميل المَرْوَزِي: قيل لابن المبارك: إن إسماعيل بن عُلَيَّة، قد ولي القضاءَ، فكتب إليه:

يَا جَاعِلَ العِلْمَ لَهُ بَازِيًا ... يَصْطَادُ أمْوَالَ المَسَاكِينِ

احْتَلْتَ للدُّنْيَا ولذَّاتِها ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بالدِّين

فَصِرْتَ مَجْنُونًا بهَا بَعْدَما ... كُنْتَ دَوَاءً لِلمَجَانِينِ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ في سَرْدِهَا ... عِن ابْنِ عَوْنٍ وابْنِ سِيرِينِ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فيما مَضَى ... في تَرْكِ أَبْوابِ السَّلاطِينِ

إنْ قُلْتَ أُكْرِهْتُ فما ذا كذا ... زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ في الطِّينِ»[3]

□ «قال عبدُ الصَّمد بنُ يزيد: سمعتُ الفُضَيلَ يَقُولُ: إنَّمَا همَا عالمان: فعالمُ الدُّنيا علمهُ منشورٌ، وعالمُ الآخرة علمُه مستورٌ. احذروا عالمَ الدُّنيا، لا يضرّكم بسُكْره، العلماء كثير، والحكماء قليل»[4].

□ «وعن سُحنون قال: أَكْلٌ بالمسكنةِ، ولا أَكْلٌ بالعلم. مُحِبُّ الدُّنْيَا أعمى، لم يُنَوِّرْهُ العِلْمُ. ما أقبحَ بالعالمِ أن يأتي الأُمراءَ، واللهِ ما دخلْتُ على السلطانِ إلا وإذا خرجتُ حاسبتُ نفسي، فوجدتُ عليها الدَّرك، وأنتُم ترونَ مُخَالفتي لهواه، وما ألقاهُ به من الغِلْظة، واللهِ ما أخذتُ، ولا لبستُ لهم ثوبًا»[5].

---

(١) السير (٦/ ١٠١).
(٢) السير (٦/ ٢٦٢)، التاريخ (٩/ ٩٢).
(٣) السير (٨/ ٤١٢)، التاريخ (١٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٤) السير (٨/ ٤٣٤).
(٥) السير (١٢/ ٦٥ ـ ٦٦)، التاريخ (١٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

□ «قال الحاكم: سمعتُ أبا زكريا العنبري يقول: العالِمُ المُخْتار أنْ يَرْجع إلى حُسْنِ حال، فيأكل الطَّيِّب والحَلالَ، ولا يكْسب بعِلْمِهِ المال، ويكونُ عِلْمُهُ له جَمَال، ومالُهُ مِنَ اللهِ منٌّ عليه وإفْضَالٌ»[1].

□ «الوليد بن مَزْيَد: سمعت الأوزاعي يقول: ويل للمتفقِّهين لغير العبادة والمستحلِّين الحُرُمات بالشُّبُهات»[2].

□ «وقال أبو عَمْرو بن حَمْدان وذكر أبا يَعْلَى ففضَّله على الحَسَن بن سُفيان، فقيل له: كيف تفضِّلُه على الحَسَن بنِ سُفْيَانَ ومُسْنَدُ الحَسَنِ أكبر، وشيوخه أعلى؟

قال: لأن أبا يعلى كان يحدث احتسابًا، والحَسَن كان يحدِّث اكتسابًا»[3].

٤ ـ الكِبْرُ والعُجْبُ:

□ «الأعمش: عن مسلم، عن مسروق، قال: كفى بالمرء عِلْمًا أن يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلًا أنْ يُعْجَبَ بعمله»[4].

□ «قال قُطْبةُ بنُ العَلاءِ: سمعتُ الفُضَيْلَ يقُولُ: آفَةُ القُرَّاءِ العُجْبُ»[5].

□ «قال جعفرُ بنُ سُليمَانَ: سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقُولُ: إذَا تَعلَّمَ العبْدُ العِلْمَ ليَعْمَلَ بهِ كَسَّرَهُ عِلْمُهُ، وإذَا تَعَلَّم العِلْمَ لغَيْرِ العَمَلِ زَادَهُ فَخْرًا»[6].

□ «وعن أبي حَازِمٍ سلمةَ بنِ دينَارٍ قَالَ: مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، ومَنْ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ.

وعنهُ قَالَ: أخْفِ حسنَاتِكَ كَمَا تُخْفِي سيئَاتِكَ، ولا تَكُنْ مُعْجَبًا بِعَمَلِك فلا تَدْرِي شَقيٌّ أنتَ أمْ سعيدٌ»[7].

---

(١) السير (١٥/ ٥٣٤).
(٢) التاريخ (٩/ ٤٩٣).
(٣) التاريخ (٢٣/ ٢٠١).
(٤) السير (٤/ ٦٨).
(٥) السير (٨/ ٤٤٢).
(٦) التاريخ (٨/ ٢١٧).
(٧) التاريخ (٨/ ٤٤٢).

◘ «وعن الشَّافِعِيِّ قَالَ: إذَا خِفْتَ على عَمَلِكَ العُجبَ، فاذْكُرْ رِضَى مَنْ تَطْلُبْ، وفي أيِّ نَعِمٍ تَرْغَبْ، ومِنْ أيِّ عِقَابٍ تَرْهَبْ، فحينئذٍ يَصْغُرْ عنْدَكَ عمَلُكَ»[1].

وقيل: إنَّ أبا الحُسين ابنَ اللَّبَّان كانَ يقُولُ: ليس في الدُّنيا فَرَضِيٌّ إلا مِنْ أصْحَابي، أو لا يُحْسِنُ شَيئًا.

ولا ريْبَ أنَّه إليه المُنْتَهَى في هذا الشَّأْن، ولكن لَو سَكَتَ لكَانَ أكْمَلَ لَه. فإنَّ العَالمَ إذَا قَالَ مثْلَ هَذَا مجَّتْهُ نُفُوسُ العُقَلاءِ، ودَخَلَه كِبرٌ وخُيَلاءُ»[2].

◘ «قلت: وأشرُّ الكِبْرِ مِنْ تكبَّرَ على العِبَادِ بِعِلْمِهِ، وتَعَاظَمَ في نفْسِه بفضيلتِه، فإنْ هذَا لمْ ينفعْهُ علمُه، فإنْ مَنْ طَلَبَ العِلْمَ للآخِرَةِ كَسَرَهُ علمُه، وخَشَعَ قلبُه، واسْتَكَانتْ نفسُه، وكانَ على نفسِه بالمرْصَادِ، فلم يفترْ عنهَا؛ بلْ يُحَاسبُها كلَّ وقتٍ ويثقفُهَا؛ فإن غَفَلَ عنهَا جَمَحَتْ عن الطَّريقِ المستقيم وأهلكتْه. ومَنْ طَلَبَ العلمَ للفخْرِ الرِّياسَةِ، ونظَرَ إلى المسْلمينَ شَزَرًا، وتحَامَقَ عليهِم، وازْدَرَى بِهم؛ فهَذَا مِنْ أكْبَرِ الكِبْرِ، ولا يدخُل الجنَّةَ مِنْ في قلْبِهِ مثْقَالُ ذرةٍ منْ كِبْرٍ، فَلا حوَل ولا قوَّةَ إلا باللهِ»[3].

٥ ـ التَّعْصُبُ للْمَذَاهِبِ والآرَاءِ والأَهْوَاءِ واتِّبَاعِهَا:

◘ «وقال شيخٌ: إنَّ الإمام لمن التزمْ بتقليدِه كالنبيِّ مع أمتِهِ لا تحلُّ مخالفتُه.

قلتُ: قولُه: «لا تحلُّ مخالفتُه» مجردُ دعوْى واجتهادٌ بلا معرفة، بل له مخالفةُ إمامِه إلى إمامٍ آخرَ، حجَّتُه في تلك المسألةِ أقْوَى، لا بلْ عليه اتباعُ الدليلِ فيمَا تبرَّهَنَ لَهُ، لا كمنْ تمذْهَبَ لإمامٍ، فإذا لاحَ له ما يوافقُ هَواهُ عملَ به من أيِّ مذهبٍ كانَ. ومن تتَّبعَ رُخص المَذاهب، وزلات المجتهدِينَ؛ فقد رقَّ دينُه، كما قال الأوزاعيُّ أو غيرُه: من أخَذَ بقوْل المكيِّينَ في المُتعةِ،

---

(١) التاريخ (١٤/٣٢٦).
(٢) التاريخ (٢٨/٦٨).
(٣) الكبائر ص(٩٥).

والكوفيِّين في النبِيد، والمدنيِّين في الغناءِ، والشاميِّين في عصْمة الخُلفاء، فقد جمعَ الشرَّ. وكَذَا من أخذ في البُيوع الربوية بمن يتحيَّلُ عليهَا، وفي الطَّلاق ونِكَاح التَّحْليل بمن توسَّع فيه، وشبه ذلك فقد تعرَّض للانحلال، فنسأَلُ اللهَ العافيةَ والتوفيقَ. ولكنْ شأنُ الطالبِ أن يدرُسَ أولًا مصنفًا في الفقه، فإذا حفظَه بحثَه، وطالعَ الشروحَ، فإن كان ذكيًا، فقيهَ النفْسِ، ورأى حُجَجَ الأئمِّةِ، فليراقب اللهَ، وليحتط لدِينِه، فإنَّ خيرَ الدِّينِ الورَعُ، ومنْ تَرَكَ الشُّبهاتِ فقد اسْتبرأَ لدينِهِ وعرْضِهِ، والمعصُومُ من عصَمَهُ اللهُ.

فالمقَلَّدُونَ صحَابة رسولِ اللهِ ﷺ، بشَرْطِ ثُبُوتِ الإسْنادِ إليهِم، ثم أئمَّةُ التَّابعينَ، كعلقمةَ، ومسروقَ، وعَبيدَةَ السلمَاني، وسعيدِ بنِ المسيِّب، وأبي الشعثَاء، وسعيدِ بنِ جبيرٍ، وعبيدِ اللهِ بنِ عبد الله، وعروةَ، والقاسم، والشعبيِّ، والحسن، وابنِ سيرين، وإبراهيمَ النخعيِّ، ثم كالزهريِّ، وأبي الزنَادِ، وأيوبَ السخْتيانيِّ، وربيعةَ، وطبقتِهم.

ثمَّ كأبي حنيفةَ، ومالكِ، والأوزاعيِّ، وابن جريجٍ، ومعمرٍ، وابنِ أبي عرُوبةَ، وسُفيانَ الثَّوريِّ، والحمادينِ، وشعبةَ، والليث، وابنِ الماجشُون، وابنِ أبي ذئبٍ.

ثمَّ كابنِ المُبَارك، ومُسْلم الزنجيِّ، والقاضِي أبي يوسُف، والهقل بنِ زيادٍ، ووكيع، والوليد بنِ مسلم، وطبقتهم.

ثم كالشافعيِّ، وأبي عُبيدٍ، وأحمدَ، وإسْحاقَ، وأبي ثوْرٍ، والبويطِي، وأبي بكر بن أبي شيبةَ. ثمَّ كالمُزَنيِّ، وأبي بكْر الأثْرم، والبخاريِّ، وداودَ بنِ عليٍّ، ومحمَّدِ بنِ نصْرٍ المروزيِّ، وإبراهيم الحربيِّ، وإساعيلَ القاضيِّ.

ثم كمحمَّدِ بنِ جريرٍ الطبريِّ، وأبي بكر بنِ خُزيمةَ، وأبي عبَاس بنِ سُريجٍ، وأبي بكْر بنِ المُنْذر، وأبي جعْفر الطحاويِّ، وأبي بكْر الخَلال.

ثم مِنْ بعد هذا النمطِ تناقصَ الاجتهادُ، ووُضعَتْ المخْتصراتِ، وأخْلدَ الفُقَهاءُ إلى التَّقليدِ، مِن غيرِ نظرٍ في الأعلم؛ بلْ بحسَب الاتفاقِ، والتَّشَهيِّ، والتَّعظيمِ، والعادةِ، والبلدِ. فلو أرادَ الطالبُ اليومَ أن يتمذْهبَ في المغربِ

لأبي حنيفةَ لعَسُرَ عليهِ، كمَا لو أرادَ أن يتمذْهبَ لابنِ حنبلٍ ببُخَارى، وسمَرْقند، لصَعْبَ عليه، فلا يجيء منهُ حنبليٌّ، ولا من المغربيِّ حنفيٌّ، ولا من الهنديِّ مالكيٌّ.

وبكلِّ حالٍ فإلى فقْهِ مالكٍ المُنْتَهَى. فعامَّةُ آرائِه مسددةٌ، ولو لم يكن له إلا حسْم مادةِ الحيَلِ، ومُرَاعاة المقاصِدِ، لكفَاه.

مذهبُه قد ملأ المغربَ، والأندلسَ، وكثيرًا من بلادِ مصْر، وبعض الشَّام، واليمن، والسُّودان، وبالبصرةِ، وبغدادَ، والكوفةَ، وبعض خُراسان.

كذلك اشتهرُ المذهبُ الأوزاعيُّ مدةً، وتلاشَى أصْحابُه، وتفانَوا.

وكذلك مذهبُ سفيانَ، وغيرُه ممَّن سمَّينَا.

ولم يبقَ اليومَ إلا هذهِ المذَاهب الأرْبعة. وقلَّ مَنْ ينهضُ بمعرفتِها كَمَا ينْبَغِي، فضْلًا عن أن يكونَ مُجْتهدًا.

وانقطعَ أتباعُ أبي ثوْرٍ بعد الثلاثِ مئة، وأصحاب داود إلا القليل. وبقي مذهبُ ابن جريرٍ إلى ما بعد الأربع مئة.

وللزيديةِ مذهبٌ في الفُروعِ بالحجَاز، وباليمنِ؛ لكنَّه معدودٌ في أقوالِ أهل البِدَعِ، كالإمَاميةِ.

ولا بأس بمذْهب داودَ، وفيه أقوالٌ حسنةٌ، ومتابعةٌ للنصوصِ، مع أن جماعةً من العُلماء لا يعتدُّون بخلافِه، وله شذوذٌ في مسائلَ شانتْ مذهَبهُ.

وأمَّا القَاضِي فذكَرَ ما يدلُّ على جَوَاز تقليدِهم إجماعًا، فإنَّه سمَّي المذاهبَ الأربعةَ والسفيانيَّةَ، والأوزاعيَّةَ. ثمَّ إنَّهُ قَالَ: فهؤلاءِ الذِين وقعَ إجماعُ النَّاسِ على تقليدِهم، مع الاختلافِ في أعيانِهم، واتِّفاقُ العُلماءِ على اتِّباعِهم، والاقتداءُ بمذاهبِهم، ودرسِ كتبهِم، والتفقهِ على مآخذِهم، والتفريعِ على أصولهم، دونَ غيرِهم ممَّنْ تقدمهُم، أو عاصرَهُم، للعللِ التي ذكرنَاهَا، وصارَ النَّاسُ اليومَ في الدُّنيا إلى خمسةِ مذاهب، فالخامسُ: هو مذهبُ الداوُوديَّةِ.

فحقٌّ على طالبِ العلِمِ أن يعرِفَ أوْلاهُم بالتَّقليدِ، ليحصُلَ على مذهبِه،

وها نحن نبينُ أن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ هو ذلك لجمْعِهِ أدواتِ الإمامةِ، وكونُه أعلمَ القوْم.

ثم وجه القاضي دعْواهُ، وحسَّنها، ونَمْقَهَا، ولكن ما يعْجَزُ كلُّ واحدٍ من حنفيٍّ، وشافعيٍّ، وحنبليٍّ، وداوُوديٍّ، عن ادعاءِ مثْل ذلك لمتبُوعِهِ؛ بل ذلك لسانُ حالِه، وإن لم يفهْ بِهِ.

ثمَّ قَالَ القاضي عِياضُ: وعندنَا ولله الحمْدُ لكلِّ إمامٍ من المذكُورين مناقبٌ، تقضي له بالإمامَة.

قلتُ: ولكن هذا الإمام الذي هو النَّجمُ الهادِي قد أنْصَفَ، وقال قولًا فصْلًا، حيثُ يقُولُ: كلُّ أحدٍ يُؤْخذ من قوله ويُترك إلا صَاحب هذَا القبر ﷺ.

ولا ريبَ أنَّ كلَّ من أنِسَ من نفسِهِ فقهًا، وسَعَةَ علم، وحُسْنَ قصْدٍ، فلا يسعْهُ الالتزامَ بمذهبٍ واحدٍ في كلِّ أقوالِه؛ لأنَّه قد تبرَّهَنَ له مذهبُ الغيرِ في مسائلَ، ولاحَ له الدليلُ، وقامتْ عليه الحجَّةُ، فلا يُقلِّد فيها إمامَه؛ بلْ يعمل بما تبرَّهن، ويقلد الإمامَ الآخرَ بالبرهانِ، لا بالتَّشَهْي، والغَرَضَ.

لكنَّه لا يُفْتي العامَّةَ إلا بمذْهَبِ إمامِه، أو ليصْمُت فيمَا خفِيَ عليه دليلُه»[1].

□ «وكُلُّ إمامٍ يُؤخَذُ من قوله ويترك إلا إمامَ المتقين الصادق المصدوق الأمين المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فيَا لله العجب من عالمٍ يقلد دينَه إمامًا بعينهِ في كُلِّ ما قَالَ مع علمِه بِما يَرِدُ على مذْهبِ إمامِه منَ النصُوصِ النبْويةِ، فَلا قُوَّةَ إلا بالله»[2].

□ «عبدُ الله بنُ أحمد بن شَبُّويَه: سمعتُ سعيدَ بنَ أبي مريم، سمعت ليثَ بنَ سعدٍ يقُولُ: بلغتُ الثمانين، وما نازعتُ صاحبَ هوىً قط.

قلتُ: كانت الأهواءُ والبدعُ خاملةً في زمن الليث، ومالك، والأوزاعي. والسننُ ظاهرة عزيزة. فأما في زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق،

---

(١) السير (٨/ ٩٠ ـ ٩٤).

(٢) التذكرة (١/ ١٦).

وأبي عُبيد، فظهرت البدعةُ، وامْتُحِنَ أئمةُ الأثَرِ، ورفَعَ أهلُ الأهواءِ رؤوسَهُم بدخول الدولة معهم، فاحتاجَ العلماءُ إلى مجادلتهم بالكتاب والسنَّة، ثم كثرَ ذلك، واحتجَّ عليهم العلماءُ أيضًا بالمعقول، فطال الجدال، واشتدَّ النزاعُ، وتولَّدت الشُّبهُ. نسألُ الله العافية»[1].

◻ «قال الشيخ مُحيي الدِّين النواوي: لابن المُنْذِر من التَّحقيق في كتبه ما لا يقاربُهُ فيه أحدٌ، وهو في نهايةٍ من التَّمكُّن من معرفة الحديث، وله اختيار فلا يتقيَّدُ في الاختيار بمذهب بعَيْنِه، بل يدورُ مع ظهور الدَّليل.

قلتُ: ما يتقيَّد بمذهبٍ واحدٍ إلا مَنْ هو قاصرٌ في التمكُّن من العِلم كأكثر علماء زماننا، أَوْ مَنْ هو متعصِّب، وهذا الإمام فهو مِن حملة الحجَّة، جارٍ في مِضْمار ابن جَرير، وابنِ سُرَيج، وتلك الحلبة رحمهم الله»[2].

◻ «متى رأيتَ الصوفيَّ مُكِبًّا على الحديث فثِقْ به، ومتى رأيتَه نائيًا عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انْضاف إلى جهلِه بالحديث عكُوفُ على تُرهات الصوفيَّة، ورمُوزِ الباطنية، نسألُ الله السلامة، كما قال ابنُ المبارك:

وَهَلْ أفسَدَ الدِّينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها»[3]

◻ «ابن عُيَيْنَةَ: سمعتُ عاصمًا الأحْوَلَ، يحَدِّثُ عن أبي العَالية، قالَ: تعلَّمُوا القُرْآنَ، فإذَا تعلَّمْتُمُوهُ فَلا ترغبُوا عنه، وإيَّاكُم وهذِهِ الأهْوَاء فإنَّهَا تُوقِعُ العَداوةَ والبغْضَاءَ بينكُمْ. فإنَّا قَدْ قرأنَا القُرآنَ قبْلَ أن يُقتَلَ ـ يعني: عثمانَ ـ بخمسٍ عشْرةَ سنةً. قَالَ: فحدَّثْتُ بِهِ الحسنَ، فقَالَ: قَدْ نَصَحَكَ واللهِ، وصدقَكَ»[4].

◻ «قالَ الوليدُ بنُ مَزْيدَ: سمعتُ الأوزاعيَّ يقُولُ: إذَا أرادَ اللهُ بقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عليْهِم الجدَلَ، ومنعَهُم العَمَلَ»[5].

◻ «قال محمدُ بن مُثنَّى السِّمْسَار: قال بِشْرٌ الحافي: سمعتُ أبا خالد

---

(١) السير (٨/ ١٤٤).
(٢) السير (١٤/ ٤٩١).
(٣) السير (١٢/ ٢١٣).
(٤) السير (٤/ ٢١٠).
(٥) السير (٧/ ١٢١).

الأحمر يقول: يأتي زمَانٌ تُعطَّلُ فيه المصاحِفُ، يَطْلُبونَ الحديثَ والرأي، فإياكم وذلك، فإنه يُصَفِّقُ الوجهَ، ويَشْغَلُ القلبَ، ويُكْثِرُ الكلام»[1].

□ «محمد بن صالح بن هانئ: حدثنا أحمدُ بنُ شهاب الإسفراييني: سمعتُ أحمد بن حنبل، وسئل عمَّن نكتب في طريقنا؟ فقال: عليكم بهنَّاد، وبسفيانَ بنِ وكيع، وبمكةَ ابن أبي عُمر، وإيَّاكم أن تكتبُوا، يعني: عن أحدٍ من أصحاب الأهواء، قليلًا ولا كثيرًا. عليكُم بأصْحَاب الآثارِ والسُّننِ»[2].

□ «أبو ذَرٍّ الهَرَوِي: سمعتُ أبا طَاهِر المُخَلِّص، سمعتُ أبي: سمعتُ إبراهيم الحرْبي، وكانَ وعَدَنَا أن يُمِلَّ علينا مسألةً في الاسم والمسمَّى، وكان يجتمع في مجلسِه ثلاثون ألفَ مِحْبَرَةٍ، وكان إبراهيم مُقِلًا، وكانتْ لهُ غرفةٌ، يصعد، فَيُشْرِفُ منْهَا على النَّاس، فيها كُوَّة إلى الشَّارع، فلمَّا اجتمعَ النَّاسُ، أشرفَ عليها، فقالَ: قد كنتُ وعدْتُكم أن أُمْلِي عليكم في الاسم والمسمَّى، ثم نظرتُ فإذا لم يَتَقَدَّمْني في الكَلام فيها إمامٌ يُقتدى به، فرأيتُ الكَلامَ فيه بدعةً، فقامَ النَّاسُ، وانصرَفوا، فلمَّا كان يوم الجُمعة، أتاهُ رجلٌ، وكان إبراهيم لا يَقْعُد إلا وَحْدَه، فسألَه عن هذه المسألَةِ، فقال: ألَمْ تَحْضُرْ مَجلِسَنا بالأمسِ؟ قال: بلى. فقال: أتعرفُ العلمَ كلَّهُ؟ قالَ: لا. قال: فاجعل هذا ممَّا لم تَعْرِف»[3].

□ «وقال أبو الوليد الفقيه: سمعتُ ابنَ سُرَيج يقول: قَلَّ ما رأيتُ من المتفقِّهَة مَن اشتغلَ بالكلام فأفلح، يفوتُه الفِقهُ ولا يصل إلى معرفة الكلام»[4].

□ «وكان ابنُ الحَدَّاد يذُمُّ التَّقليد ويقول: هو من نقص العُقول، أو دناءة الهِمَم»[5].

□ «وقال الوليد بنُ مزيد: سمعتُ الأوزاعيَّ يقُول: عليكَ بآثار مَنْ سَلَفَ

---

(١) السير (٩/ ٢١).
(٢) السير (١١/ ٢٣١).
(٣) السير (١٣/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).
(٤) السير (١٤/ ٢٠٢)، التذكرة (٣/ ٨١٢).
(٥) السير (١٤/ ٢٠٦).

وإنْ رفضكَ النَّاسُ، وإيَّاكَ ورأيَ الرِّجَالِ وإن زخْرفُوه بالقوْلِ، فإنَّ الأمرَ ينْجَلِي وأنتَ على طريقٍ مستقيمٍ.

وقال عامر بنُ يساف: سمعتُ الأوزاعيَّ يقُولُ: إذا بلغَكَ عن رسُول الله ﷺ حديثٌ فإيَّاك أن تقُولَ بغيرِهِ، فإنَّه كان مُبلغًا عن الله»[1].

٦ ـ التَّصَدُرُ قَبْلَ التَأَهُلِ:

▫ «قلتُ: نعم، من بلغ رتُبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عِدة من الأئمة، لم يَسْغ له أن يُقَلِّدَ، كما أن الفقيه المُبتدئ والعامي الذي يَحفظ القرآن أو كثيرًا منه لا يَسوغُ له الاجتهاد أبدًا، فكيفَ يجتهدُ، وما الذي يقول؟ وعلامَ يبني؟ وكيف يَطيرُ ولمَّا يُرَيِّشْ؟ والقِسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقظ الفَهِم المُحدِّث، الذي قد حفظ مختصرًا في الفروع، وكتابًا في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظِه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المُقيَّد، وتأهَّلَ للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وَضح له الحقُّ في مسألة، وثَبت فيها النص، وعَمِلَ بها أحدُ الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلًا، أو كمالك، أو الثوريِّ، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمدَ، وإسحاق، فَلْيَتَّبع فيها الحق ولا يَسْلُكِ الرخصَ، ولْيَتَورَّع، ولا يَسَعُهُ فيها بعدَ قيام الحجة عليه تقليدٌ، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهاء فَلْيَتَكَتَّم بها ولا يتراءى بفعلها، فَربما أعجبته نفسُه، وأحب الظهور، فيُعَاقَب. ويَدخل عليه الداخلُ من نفسه، فكم من رجلٍ نطقَ بالحقِّ، وأمر بالمعروف، فَيُسَلِّطُ اللهُ عليه من يُؤذيه لسوء قَصده، وحُبِّه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خَفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه داءٌ سارٍ في نفوس المُنْفِقِين من الأغنياء وأربابِ الوقوف والتُّرب المُزَخْرفة، وهو داءٌ خفي يَسْري في نفوس الجند والأُمراء والمجاهدين، فتراهم يَلْتقون العدوَّ، ويصطدِمُ الجمعان وفي نفوس المجاهدين مُخبَّآتٌ وكمائِنٌ من الاختيالِ وإظهار الشجاعةِ

---

(١) التذكرة (١/ ١٨٠).

ليقال، والعَجبِ ولبس القراقل المذهَّبة، والخُوذ المزخرفة، والعُدد المُحلاة على نفوس مُتكبرةٍ، وفُرسان مُتجبِّرة، وينضاف إلى ذلك إخلالٌ بالصلاة، وظُلم للرعية، وشُرب للمسكر، فأنَّى يُنصرون؟ وكيف لا يُخذلون؟ اللَّهُم: فانصر دينَك، ووفق عبادَك. فمَن طلب العِلْمَ للعمل كسره العلمُ، وبكى عن نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامقَ، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العُجْبُ، وَمَقَتَتْه الأنفسُ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠] أي: دَسَّسَها بالفُجور والمعصية قُلِبتْ فيه السينُ ألفًا»[١].

□ «قال محمَّدُ بنُ يُوسُفَ الفِرْيابي: كنت أمشي مع ابنِ عيينة، فقال لي: يا محمَّد، ما يُزَهِّدني فيك إلا طلب الحديث؟ قلت: فأنت يا أبا محمد، أيَّ شيءٍ كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال: كنتُ إذ ذاك صبيًا لا أعقِلُ.

قلتُ: إذا كان مِثْل هذا الإمام يقولُ هذه المقالةَ من زمن التابعين، أو بَعدهم بيسير، وطلب الحديث مضبوطٌ بالاتِّفاق، والأخذ عن الأثبات الأئمة، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طَلَبَةَ الحديث في وقتنا، وما هم عليه من الهَنات والتخبيط، والأخذِ عن جهلة بني آدم، وتسميع ابن شَهْر.

أمَّا الخِيَامُ فَإنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وأَرَى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْر نِسَائِهَا»[٢]

□ «قَالَ أبُو عاصمٍ النَبِيلُ: قَال زُفر: مَنْ قَعَدَ قبْلَ وقتِه، ذلَّ»[٣].

□ «الحسن بن عبد العزيز الجروي: حدثنا عبد الله بن يوسف، عن خلف بن عمر، سمع مالكًا يقول: ما أجبتُ في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل تراني موضعًا لذلك؟ سألتُ ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك. فقلتُ: فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا يَنبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه»[٤].

---

(١) السير (١٨/ ١٩١ ـ ١٩٣).
(٢) السير (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).
(٣) السير (٨/ ٤٠)، التاريخ (٩/ ٣٩٠).
(٤) السير (٨/ ٦٢).

▫ «قال أبو نُعيم: حدثنا محمد بن علي، حدثنا المُفَضَّل الجَنَدي، سمعتُ أبا مُصْعَب سمعتُ مالكًا، يقول: ما أفتيتُ حتى شَهِدَ لي سَبعون أنِّي أهلٌ لذلك»[1].

▫ «الحاكم: حدثنا أبو علي الحافظ، سمعتُ محمد بن المسيَّب، سمعتُ زكريا بن يحيى الضرير، يقولُ: قلتُ لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يكون مُفْتِيًا؟ يكفيه مئة ألف؟ فقال: لا. إلى أن قال: فيكفيه خمس مئة ألف حديث؟ قال: أرجو»[2].

▫ «وقال عليُّ بنُ الحسين بن حِبان: وجدتُ بخط أبي: قلتُ لأبي زكريا بنِ معين: فابنُ عَرْعَرْة؟ قال: ثقة معروف مشهور بالطلب، كيِّس الكتاب، ولكنه يُفْسِدُ نفسَهُ، يَدخل في كل شيء»[3].

▫ «وللإمَامِ أبي الطَّيب الصُّعْلُوكِي ألفاظٌ بديعةٌ، منهَا: مَنْ تَصَدَّرَ قبلَ أوانِهِ، فقد تصدَّى لِهَوَانِهِ»[4].

٧ ـ سُوءُ الظَّنِّ:

▫ «قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث «البَيِّعانِ بِالخِيَارِ» فقال: يُستتابُ، فإن تابَ، وإلا ضُربت عنقُه. ثم قال أحمد: هو أورَع وأقْولُ بالحق من مالك.

قلتُ: لو كان وَرِعًا كما ينبغي، لما قال هذا الكلامَ القبيحَ في حقِّ إمام عظيم، فمالكٌ إنما لم يعمل بظاهر الحديث؛ لأنه رآه منسوخًا. وقيل: عمل به وحَمَل قوله: «حتَّى يَتَفَرَّقَا» على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالكٌ في هذا الحديث، وفي كلِّ حديث، له أجرٌ ولا بُدَّ، فإنْ أصاب، ازداد أجرًا آخر، وإنما يرى السَّيْف على من أخطأ في اجتهاده الحرورِيَّةُ. وبكل حال فكلامُ الأقران بعضُهم في بعض لا يُعوَّلُ على كثير منه، فلا نَقَصَت جلالةُ مالك بقولِ

---

(١) السير (٨/ ٩٦)، التذكرة (١/ ٢٠٨).
(٢) السير (١١/ ٢٣٢).
(٣) السير (١١/ ٤٨٠).
(٤) السير (١٧/ ٢٠٨).

ابن أبي ذئب فيه، ولا ضَعَّف العلماءُ ابن أبي ذِئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة في زمانهما ﵄ ولم يسندها الإمام أحمد، فلعلها لم تصح»[1].

٨ ـ اقْتِرافُ المَعَاصِي:

□ «أبُو عِمْران الجَوْني، عن هَرِم بن حيَّان، قال: إيَّاكم والعالمَ الفاسق. فبلَغ عُمر، فكتب إليه ـ وأشفق منها ـ: ما العالمُ الفاسق؟ فكتب: ما أردتُ إلا الخير، يكونُ إمامٌ يتكلَّمُ بالعِلْم، ويَعْملُ بالفسق، ويُشبِّه على الناس، فَيضِلُّوا»[2].

□ «سُليمان، حدثنا محمَّد بنُ محمَّد الجُذُوعي، حدثنا هُدْبة، حدثنا سَلام بن مِسْكين، سمعتُ أيوب يقول: لا خبيثَ أخبثُ من قارئٍ فاجِرٍ»[3].

□ «قال عليُّ بنُ خَشْرم: ما رأيتُ بيد وكيعٍ كتابًا قطُّ: إنما هو حِفْظٌ، فسألتُهُ عن أدويةِ الحِفْظِ؟ فقال: إنْ عَلَّمتُك الدواءَ استعملته؟ قلت: إي واللهِ. قال: تركُ المعاصي ما جَرَّبتُ مثلَه للحفظ»[4].

٩ ـ الاهتِمَامُ بالكُتُبِ دُونَ التَّلقِّي عن المشَايخ:

□ «أبو مُسْهِر قال: سمعتُ سعيدَ بنَ عبد العزيز التَّنُوخِيَّ يقُولُ: لا يُؤخذ العلم من صُحفيٍّ»[5].

□ «وفي زِمان الطَّبقةِ الثالثةِ من التَّابعين ظهر بالبصرة عَمْرو بنُ عبيد العابد، وواصل بنُ عطاء الغزال، ودعوا النَّاسَ إلى الاعتزال والقَولِ بالقدرِ. وظهرَ بخُراسانَ الجهمُ بنُ صفوان ودعا إلى تعطِيل الرَّب ﷻ وخلْق القرآن، وظهرَ بخُراسان في قِبالته مقاتل بنُ سليمان المفسِّر وبالغَ في إثبات الصفات حتى جسَّم، وقامَ على هؤلاءِ علماءُ التَّابعين وأئمَّةُ السَّلفِ وحذَّرُوا من بِدَعهم، وشَرَعَ الكُبار في تدوين السُّنن وتأليف الفُروع وتصْنيف العربية، ثم

---

(١) السير (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣). (٢) السير (٤/ ٤٩).
(٣) السير (٦/ ١٧)، معجم الشيوخ (٢/ ٣٨).
(٤) السير (٩/ ١٥١). (٥) التاريخ (١٠/ ٢١٧).

كثُر ذلك في أيَّامِ الرشيد، وكثُرت التصانيفُ وألفُوا في اللغات، وأخذ حفْظُ العلماءِ ينقصُ، ودوِّنت الكتب واتَّكلُوا عليها، وإنَّما كان قبلُ ذلك علْمُ الصَّحَابةِ والتَّابعين في الصدُور، فهي كانتْ خزائن العلمِ لهم ﷺ»[1].

□ «قال الموفَّقُ عبدُ اللطيفِ في تأليفٍ لَهُ: كانَ ابنُ الجوزيِّ كثيرَ الغَلَطِ فيمَا يُصَنِّفَه، فإنَّه كَانَ يفرغُ من الكتابِ ولا يعتبره.

قلتُ: هكذا هو له أوهامٌ وألوانٌ من تركِ المرجعةِ، وأخذه العلمِ من صحفٍ، وصنَّفَ شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا لمَا لحقَ أن يُحَرِّرَهُ ويُتْقِنَهُ»[2].

١٠ ـ الإزْدِرَاءُ بالعُلَمَاءِ:

□ «سُنَّةُ اللهِ في كُلِّ مَنِ ازْدَرَى العُلَماءَ بَقِيَ حَقِيرًا»[3].

□ «وأنبؤونا عن الكِنْدي، عن الشيبانيِّ، عن الخطيب، قال: أخبرنا أبو الحسن الحمامي، سمعت عمر بن محمد الإسكاف، سمعتُ عمِّي يقُولُ: سمعتُ ابنَ الدَّورقيَّ يقُولُ: اجتمع الكِسَائي واليَزِيدِيُّ عند الرشيد، فحضرت صلاةٌ، فقدَّموا الكِسَائيَّ يصلي فأُرْتِجَ عليه، قراءة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] فَقَالَ اليَزِيدِيُّ: قِرَاءةُ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا﴾ تُرتَجُ على قارئِ الكُوفة؟!

قال: فحضرت صلاةٌ، فقدَّمُوا اليَزِيدِيَّ، فأُرْتِجَ عليه في الحَمْدِ، فلمَّا سلَّم، قال:

احْفَظْ لِسَانَكَ لا تَقُول فَتُبْتَلَى ... إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ»[4]

١١ ـ الجِدَالُ:

□ «أخبرنا عبدُ الحافظ بنُ بَدْران، ويوسف بن غالية، قالا: أخبرنا موسى بن عبد القادر، أخبرنا سعيدُ بن البنَّاء، أخبرنا عليُّ بنُ أحمد، أخبرنا أبو طاهر المخلِّص، حدثنا يحيى بن محمد، حدثنا أحمدُ بنُ المِقدام، حدثنا

---

(١) التذكرة (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) السير (٢١/ ٣٧٨).

(٣) التاريخ (١٣/ ٢٥٦).

(٤) معرفة القراء (١/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن أبي عمران الجَوْني، قال: كتَبَ إليَّ عبدُ الله بنُ رَباح، سمعتُ عبدَ الله بنَ عمروٍ يقُولُ: هَجَّرتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فسمع أصواتَ رجلين اختلفا في آيةٍ، فخرج إلينا، ونعرفُ في وجهه الغضبَ، فقال: «**ألا إنَّمَا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلكُم باختِلافِهِمْ في الكتَابِ**».

هذَا حديثٌ صحيحٌ، وهُو دَالٌّ علَى تحْريمِ الجِدَالِ، والاختلافِ في الكتاب، مع أنَّهُ عليه الصلاة والسلام كان يُمْكِنَه أنْ يُوضِّحَ الحقَّ لهُمَا في تلكَ الآيةِ، ويُبَيِّنَ أن أحدهما مصيبٌ، ومع هذا فلم يفعل؛ بل سدَّ البابَ، ولو كان تَبْيينُ ذلك مما تمسُّ إليه الحاجةُ، لأوْضَحَهُ، فعُلم بهذا أنَّ كلَّ نصٍّ ألقَاهُ إلى أُمَّتِه، ولم يَزِدْهُم فيه تَفْسِيرًا، ولا هُمْ سألوه؛ بل ولا فسَّروه لمن بعدَهم، فإنَّ قراءتَه تفسيرُه، فلا يُزَادُ عليه، ولا يُبحثُ فيه، ولا سيما إذا كان في أسماء الله، وصفاتِه المُقَدَّسَةِ»[1].

□ «وكان الثَّوريُّ يَسْتَثْقِلُ بِشْرَ بنَ السَّرِيَّ الأَفْوَه؛ لأنَّه سألَ سُفيْانَ عن أطفالِ المشْركينَ؟ فقال: ما أنتَ وذَا يا صبي؟

قلتُ: هكذا كان السَّلفُ يَزْجُرونَ عن التَّعمُّقِ، ويُبَدِّعُونَ أهل الجِدال»[2].

□ «قالَ عبدُ الله بنُ أحمدَ: أبُو بَكْرٍ الأَعْينُ تَرَحَّمَ عليه أبي، وقالَ: إنِّي لأَغْبطُه، مَاتَ ومَا يَعِرفُ إلا الحديثَ، لمْ يَكُنْ صاحبَ كلامٍ.

قلتُ: هَكَذَا كانَ أئِمَّةُ السَّلَفِ، لا يَروْنَ الدخولَ في الكَلام، ولا الجِدالِ. بلْ يسْتفرِغُونَ وُسْعَهُم في الكتابِ والسُّنَّةِ، والتَّفقه فيهما، ويتَّبِعُونَ، ولا يَتَنَطَّعُونَ»[3].

□ «وعن مَالكٍ قالَ: الجِدَالُ في الدِّينِ يُنْشئُ المِرَاءَ، ويذهبُ بنورِ العلمِ من القلب ويُقَسِّي، ويُورِثُ الضِّغنَ»[4].

---

(١) السير (١٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٢) السير (٩/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) السير (١٢/ ١٢٠).

(٤) السير (٨/ ١٠٦).

□ «قال الربيعُ: سمعتُ الشَّافعيَّ يقُولُ: المِراءُ في الدِّينِ يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضَّغائِنَ»[(١)].

□ «الربيعُ: سمعتُ الشَّافعيَّ يقُولُ: ما ناظرتُ أحدًا على الغَلَبَةِ إلا على الحق عندي. والزعفراني عنه: ما ناظرتُ أحدًا إلا على النصيحة»[(٢)]

□ «محمَّدُ بنُ سَلام البِيكَنْديُّ: سمعتُ وكيعًا يقُولُ: مَنْ طلبَ الحديثَ كَمَا جَاءَ، فهُو صاحبُ سُنَّةٍ، ومَنْ طلبَه ليُقَوِّيَ به رأيَه، فهُو صَاحبُ بِدْعَةٍ»[(٣)].

□ «عن معروفٍ قالَ: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرًا، أغْلَقَ عنهُ بابَ العَمَلِ، وفتحَ عليه بابَ الجَدَلِ»[(٤)].

□ «وقال الوليدُ بن مَزْيدٍ: سمعتُ الأوزاعيَّ يقُولُ: إِذَا أرَادَ اللهُ بقومٍ شرًا فَتَحَ عليهِم بابَ الجَدَلِ، ومَنَعَهُم العَمَلَ»[(٥)].

□ «أبُو سَلَمَةَ بنُ عبد الرَّحمٰن كان يُناظر ابنَ عبَاسٍ ويُمَارِيه، فَحُرِمَ بذلك كثيرًا من عِلمه، قالَه الزُّهْري.

وقالتْ لهُ عائشةُ مرةً، وهو حَدَثٌ: إنَّما مثلُكَ مثل الفرُّوجِ يسمعُ الدِّيَكَةَ تَصيحُ فَيَصيحُ»[(٦)].

□ «وعن عنبسةَ الخثْعَمِيِّ: سمعتُ جعفرَ بنَ محمَّد يقُولُ: إيَّاكُم والخصُومةَ في الدِّينِ فإنَّهَا تشْغَلُ القلْبَ، وتُورِثُ النِّفَاقَ»[(٧)].

□ «سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ قَالَ: كتَبَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ ألى أهْلِ المدينةِ: مَنْ تَعَبَّدَ بغيرِ علمٍ كانَ مَا يُفْسِدُ أكثرَ ممَّا يُصْلحُ، ومَنْ عَدَّ كلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كلامُه فيما لا يُعْنيه، ومَنْ جَعَلَ علْمَه عُرْضًا للخُصُوماتِ كثُر تَنَقُّلُه»[(٨)].

---

(١) السير (١٠/ ٢٨).
(٢) السير (١٠/ ٢٩).
(٣) السير (٩/ ١٤٤).
(٤) السير (٩/ ٣٤٠)، التاريخ (١٣/ ٤٠١).
(٥) التاريخ (٩/ ٤٨٧)، التذكرة (٣/ ٩٢٤).
(٦) التاريخ (٦/ ٥٢٣).
(٧) التاريخ (٩/ ٩٢).
(٨) التذكرة (١/ ٣٤٩).

١٢ ـ البُخْلُ بالعِلْمِ:

□ «قال الجُنَابِذيُّ: كانَ المَعْمَريُّ يقُولُ: كنتُ أتوَلَّى لهم الانتخابَ، فإذا مرَّ حديثٌ غريبٌ، قصدتُ الشيخَ وحْدِي، فسألتُه عنه.

قلتُ: فَعُوقِبَ بنقيضِ قصْدِه، ولم يَنْتَفِع بتلك الغَرائب؛ بل جَرَّتْ إليه شرًا، فقبَّحَ اللهُ الشَّرَهَ»[١].

□ «محبوب بن الحَسن: سمعتُ ابنَ المُبَارك يقُولُ: مَنْ بَخِلَ بالعِلْم، ابْتُلِيَ بثلاثٍ: إمَّا مَوتٌ يُذْهِبُ علمَه، وإمَّا يَنْسَى، وإمَّا يَلْزَمُ السُّلْطَانَ، فيَذْهَبُ علمُه»[٢].

□ «أيوبُ بنُ سُويد: حدثنا يونس، قال الزهري: إيَّاكَ وغُلُولَ الكُتُبِ، قلتُ: وما غُلولُها؟ قال: حَبْسُهَ»[٣].

١٣ ـ كَثْرَةُ المِزَاحِ:

□ «وقال محمدُ بن النعمان بن عبد السلام: لم أرَ أعبدَ من يحيى بن حماد، وأظنّه لم يضحك.

قلتُ: الضحكُ اليسيرُ والتبسُّمُ أفضلُ، وعدمُ ذلك من مشايخ العلم على قسمين:

أحدهما: يكونُ فاضِلًا لمن تركَهُ أدبًا وخوفًا من الله، وحُزْنًا على نفسه المسكينة.

والثاني: مذمومٌ لمن فعله حمقًا وكِبْرًا وتصنُّعًا، كما أنَّ مَنْ أكثرَ الضحكَ استُخِفَّ به، ولا ريبَ أن الضحكَ في الشبابِ أخفُّ منه وأعذرُ منه في الشيوخ.

وأما التبسُّمُ وطلاقةُ الوجه فأرفعُ من ذلك كلِّه، قال النبيُّ ﷺ: **«تبسُّمكَ في وجه أخيك صَدَقَةٌ»**.

---

(١) السير (١٣/٥١٢).

(٢) السير (٨/٣٩٨)، التاريخ (١٢/٢٢٨). (٣) السير (٥/٣٤٥).

وقال جريرٌ: ما رآني رسولُ الله ﷺ إلا تبسَّمَ.

▫ «فهذا خلقُ الإسلام، فأعلى المقامات من كان بَكَّاءً بالليل، بَسَّامًا بالنهار. وقال عليه السلام: **«لَنْ تَسعُوا النَّاس بأمْوَالِكُم، فَلْيَسَعْهُم مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ»**.

بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكًا بسَّامًا أن يُقصِّر من ذلك، ويلومَ نفسَه حتى لا تمجَّهُ الأنْفسُ، وينبغي لمن كان عبوسًا منقبضًا أن يتبسَّمَ، ويُحسِّن خلقَه، ويمقتَ نفسَه على رداءة خُلُقِه، وكلُّ انحرافٍ عن الاعتدال فَمَذْمُومٌ، ولا بدَّ للنفسِ من مجاهدةٍ وتأديب»[1].

▫ «وعن فُضيلٍ، ورَأى قومًا مِنْ أصْحَابِ الحديثِ يمرَحُون ويضْحَكُون، فنادَاهم: مَهْلًا يا ورثَةَ الأنبياءِ، مَهْلًا ثلاثًا، إنَّكُم أئمةٌ يُقْتَدَى بِكُم»[2].

١٤ ـ التَّقَعُّرُ في الكَلامِ:

قال المُبرد: قال رجلٌ لهشام الفُوَطي: كم تَعدَّ من السنين؟ قال: من واحدٍ إلى أكثَرَ من ألف. قال: لم أُرِدْ هذا، كم لَكَ من السِّن؟ قال: اثنان وثلاثون سِنًّا. قال: كم لك من السِّنين؟ قال: ما هي لي، كُلُّهَا لله. قال: فمَا سِنُّك؟ قال: عظم. قال: فابنُ كم أنتَ؟ قال ابنُ أُمٍّ وأَبٍ. قال: فكم أتى عليكَ؟ قال: لو أتى عليَّ شيءٌ لقتلني، قال: ويحك، فكيف أقُولُ؟ قال: قل كم مضى من عُمُرك.

قلتُ: هذا غايةُ ما عند هؤلاء المُتقعِّرين من العلمِ، عباراتٌ وشقاشِقُ لا يعبأُ اللهُ بها، يُحَرِّفُون بها الكَلِمَ عن مواضعه قديمًا وحديثًا، فنعوذُ بالله من الكلامِ وأهلِهِ»[3].

١٥ ـ الغُلُو في العُلَمَاءِ:

▫ «وعن رجل قال: عندنا بخراسان يظنُّون أن أحمد لا يُشبه البشر، يظنُّون أنه من الملائكة. وقال آخر: نظرةٌ عندنا من أحمد تعدِلُ عِبادة سنة.

---

(١) السير (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤١).
(٢) السير (٨/ ٤٣٥).
(٣) السير (١٠/ ٥٤٧).

قلتُ: هذا غلوٌ لا ينبغي، لكن الباعث له حبُّ ولي الله في الله»[1].

▫ «قال أبو طاهر السِّلَفِي: سمعتُ أبا العلاء محمَّدَ بنَ عبد الجبار الفِرْسَانيَّ يقُولُ: حضرتُ مجلسَ أبي بكر بن أبي علي الذَّكْواني المُعَدَّل في صِغَري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسانٌ: مَنْ أراد أن يحضُر مجلسَ أبي نُعيم، فليَقُم. وكان أبو نُعيم في ذلك الوقت مهجورًا بسبب المَذْهب، وكان بين الأشعريَّةِ والحنابِلة تعصُّبٌ زائدٌ يُؤَدِّي إلى فتنة، وقِيلٍ وقالٍ، وصُداعٍ طويلٍ، فقام إليه أصحابُ الحديث بسكاكين الأَقْلام، وكاد الرجلُ يُقتل.

قلتُ: ما هؤلاء بأصحابِ الحديث، بل فَجَرةٌ جَهَلَةٌ، أبعد اللهُ شَرَّهُم»[2].

▫ «تُوفيَّ إمامُ الحرمينِ في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثمانٍ وسبعين وأربعِ مئة، ودُفِنَ في داره، ثمَّ نُقِلَ بعد سنين إلى مَقبرة الحسين، فدُفن بجنب والِده، وكسروا مِنبره، وغُلِّقَتِ الأسواق، ورُثي بقصائد، وكان له نحوٌ من أربع مئة تلميذ، كسَروا مَحَابِرَهُم وأقلامهم، وأقاموا حَوْلًا، ووُضعتِ المناديل عن الرؤوس عامًا، بحيث ما اجْترأَ أحدٌ على سَترِ رأسِه، وكانتِ الطَّلَبَةُ يطوفون في البلدِ نائحينَ عليه، مُبالغين في الصيَّاح والجَزعِ.

قلتُ: هذا كان من زيِّ الأعاجم لا من فعل العُلماء المُتَّبعين»[3].

١٦ ـ ذَمُّ النِسْيانِ بَعْدَ الحِفْظِ:

▫ «الحافظُ أحمدُ بنُ محمَّد بن ماما: سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بن محمَّد الكَلاباَذِيَّ يقُولُ: كنتُ أعرفُ حليةَ الصحابةِ وصِفَتَهم، كأنِّي أنظرُ إليهم، فلما اشتغلتُ بالكتابة للسُّلطان، ذهبَ ذلك عنِّي»[4].

---

(١) السير (١١/٢١١).
(٢) السير (١٧/٤٥٩ ـ ٤٦٠).
(٣) السير (١٨/٤٧٦)، التاريخ (٣٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩).
(٤) السير (١٧/٩٦).

١٧ ـ التَّحْذِيرُ مِنْ تُرَّهَاتِ الصُّوفيةِ وغيرِهِم مِنْ أَهْلِ البِدَعِ:

□ «وقيل: إن ابنَ عَطَاء فقدَ عقلَه ثمانيةَ عَشَرَ عامًا، ثمَّ ثَابَ إليه عقلُه.

ثبَّتَ اللهُ علينا عقولَنا وإيمانَنا، فَمَنْ تَسَبَّبَ في زوالِ عقلِهِ بجُوعٍ، ورياضةٍ صَعْبَةٍ، وخَلْوةٍ، فَقَدْ عَصَى وأَثِمَ، وضاهَى مَنْ أزالَ عقلَه بعضَ يومٍ بسُكرٍ. فما أحسنَ التَّقيُّد بمتابعةِ السُّنَنِ والعِلْمِ»[١].

□ «قال إبراهيمُ بنُ أحمد الطَّبَري: سَمِعْتُ الخُلْدي يقول: مضيتُ إلى عَبَّاس الدُّوري، وأنا حَدَثٌ، فكتبتُ عنه مجلسًا، وخَرَجْتُ، فلقيني صُوفيٌّ، فقال: أَيشٍ هذا؟ فأريتُه، فقال: ويحك، تَدَعُ عِلْمَ الخِرَق، وتأخذُ علْمَ الوَرَق! ثم خرَّق الأوراق، فدخل كلامُه في قلبي، فلم أَعدْ إلى عبَّاس، ووقفتُ بعرَفَة ستًا وخمسين وقفة.

قلتُ: ما ذا إلَّا صوفيٌّ جاهلٌ يمزِّقُ الأحاديثَ النَّبوية، ويحضُّ على أمرٍ مجهول، فما أحوجَه إلى العِلْم»[٢].

□ «قال ابن باكويه: نظر أبو عبد الله بنُ خفيف يومًا إلى ابن مكتوم وجماعة يكتبون شيئًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: نكتُبُ كَذَا وَكَذَا، قال: اشتغلوا بتعلُّم شيء، ولا يغرنَّكم كلامُ الصُّوفيَّة، فإني كنتُ أخبئ مِحْبرتي في جيب مَرقعي، والورق في حجزَةِ سَراويلي، وأذهب في الخِفْيَةِ إلى أهل العلم، فإذا علموا بي خاصَمُوني، وقالوا: لا يفلح، ثمَّ احتاجوا إليَّ.

قلتُ: قد كان هذا الشيخ قد جمعَ بين العلمِ والعَمَلِ، وعُلوِّ السَّنَد، والتمسُّكِ بالسُّنن، ومُتِّعَ بطول العُمر في الطاعة. يقال: إنَّه عاش مئة سنةٍ وأربعَ سنين»[٣].

□ «القُشَيري: سمعتُ السُّلَمي يقولُ: خرجتُ إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصُّعْلُوكي، وكان له قبلَ خُروجي أيام الجُمع بالغَدَوات مجلسُ دوْر

---

(١) السير (١٤/ ٢٥٦). (٢) السير (١٥/ ٥٥٩).
(٣) السير (١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، التاريخ (٢٦/ ٥١٠).

القرآن بختم، فوجدتُه عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقدَ لابن العُقابي في ذلك الوقت مجلسَ القول فداخلني من ذلك شيء، وكنتُ أقُول في نفسي: استبدلَ مجلس الختم بمجلس القول ـ يعني: الغناء ـ فقال لي يومًا: يا أبا عبد الرحمٰن: أيشٍ يقولُ النَّاسُ لي؟ قلت: يقولون: رفَعَ مجلسَ القرآن، ووضعَ مجلسَ القول. فقال: مَنْ قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يُفْلِحُ أبَدًا.

قلتُ: يَنبغي للمُريد أن لا يقولَ لأستاذه: لِمَ، إذا علمه مَعْصُومًا لا يُجوز عليه الخطأ! أما إذا كان الشيخُ غيرَ معصومٍ وكره قولَ: لِمَ؟ فإنَّه لا يفلح أبدًا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] بلى هنا مُريدون أثقالٌ أنكاد، يعترِضُون ولا يقتدون، ويقولُون ولا يعملُون، فهؤلاء لا يُفْلحون»[١].

□ «قال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعتُ يحيى بنَ عمَّار يقُولُ: العلومُ خمسةٌ؛ علمٌ هو حياةُ الدِّين وهو علمُ التوحيد، وعلمٌ هو قوتُ الدِّين وهو العِظَةُ والذِّكْرُ، وعلمٌ هو دواءُ الدِّين وهو الفقهُ، وعلمٌ هو داءُ الدِّين وهو أخبارُ ما وقع بين السَّلَف، وعلمٌ هو هلاكُ الدِّين وهو الكلامُ.

قلتُ: وعلمُ الأوائلِ»[٢].

□ «كان يونسُ بنُ يوسف الزَّاهدُ ذا كشفٍ وحالٍ، ولم يكن عنده كبيرُ علم وله شَطحٌ، وشعرٌ ملحون ينظمه على لسان الربوبية، وبعضه كأنه كذب، والله أعلم بسره، فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال ولا بإخبار عن مُغَيَّبٍ، فابن صائد وإخوانه الكهنة لهم خوارق والرُّهبْان فيهم من قد تمزق جوعًا وخلوةً ومراقبةً على غير أساس ولا توحيد، فَصَفَتْ كُدُورات أنفسهم وكاشفوا وفَشروا، ولا قُدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية المنُوطة بالعِلْمِ والسُّنَنِ، فنسأل الله إيمان المتقين، وتألُّه المُخلصين، فكثير من المشايخ نتوقَّفُ في أمرهم حتى يتبرهن لنا أمرُهم، وبالله الاستعانة»[٣].

---

(١) السير (١٧/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٢) السير (١٧/ ٤٨٢)، التاريخ (٢٩/ ٩٩).

(٣) السير (٢٢/ ١٧٩).

▫ «قال مَرْدِويه: سمعتُ الفُضيلَ يقُولُ: إِذَا علِمَ اللهُ من رجلٍ أنّه مبغضٌ لصاحبَ بدعةٍ رجوتُ أن يغفرَ اللهُ له وإن قلَّ عمله.

مَن جلسَ مع مُبتدعٍ لم يُعط الحكمة»[1].

▫ «قرأتُ على ابنِ الخلَّالِ، أنا ابن اللَّتِي، أنا أبو الوَقْت، أنا شيخُ الإسلام عبدُ الرَّحمٰن بنَيْسَابُور: سمعتُ الحسين الدَّقيقيّ يقولُ: سمعتُ سَهْلَ بنَ عبد الله يقولُ: مَنْ أَرَادَ الدُّنيا والآخِرَةَ فلْيَكْتُبْ الحديثَ، فإنَّ فيه منفعةُ الدُّنيا والآخرة.

قلتُ: هكذا كان مشَايخُ الصُّوفية في حِرْصِهم على الحديث والسُّنَّة، لا كَمَشَايخ عصرنا الجَهَلَة البَطَلَة الأَكَلَة الكَسَلَة»[2].

▫ «مَن أمْعَنَ النظرَ في فصُوص الحكم، أو أنعم التأمُّل لاحَ له العجَب؛ فإنَّ الذكي إذا تأمَّلَ من ذلك الأقوالَ والنظائرَ والأشباهَ فهُو أحدُ رجُلَين: إمَّا مِن الاتحاديةِ في البَاطِنِ، وإمَّا مِن المُؤمنين بالله الذين يعدُّون أنَّ هذه النحْلةَ مِنْ أكفَرِ الكُفْرِ. نسألُ اللهَ العفْوَ، وأن يكتبَ الإيمانَ في قُلوبنَا، وأنْ يُثَبِّتَنا بالقَوْل الثَّابتِ في الحياةِ الدُّنيَا وفي الآخرةِ. فوالله لأنْ يعيشَ المسلمُ جاهلًا خَلْفَ البقَرِ لا يعْرفُ مِنَ العِلْمِ شيئًا سِوى سُورٍ من القُرآن يصلي بها الصلوات ويؤمنُ بالله واليوم الآخر، خيرٌ له بكثيرٍ مِنْ هذَا العِرفان وهذهِ الحقائق، ولو قَرَأَ مائةَ كتابٍ أو عملَ مائةَ خلْوة»[3].

١٨ ـ ذَمُّ عِلْمِ الكَلامِ:

▫ «وقال محمَّدُ بنُ إسحاق النديم: كان عيسى أَوْحد زمانِهِ في علم المنطق والعلوم القديمة، له مؤلفٌ في اللغة الفارسيّة.

قلتُ: لقد شانَتْهُ هذه العلوم وما زانَتْه، ولعلَّهُ رُحم بالحديث إن شاءَ الله»[4].

---

(١) التاريخ (١٢/ ٣٤٣).

(٢) السير (٢١/ ١٨٧).

(٣) الميزان (٣/ ٦٦٠).

(٤) السير (١٦/ ٥٥٠).

□ «قال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعتُ يحيى بنَ عمَّار يقُولُ: العلومُ خمسةٌ؛ علمٌ هو حياةُ الدِّين وهو علمُ التوحيد، وعلمٌ هو قوتُ الدِّين وهو العِظَةُ والذِّكْرُ، وعلمٌ هو دواءُ الدِّين وهو الفقهُ، وعلمٌ هو داءُ الدِّين وهو أخبارُ ما وقع بين السَّلَف، وعلمٌ هو هلاكُ الدِّين وهو كلامُ. قلتُ: وعلمُ الأوائلِ»[1].

□ «وكان أبو علي الكَرْخِيُّ رأسُ المعتزلة يَدْري المنطقَ جيدًا، وما تَنْفَعُ الآدابُ والبَحْثُ والذَّكاءُ، وصاحِبُها هاوٍ بها في جَهَنَّم»[2].

□ «نَعُوذُ باللهِ مِنْ علمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ»[3].

□ «قال أبُو أُسَامة: سمعتُ سُفيانَ يقُولُ: ليسَ طلبُ الحديثِ مِنْ عدَّة الموتِ، لكنَّه علةٌ يتشاغل به.

قلتُ: طلب الحديث قدر زائد على طلب العِلم، وهو لقبٌ لأمورٍ عُرْفيَّةٍ قليلة المدخل في العلم، فإذا كان فنون عديدة من علم الآثار النَّبَوية بهذه المثابة، فما ظنُّك بطلب علم الجَدَلِ والعقليَّات والمنطِق اليوناني؟ آهٍ، واحسرتاه على قِلَّةِ مَنْ يعرف دين الإسلام كما ينبغي، وما أحلَّ في القليل المتعيِّن، إذا كان مثل سُفيان يَودُّ أن ينجو من علمه كَفَافًا، فما نقول نحن؟ وَاغَوْثَاه بالله»[4].

□ «فمَا ظنُّك بعلمِ المنطقِ والجَدَلِ وحكمةِ الأوائل التِّي تسلب الإيمانَ، وتُورث الشكوكَ والحيرةَ التِّي لم تكنْ ـ واللهِ ـ من علم الصَّحابةِ، ولا التَّابعينَ، ولا من علم الأوزَاعيِّ، والثوريِّ، ومالكٍ، وأبي حنيفةَ، وابن أبي ذئبٍ، وشعبةَ، ولا ـ والله ـ عرفهَا ابنُ المبارك، ولا أبُو يوسُف القائلُ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكَلام تَزَنْدَقَ، ولا وكيعٌ، ولا ابنُ مهديٍّ، ولا ابنُ وهبٍ، ولا

---

(١) السير (١٧/ ٤٨٢)، التاريخ (٢٩/ ٩٩).
(٢) السير (١٨/ ٤٩٠).
(٣) التاريخ (٢/ ١١ ـ ١٢).
(٤) التاريخ (١٠/ ٢٣٣).

الشافعيُّ، ولا عفَّانُ، ولا أبُو عبيدٍ، ولا ابنُ المدينيِّ، وأحمدُ، وأبُو ثورٍ، والمُزَنيُّ، والبخاريُّ، والأثرمُ، ومسلمٌ، والسنائيُّ، وابنُ خزيمةَ، وابنُ سريجٍ، وابنُ المنذرِ، وأمثالُهم؛ بلْ كانت علومُهُم القُرآنَ والحدِيثَ والفقْهَ والنحْوَ وشبَه ذلك»[1].

▫ «قال أبُو الحسن عليُّ بنُ مهديٍّ الفقيه: ثنا محمد بن هارون، ثنا هُمَيْم بن هَمَّام، ثنا حَرْمَلةُ: سمعتُ الشَّافعيَّ يقُولُ: ما جهل النَّاس، وما اختلفوا إلا لتركهم كلامَ العرب، أو قال: لسانَ العرب، ومَيْلهم على أرِسطاطاليس»[2].

▫ «وقال أبو الوليد الفقيه: سمعتُ ابنَ سُرَيج يقول: قَلَّ ما رأيتُ من المتفقِّهَة مَن اشتغلَ بالكلام فأفلح، يفوتُه الفِقهُ ولا يصل إلى معرفة الكلام»[3].

▫ «قال عليٌ ﷺ: حَدِّثوا الناسَ بما يَعرفون، ودعوا ما يُنكرون. وقد صَحَّ أنَّ أبا هُريرة كَتَمَ حديثًا كثيرًا مما لا يحتاجُه المُسلمُ في دينه وكان يقول لو بَثَثْتُه فيكم لقُطِعَ هذا البُلعوم وليس هذا مِن باب كتمان العِلم في شَيءٍ، فإنَّ العلم الواجب يَجب بثُّه ونَشْرُه ويجب على الأُمَّة حِفْظُه، والعِلمُ الذي في فَضائل الأعمال مما يَصحُّ إسنادُه يَتعيَّن نقلُه ويتأكَّد نشرُه، وينبغي للأُمَّة نقلُه، والعلمُ المباحُ لا يَجبُ بثُّه ولا يَنبغي أن يَدخُل فيه إلا خواصُّ العُلماء. والعلمُ الذي يحرم تعلُّمه ونَشره علمُ الأوائِل وإلهيَّات الفَلاسِفة وبعضُ رياضتهم بل أكثرُه، وعلمُ السِّحر، والسِّيمياء، والكيمياء، والشَّعْبَذة، والحِيل، ونشرُ الأحاديث الموضوعةِ، وكثيرٌ من القِصص الباطِلةِ أو المُنكرة، وسيرةُ البَطَّال المختلقة، وأمثالُ ذلك، ورسائلُ إخوان الصَّفا، وشِعرٌ يُعرَضُ فيه إلى الجَناب النبوي، فالعلومُ الباطِلةُ كثيرةٌ جدًا فَلْتُحْذَر، ومن ابتُلي بالنظرِ

---

(١) التذكرة (١/ ٢٠٥).
(٢) التاريخ (١٤/ ٣٣٩).
(٣) السير (١٤/ ٢٠٢)، التذكرة (٣/ ٨١٢).

فِيها للفُرجةِ والمَعرفة من الأذكياء، فليُقلِّلْ مِن ذلك، وليُطالِعْه وحدَه، وليَستغفرِ اللهَ تعالى، وليَلتَجئ إلى التَّوحيد، والدُّعاءِ بالعافِية في الدِّين، وكَذلكَ أحاديثٌ كثيرةٌ مكذوبةٌ وردَت في الصِّفاتِ لا يَحِلُّ بثُّها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامُها فحسن. اللَّهُم فاحفظ علينا إيمانَنَا، ولا قُوَّة إلا بالله»(١).

□ «فَهَؤُلاءِ المُسْلِمُونَ فِي هذه الطَّبقةِ الثامِنَةِ هُم ثقاتُ الحُفَّاظِ، ولعلَّ قد أهملنَا منْ نُظَرائِهم، فإنَّ المجلِسَ الوَاحِدَ في هذَا الوقتِ كان يجْتمعُ فيه أزيدَ من عشرة آلافِ محْبرةٍ، يكتبُونَ الآثارَ النَّبَوِيَّةَ، ويَعْتَنُونَ بِهذَا الشَّأْنِ، وبينهُم نحو منْ مائتَي إمامٍ قد بَرَزُوا وتأهْلُوا للفُتيا، فلقدْ تفَانى أصْحابُ الحديثِ وتَلاشَوا، وتَبدَّلَ النَّاسُ بِطْلبةٍ يَهْزَأُ بِهِم أعْداءُ الحديثِ والسُّنَّةِ، ويسْخَرُون منهُم، وصَارَ عُلَماءُ العصْرِ في الغالبِ عَاكِفِينَ على التَّقْليدِ في الفُرُوعِ، مِنْ غَيْرِ تَحْريرٍ لها، ومُكِبِّينَ عَلى عقْلياتٍ مِنْ حكْمَةِ الأوائِلِ، وآراءِ المُتَكَلِمِينَ، من غَيْرِ أنْ يَتعَقَلُوا أكْثَرها، فعَمَّ البلاءُ، واسْتَحْكَمَتُ الأهْواءُ، ولاحتْ مَبادئُ رفْعِ العلْمِ وقبْضِهِ منَ النَّاسِ، فَرحِمَ اللهُ امرَأً أقْبَلَ عَلَى شأْنِهِ، وقَصَرَ مِنْ لِسَانِه، وأقْبَلَ عَلَى تِلاوةِ قرآنِه، وبَكَى عَلى زَمَانِه، وأَدْمَنَ النَّظَرَ في الصَّحْيحِين، وعَبَدَ اللهَ قَبْلَ أنْ يَبْغَتَهُ الأَجَلُ. اللَّهُم فَوَفقْ وارْحَمْ»(٢).

١٩ ـ عَدَمُ مُرَاجَعَةِ المصُنِّف لمُصَنَّفَاتِهِ قَبْلَ إِخْرَاجِهَا:

□ «قال الموفَّقُ عبدُ اللطيفِ في تأليفٍ لَهُ: كانَ ابنُ الجوزيِّ كثيرَ الغَلَطِ فيمَا يُصَنِّفَه، فإنَّه كَانَ يفرغُ من الكتابِ ولا يعتبره.

قلتُ: هكذا هو له أوهامٌ وألوانٌ من تركِ المرجعةِ، وأخذِ العلمِ من صحفٍ، وصنَّفَ شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا لمَا لحقَ أن يُحَرِّرَهُ ويُتْقِنَهُ»(٣).

---

(١) السير (١٠/٦٠٣ ـ ٦٠٤).
(٢) التذكرة (٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠).
(٣) السير (٢١/٣٧٨).

□ «قَالَ أبُو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبد الغنِّي ابن نُقْطَةَ: قيل لأبي محمد بن الأخضر: ألا تجيب ابن الجوزيَّ عن بعض أوهامه؟ قال: إنَّما يُتتبَّعُ على من قَلَّ غلطُه، فأمَّا هذا فأوهامه كثيرة، أو نحو هذا.

قلتُ: وذلك لأنه كان كثير التأليف في كُلِّ فنٍ، فيصنِفُ الشيء ويُلقيه، ويتَّكِلُ على حِفْظِه»[1].

٢٠ ـ مِنْ أَسْبَابِ ضَيَاعِ العَالِمِ:

□ «وعن الشافعيِّ قالَ: ضَيَاعُ الجَاهِلِ قِلَّةُ عَقْلِهِ، وضَيَاعُ العِالِمِ أنْ يَكُونَ بِلا إِخْوان، وأَضْيَعُ منهُما مَنْ واخَى مَن لا عَقْلَ له»[2].

٢١ ـ الاشْتِغَالُ بِمَا لا يَنْفَعُ:

□ «قال سعيدُ بنُ أبي حاتم: قالَ أبُو الحارث الأَوْلاسيُّ: مَن اشتغل بما لم يكن فكأنْ فَاتَه من لم يزل ولاّ يزال»[3].

٢٢ ـ ذَمُّ الجَهْلِ وأَهْلِه:

□ «قال السُّلَمِي: جدِّي إسماعيلُ بنُ نجيدٍ السُّلَمِي له طريقةٌ ينفرد بها من صَوْن الحالِ وتلبيسه، وسمعته يقول: كلُّ حالٍ لا يكونُ عن نتيجة علمٍ فإنَّ ضَرَرَه على صاحبه أكبر من نَفْعِه»[4].

□ «أخبرنا أحمدُ بنُ عبد الكريم الواسطيُّ، أنا نَصْرُ بنُ جزءٍ، أنا أحمدُ بنُ محمَّد الحافظُ، أنا إسماعيلُ بنُ عبد الجبَّار بقزْوين، أنا أبُو الفرج محمَّدُ بنُ الحسنِ الطيبيُّ، أنا محمَّدُ بنُ إسحَاقَ الكيسانيُّ، نا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ نصْرٍ الطُوسيُّ، أنا الزُبيرُ بنُ بكَّارٍ، سمعتُ النضْرُ بنُ شميلٍ، سمعتُ الخليلَ بنَ أحمدَ النحْويَّ يقُولُ: الرِّجالُ أربعةٌ: فرجلٌ يدري ولا يدري أنَّه يدري فذلك غافلٌ فنبهوُهُ، ورجلٌ لا يدري ويدري أنَّه لا يدري فذاكَ جاهلٌ

---

(١) التاريخ (٤٢/٣٠٢).
(٢) التاريخ (١٤/٣٢٦).
(٣) التاريخ (٢٠/٥٠٢).
(٤) التاريخ (٢٦/٣٣٦).

فعلِّمُوه، ورجلٌ يدري ويدري أنه يدري فذاكَ عالمٌ فاتَّبعُوه، ورجلٌ لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري فذاك مائقٌ فاحْذَرُوه»[١].

□ «وصحح الحاكم ـ والعهدة عليه ـ من حديث بُريدةَ، عن النبي ﷺ قال: **«قاضٍ في الجنَّةِ وقاضيانِ في النَّار، قاضٍ عرفَ الحقَّ فقضَى به فهو في الجَنَّةِ، وقاضٍ عرف الحقَّ فجارَ معتمِّدًا فهو في النَّار، وقاضٍ قضَى بغير علم فهو في النَّار»**.

قلتُ: فكل من قضى بغير علمٍ ولا بيّنةٍ من الله ورسوله على ما يقضي به فهو داخل في هذا الوعيد... ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان؛ لا سيما من الخصم. وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصدٍ، وأخلاق زعرة، وقلة ورع، فقد تمت خسارته ووجب عليه أن يعزل نفسه، ويبادر بالخلاص من النار»[٢].

□ «وإنِّما الذَّمُّ والمقتُ لأحدِ رجُلينِ: رجل أفْتَى في مسألةٍ بالهوَى ولم يُبْد حجةً، ورجل تكلَّمَ في مسألةٍ بلا خمِيرة منْ علمٍ ولا تَوسَّعَ في نقلٍ، فنعُوذُ باللهِ من الهوَى والجَهْلِ»[٣].

٢٣ ـ عَدَمُ التَّخَصُّصُ في عِلْم بِعَينِه:

□ «ومع تبحُّرِ ابنِ الجوزيِّ في العُلُوم، وكثرة اطِّلاعه، وسعَة دائرته، لم يكن مبرِّزًا في علمٍ من العُلُومِ، وذلك شأن كلٍّ من فرَّقَ نفسَه في بُحورِ العِلْمِ»[٤].

٢٤ ـ قِرَاءَةُ أكثَرَ مِنْ وَاحِدٍ عَلَى شَيْخٍ في آنٍ وَاحِدٍ:

□ «وذكر القاضي ابن خَلِّكَان في تاريخه العلامة أبا الحسن عَلَم الدِّين السَّخَاويَّ المقرئ وقال: رأيته مِرارًا ركب بهيمة إلى الجبل، وحوله اثنان أو ثلاثة يقرأون عليه في أماكن مختلفة دفعةً واحدة، وهو يردُّ على الجميع.

---

(١) التذكرة (٣/ ٧٨٨).
(٢) الكبائر ص(١٢٢ ـ ١٢٤).
(٣) ذيل التاريخ ص(٣٢٨).
(٤) التاريخ (٤٢/ ٣٠٠).

قلتُ: وفي نفسي شيءٌ من صحّة الرواية علة هذا النَّعْت لأنه لا يُتَصَّور أن يسمع مجموع الكلمات، فما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه. وأيضًا فإنَّ مثل هذا الفِعل خلاف السُّنَّة، ولا أعلم أحدًا من شيوخ المقرئين كان يترخَّص في هذا إلا الشيخ عَلَم الدين»[1].

□ «ما أعلم أحدًا من المقرئين ترخَّص في إقراء اثنين فصاعدًا إلا الشيخ عَلَمَ الدِّين، وفي النفس من صحة تحمل الرواية على هذا الفعل شيء، فإن الله تعالى ما جعل لرجل من قلبين في جوفه.

ولا ريب في أن ذلك أيضًا خلاف السنَّة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وإذا كان هذا يقرأ في سورة، وهذا في سورة، وهذا في سورة، في آنٍ واحدٍ، ففيه مفاسد:

أحدها: زوال بهجة القرآن عند السامعين.

وثانيها: أن كل واحد يُشوش على الآخر، مع كونه مأمورًا بالإنصات.

وثالثها: أن القارئ منهم لا يجوز له أن يقول: قرأت القرآن كله على الشيخ وهو يسمع، ويعي ما أتلوه عليه، كما لا يسوغ للشيخ أن يقول لكل فرد منهم: قرأ علي فلان القرآن جميعه، وأنا أسمع قراءته، وما هذا في قوة البشر؛ بل هذا مقام الربوبية، قالت عائشة رضي الله عنها: «سُبْحان مَنْ وَسِعَ سمعُهُ الأصوات».

وإنما يصحح التحمل إجازة الشيخ للتلميذ، ولكن تصير الرواية بالقراءة إجازة، لا سماعًا من كل وجه»[2].

٢٥ ـ الكَذِبُ:

□ «إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قالَ: سمعتُ أبا بكر الصديق يقُولُ: إيَّاكُم والكَذب، فإنَّ الكَذب مجانبٌ للإيمان.

---

(١) التاريخ (٤٧/ ١٩٤).

(٢) معرفة القراء (١/ ٦٣٣).

قلتُ: صدقَ الصِّديقُ، فإنَّ الكذبَ أسُّ النفَاقِ، والمؤمنُ يُطبع على المعاصِي والذنوبِ الشَّهوانية لا على الخيانةِ والكذبِ، فمَا الظنُّ بالكذبِ على الصَّادق الأمينِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه وهو القائلُ: «إنَّ كذبًا عليَّ ليسَ كَكَذِبٍ على غيرِي، مَنْ يكذبَ عليَّ بُنيَ لهُ بيتٌ في النَّار»، وقال: «مَنْ يَقُل عليَّ مَا لمْ أقلْ...» الحديث.

فهذَا وعيدٌ لمن نَقَلَ عن نبيِّه مَا لمْ يقلْه مع غلبةِ الظَّنِّ أنَّهُ مَا قاله، فكيفَ حالُ من تهجَّمَ على رسُولِ اللهِ ﷺ، وتعمَّدَ الكذِبَ، وقوله ما لم يقُلْ؟ وقَدْ قال عليه السلام: **«مَنْ روَى عنِّي حديثًا يَرى أنَّه كذبٌ فهُو أحدُ الكاذِبِين»**.

فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُونَ، ما ذِي إلا بليةٌ عظِيمةٌ، وخطرٌ شديدٌ ممَّن يروِي الأباطِيلَ.

والأحادِيثَ الساقطة المُتَّهَمُ نَقَلْتُهَا بالكَذِبِ، فحقٌّ على المُحَدِّثِ أن يتورَّعَ في مَا يُؤَدِّيه، وأنْ يسْأَلَ أهْلَ المعرِفةِ والورَعِ ليُعِينُوهُ عَلى إيضَاحِ مرويَّاتِه»[1].

٢٦ ـ التَّحْذِيرُ مِنْ زَلَّاتِ العُلَمَاءِ:

▫ «وقال خَالدُ بنُ الحَارثِ: قالَ سُليمَانُ التيميُّ: لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عالمٍ، أوْ زَلَّةِ كُلِّ عالمٍ اجتمَعَ فيكَ الشرُّ كلُّه»[2].

▫ «أبُو سعدٍ السَّمَان شيخُ الاعتزالِ، ومثْلُ هذَا عبرةٌ؛ فإنَّهُ معَ بَرَاعتِهِ في علُومِ الدِّينِ مَا تَخَلَّصَ بذلكَ من البدْعَةِ»[3].

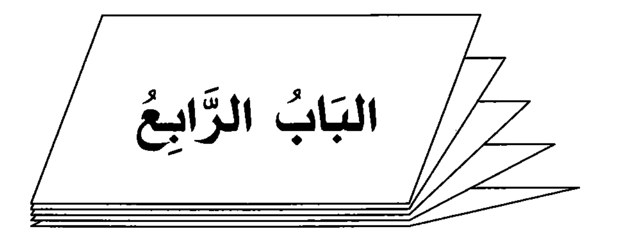


---

(١) التذكرة (١/ ٣ ـ ٤).

(٢) التذكرة (١/ ١٥١).

(٣) التذكرة (٣/ ١١٢٢).



في المُصَنَّفَاتِ العِلْمِيَّةِ



الفَصْلُ الأولُ

المُصَنَّفَاتُ التِّي يِنْبَغِي لِطَالِبِ العِلْمِ الإِلْمَامُ بِهَا

□ «قال الشيخ عز الدين بنُ عبد السلام ـ وكان أحدَ المُجتهدين ـ: ما رأيتُ في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب «المُغني» للشيخ موفق الدين.

قلتُ: لقد صَدق الشيخُ عز الدين. وثالِثُها: «السُّنن الكبير» للبيهقي.

ورابعها: «التمهيد» لابن عبد البر. فمن حصَّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمنَ المطالعة فيها، فهو العالم حقًا»[١].

□ «قال مُحمَّدُ بنُ طَرْخان: سمعتُ الحُميديَّ يقُولُ: ثلاثُ كُتُبٍ من علوم الحديث يَجِبُ الاهتمامُ بها: كتاب «العلل»، وأحسن ما وضع فيه كتابُ الدارقطني.

قلتُ: وجمع كتابَ «العلل» في عِدَّةِ كتب عليٍّ بن المديني إمامُ الصَّنعة، وجمع أبو كبر الخلال مَا وقع له من علل الأحاديث التي تكلَّم عليها الإمامُ أحمد، فجاء في ثلاثةِ مجلدات، وفيه فوائدُ جمَّةٌ، وألف ابنُ أبي حاتم كتابًا في العلل، مجلد كبير.

□ قالَ: والثاني كتاب «المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ»، وأحسنُ ما وضع فيه «الإكمال» للأمير ابن ماكولا، وكتاب وفيات المشايخ، وليس فيه كتاب، ـ يُريدُ: لم يُعْمَل فيه كتاب عامٌّ ـ قال الحُميديُّ: وقد كنت أردت أن أجمع فيه كتابًا، فقال لي الأمير: رتِّبه على حروف المُعْجم بعد أن تُرَتِّبَه على السِّنين.

قلتُ: قد جَمع الحافظُ أبو يعقوب القَرَّاب في ذلك كتابًا ضخمًا، ولم يستوعِبْ، ولا قارب، وجمع في ذلك أبو القاسم عبدُ الرحمٰن بن مَنْده

(١) السير (١٨/ ١٩٣).

الأصبهاني كتابًا كبيرًا منثورًا، وعلى ما أشار به الأميرُ أبو نصر عملتُ أنا «تاريخ الإسلام»، وهو كاف في معناه فيما أَحْسَبُ، ولم يكن عندي تواريخ كثيرة مما قد سمعتُ بها بالعراق، وبالمغرب، وبِرَصَدَ مَراغة، فَفَاتني جملةٌ وافرةٌ»[1].

▫ «نسأل الله علمًا نافعًا، تدري ما العلمُ النافعُ؟ هو ما نزل به القرآنُ وفسَّره الرسولُ ﷺ قولًا وفعلًا، ولم يأتِ نهي عنه، قال ﷺ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فلَيْسَ مِنِّي**»، فعليك يا أخي بتدبُّر كتاب الله، وبإدمان النظر في «الصحيحين»، و«سنن» النسائي، ورياض النواوي وأذكاره، تُفْلِحُ وتُنْجِحُ، وإياك وآراءَ عُبَّاد الفلاسفة، ووظائِفَ أهل الرياضات، وجُوعَ الرهبان، وخطابَ طَيْشِ رؤوس أصحاب الخلوات، فَكُلُّ الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللَّهُم اهدِنَا إلى صراطك المستقيم»[2].

▫ «فعليكَ يا أخي بكتاب «دلائل النبوة» للبيهقيِّ، فإنه شفاءٌ لما في الصدور وهدًى ونُورٌ»[3].

▫ «قال أبو شَامةَ: قرأتُ على خَزْعَل بنِ عسكر الشَّنائيِّ عروضَ النَّاصح ابن الدَّهان، أخبرني به عن مصنِّفه. وكان يحثُّني على حفظِ الحديث، والتَّفقُّه فيه خصوصًا «صحيح» مسلم. ويقول: إنه أسهلُ من حفظ كتب الفقه وأنفع ـ وَصَدَقَ ـ»[4].

▫ «فَهَؤُلاءِ المُسْلِمُونَ فِي هذه الطَّبقةِ الثامِنَةِ هُم ثقاتُ الحُفَّاظِ، ولعلَّ قد أهملنَا منْ نُظَرائِهم، فإنَّ المجلِسَ الوَاحِدَ فِي هذَا الوقتِ كانَ يجْتمعُ فيه أزيدَ من عشرة آلافِ محْبرةٍ، يكتُبُونَ الآثارَ النَّبَويَّةَ، ويَعْتَنُونَ بِهذَا الشَّأْنِ، وبينهُم نحو منْ مائتَي إمامٍ قد بَرَزُوا وتأهْلُوا للفُتيا، فلقدْ تفَانى أصْحَابُ الحديثِ

---

(١) السير (١٩/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، التذكرة (٤/ ١٢٢٠).
(٢) السير (١٩/ ٣٤٠).
(٣) السير (٢٠/ ٢١٦).
(٤) التاريخ (٤٥/ ١٥٢).

وتَلاشَوا، وتبَدَّلَ النَّاسُ بِطَلبةٍ يَهْزَأُ بِهِم أعْداءُ الحديثِ والسُّنَّةِ، ويسْخَرُون منهُم، وصَارَ عُلَماءُ العصْرِ في الغالبِ عَاكِفِينَ على التَّقْليدِ في الفُرُوعِ، مِنْ غَيْرِ تَحْريرٍ لها، ومُكِبِّينَ عَلى عقْلياتٍ مِنْ حكْمَةِ الأوائِلِ، وآراءِ المُتَكَلِمِينَ، من غَيْرِ أنْ يَتَعَقَلُوا أكْثَرها، فعَمَّ البلاءُ، واسْتَحْكَمَتْ الأهْواءُ، ولاحتْ مَبَادئُ رفْعِ العلْمِ وقبْضِهِ منَ النَّاسِ، فرَحِمَ اللهُ امرَأً أقْبَلَ عَلَى شأْنِهِ، وقَصَرَ مِنْ لِسَانِه، وأقْبَلَ عَلَى تِلاوةِ قرآنِه، وبَكَى عَلى زَمَانِه، وأَدْمَنَ النَّظَرَ في الصَّحِيحِينِ، وعَبَدَ اللهَ قَبْلَ أنْ يَبْغَتَهُ الأَجَلُ. اللَّهُم فَوَفقْ وارْحَم»(١).



---

(١) التذكرة (٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠).



الفَصْلُ الثَّاني

التَّحْذِيرُ مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَهْلِ الكِتَابِ، وأهْلِ البِدَعِ والأَهْوَاءِ وآرائهم

□ «ولا يشْرُعُ لأحدٍ بعد نزولِ القرآن أن يقرأَ التَّوراةَ ولا أَنْ يحفَظَهَا، لكونها مُبَدَّلَةً مُحَرَّفَةً منسُوخَة العمل، قد اختلط فيها الحقُّ بالباطل، فلتُجْتَنَبْ. فأما النَّظَرُ فيها للاعتبار وللردِّ على اليهود، فلا بأس بذلك للرجل العالم قليلًا، والإعراض أولى»(١).

□ «وعن أيُّوب، عن أبي قِلابة، قال: إذا حدَّثتَ الرجل بالسُّنَّة، فقال: دَعْنَا من هذا، وهاتِ كتابَ الله، فاعْلَمْ أنَّهُ ضالٌّ.

قلتُ أنا: وإذا رأيتَ المتكلِّمَ المبتدع يقول: دَعْنا من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهاتِ العَقْل، فاعلَمْ أنه أبو جَهْل؛ وإذا رأيتَ السَّالك التوحيدي يقول: دَعْنا من النَّقْل ومن العَقْل، وهاتِ الذَّوْقَ والوَجْد، فاعلَمْ أنَّه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حَلَّ فيه، فإنْ جَبُنْتَ مِنْهُ، فاهرُبْ، وإلا فاصرعْهُ وابرُكْ على صدْرِهِ واقرأْ عليه آية الكُرْسِي واخْنُقْهُ»(٢).

□ «وعن شعيب بن الحَبْحَاب، قلتُ لابن سيرين: ما ترى في السماع من أهل الأهواء؟ قال: لا نسمع منهم ولا كرامة»(٣).

□ «قال هانئ بن المتوكل: حدَّثني محمد بن عُبادة المعافري قال: كُنَّا عند أبي شُرَيح رَحِمَهُ اللهُ فكثرت المسائلُ، فقال: قد درنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استَقِلُّوا قلوبَكم، وتعلَّمُوا هذه الرغائبَ والرقائق، فإنها

(١) السير (٣/ ٨٦).
(٢) السير (٤/ ٤٧٢).
(٣) السير (٤/ ٦١١).

تُجدِّدُ العِبادة، وتُورِث الزهادة، وتجر الصَّداقة، وأَقِلُّوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تُقسِّي القلب، وتُورِث العداوة.

قلتُ: صدق واللهِ، فمَا الظَّنُّ إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النَّص، فكَيف إذا كانت من تشكيك المنطق، وقواعِدِ الحكمةِ، ودينِ الأوائل؟ فكيفَ إذا كانت من حقائق «الاتّحادِيَّةِ»، وزندقة «السَّبعينية»، ومرق «الباطنية»؟! فواغُربتاه، ويا قِلَّة ناصراه. آمنتُ بالله، ولا قُوَّةَ إلا بالله»[١].

▫ «قد أَلَّفَ أبُو حامد الغزالي في ذمِّ الفلاسفة كتاب «التهافت»، وكَشَفَ عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنًّا منه أن ذلك حقٌّ، أو موافِقٌ للملة، ولم يكن له عِلْم بالآثار ولا خبرةٌ بالسُّنن النبوية القاضية على العقل، وحُبِّبَ إليه إدمانُ النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا» وهو داءٌ عضَال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قَتَّالٌ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيارِ المُخْلِصين، لَتَلِفَ.

فالحِذَارَ الحِذَارَ من هذه الكتب، واهرُبُوا بدينكم من شُبَهِ الأوَائلِ، وإلا وقعتُم في الحَيْرة، فمن رام النجاةَ والفوزَ، فليلزمِ العُبُودية، وليُدْمِنِ الاستغاثَةَ بالله، وليبتهِلْ إلى مولاه في الثَّباتِ على الإسلام وأنْ يُتوفَّى على إيمانِ الصحابة، وسادةِ التابعين، والله الموفق، فَبِحُسْنِ قَصْدِ العَالمِ يُغْفَرُ لَهُ وينجو إن شاءَ الله»[٢].

▫ «نسأل الله علمًا نافعًا، تدري ما العلمُ النافعُ؟ هو ما نزل به القرآنُ وفسَّره الرسولُ ﷺ قولًا وفعلًا، ولم يأتِ نهي عنه، قال عليه السلام: **«مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فليْسَ مِنِّي»**، فعليك يا أخي بتدبُّر كتاب الله، وبإدمان النظر في «الصحيحين»، و«سنن» النسائي، ورياض النواوي وأذكاره، تُفْلِحُ وتُنْجِحُ، وإياك وآراءَ عُبَّاد الفلاسفة، ووظائِفَ أهل الرياضات، وجُوعَ الرهبان، وخطابَ طَيْشِ رؤوس أصحاب الخلوات، فَكُلُّ الخير في متابعة الحنيفية

(١) السير (٧/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) السير (١٩/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدِنَا إلى صراط المستقيم»[1].

◻ «قال الإمامُ النوويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ وخَطَرَ لي أن أشتغلَ في الطِّب واشتريتُ كتابَ «القانون»، فأُظْلِمَ قلبِي، وبقيتُ أيَّامًا لا أقدرُ على الاشتغَالِ، فأفقْتُ على نفسِي، وبعتُّ «القانون»، فأنَارَ قلْبِي»[2].

◻ «مَن أمْعَنَ النظرَ في فصُوص الحكم، أو أنعم التأمُّل لاحَ له العجَب؛ فإنَّ الذكي إذا تأمَّلَ من ذلك الأقوالَ والنظائرَ والأشباهَ فهُو أحدُ رجُلَين: إمَّا مِن الاتحاديةِ في البَاطِنِ، وإمَّا مِنْ المُؤمنين بالله الذين يعدُّون أنَّ هذه النحْلةَ مِنْ أكفَرِ الكُفْرِ. نسألُ اللهَ العفوَ، وأن يكتبَ الإيمانَ في قُلوبنَا، وأنْ يُثَبِّتَنَا بالقَوْل الثَّابتِ في الحياةِ الدُّنيَا وفي الآخرةِ. فوالله لأنْ يعيشَ المسلمُ جاهلًا خَلْفَ البقَرِ لا يعْرفُ مِنَ العِلْم شيئًا سِوى سُورٍ من القُرآن يصلي بها الصلوات ويؤمنُ بالله واليومِ الآخر، خيرٌ له بكثيرٍ مِنْ هذَا العِرفان وهذهِ الحقائق، ولو قَرَأَ مائةَ كتابٍ أو عملَ مائةَ خلْوة»[3].

تم الكتاب بفضل الله الواحد العزيز الوهاب



(١) السير (١٩/ ٣٤٠).

(٢) التذكرة (٤/ ١٤٧٠).

(٣) الميزان (٣/ ٦٦٠).

فهرس الموضوعات